

اجاثا كريستي
خاتمة المأساة



شهدت "سيتافورد" - تلك القرية النائية في "إنجلترا" - أحداثا عدَّة، بدت عادية في البداية ثم اتخذت مسارًا عجيبًا.

.... القبطان "تريفيليان" - وهو ضابط بحري - آثر حياة الريف بعد بلوغه سن التقاعد، بنى لنفسه قصرًا وزوَّده بكل وسائل الرفاهية. وحتى لا يبقى وحيدًا، شيَّد ستة منازل صغيرة أخرى بالقرب منه.... سيدة من جنوب "إفريقيا" تطلب استئجار القصر وتعرض عليه مقابل ذلك مبلغًا مغريًا من المال؛ لكي تقيم فيه مع ابنتها في فصل الشتاء وهو موسم الثلوج في "إنجلترا"!!!!... السيدة تقيم الحفلات... وفي إحدى ليالي السمر التي دعت إليها بعض الأفراد، حدث ما هو مثير: المائدة الدوَّارة والكشف عن أمور خفيَّة عن طريق تحضير الأرواح. ولكن كان أبرزها إعلان وفاة القبطان "تريفيليان". اهتمت الشرطة والصحافة بالأمر.... الحدث الثاني الذي شهدته القرية هو هرب سجين من أقوى سجون "إنجلترا"، وكان نادرًا ما يحدث أن يهرب منه أحد المعتقلين... أما الحدث الثالث فهو الكشف عن لغز الساعة الخامسة وخمس وعشرين دقيقة (اسم الرواية) "خاتمة المأساة" وهو التوقيت الذي أُعلن فيه اغتيال القبطان "تريفيليان"، كما تم التنبؤ به على المائدة الدوَّارة. ومع توالي الأحداث، تكشَّف كذلك سر السجين الهارب.

ثمن النسخة

البلد	الثمن	البلد	الثمن
لبنان	5000 ل. ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	100 ل. س.	مسقط	1,5 ريال
الأردن	1,5 دينار	مصر	20 جنيها
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	3 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1,5 دينار	اليمن	400 ريال


ISBN 9953382409
9 789953 382401

خاتمة المأساة

قام بعون الله الأساتذة / **السيد محمد نصر الدين**

مشكور بمراجعة هذا الكتاب وتدقيقه وتصويب أخطائه اللغوية والمطبعية.

تاليف

Agatha CHRISTIE

الاسم الأصلي للكتاب

The Sittaford Mystery

(1934)

الغلاف بريشة الفنان العالمي

جان روفينو

برنارد الأسطه

يقدّم

الرواية المعرَّبة

خاتمة المأساة

(94)

تأليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

تعريب الأديب الراحل

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

المركز الدولي

للصحافة والنشر والتوزيع ش.م.م.

تليفون 666 212 9 961 00 فاكس 665 212 9 961 00

ص.ب 374 جونيه – لبنان

البريد الإلكتروني info@darmusic.net

الفصل الأول

(سيتافورد)

بعد أن احتذى الرائد "بيرنابي" حذاءه المصنوع من الكاوتشوك، زرَّر معطفه حتى إلى العنق، وتناول كشافه، وفتح باب منزله في حرص، ثم ألقى نظرة إلى الخارج.

حينئذ وقع بصره على منظر من المناظر الريفية الإنجليزية الخلاَّبة كما تبدو في بطاقات "عيد الميلاد" أو الـ"ميلودراما" القديمة (مشاهد مسرحية حزينة)؛ إذ كانت الثلوج تتساقط طوال أربعة أيام على شكل كرات ضخمة على كافة أنحاء "إنجلترا" ، حتى بلغ سمكها في مقاطعة "دارتمور" عدة أقدام. كما كان سكان "بريطانيا" كلها يعانون متاعب نقل المياه، وفي مثل هذه الظروف، كان من يحظى باهتمام أحد السباكين ليأمره، كمن يحصل على امتياز يُحسد عليه. وفي قرية "سيتافورد" المعزولة تمامًا عن العالم، كانت قسوة الشتاء تعقّد الحياة على نحو مأسوي.

وقف هذا القائد المقدام على عتبة مسكنه يستنشق الهواء على دفعتين، ثم زمجر واندفع إلى الخارج لمواجهة الثلوج .لم يبتعد عن منزله كثيراً. لقد قاده درب متعرج إلى سياج؛ اتبع الممشى الخالي جزئيًا من الثلوج، ثم قرع باب منزل قديم مُشيَّد بالجرانيت. وأقبلت إليه خادمة ظريفة جذّابة فتحت له ورفعت له لثامه القديم.

أدخلته بعد ذلك إلى حجرة خُيِّل إليه أنه متواجد أمام تغيير مفاجئ في ديكورات مسرحية متغيرة المناظر.

وعلى الرغم من أن الساعة لم تتجاوز الثالثة من بعد الظهر، كانت الستائر قد غطت النوافذ بالكامل، والمصابيح الكهربائية أُضيئت، واللهب يتأجج في المدفأة. حينئذٍ نهضت سيدتان في ملابس فترة بعد الظهر لاستقبال الوافد وهو الجندي السابق، قالت كبراهما:

– إنها لمحة طيبة من قِبَلكَ يا سيدي الرائد "بيرنابي" ، بأن تأتي لزيارتنا. قال:

– وأنا أشكركما على دعوتكما لي يا سيدة "ويليت" ، ثم صافح المضيفة وابنتها

بحرارة.

– إننا في انتظار السيد "جارفيلد" وأيضا السيد "ديك"، ولقد وعد السيد "ريكروفت" أن يحضر، لكنني أشك في أنه يخرج في مثل هذا الطقس. وبالتأكيد نعتبر عذره مقبولاً نظرًا لسنه.

– حقًا إن الجو رديء جدًا في الخارج؛ لذلك نشعر بأننا في حاجة إلى التسلية حتى لانصاب بالتوتر العصبي... ضعي يا"فيوليت" قطعة خشب في المدفأة. نهض الرائد، وقال بلهجة مرحة:

– اسمحي لي يا آنستي. وبيدٍ واثقة وضع الخشب في المكان المخصص له، ثم عاد إلى مقعده الذي كانت قد أشارت إليه به مضيفته. وأخذ يتلفت من حوله، ملقيًا نظرات خاطفة إلى الصالون ،وقد أحس بما طرأ عليه من تطوير غير أنه لم يتمكن من تحديد ما قد تم تغيير مكانه من أثاث.

منذ عشر سنوات مضت، كان القبطان البحري "جوزيف تريفيليان" – بعد إحالته إلى سن التقاعد – قد قرر أن يقضي باقي حياته في الريف. لأنه كثيرًا ما تمنى أن يقيم في "دارتمور" فكان أن وقع اختياره على كفر "سيتافورد" الواقع على سفح تل تغطيه نباتات الخلنج ذات الزهور البنفسجية، بخلاف المزارع والقرى المحيطة. وهكذا امتلك هذا القبطان رقعة أرض شاسعة شيّد عليها مسكنًا مريحًا، مانحًا إياه اسم "قصر"، كما كان قد زوده بمولّد كهربائي للإضاءة وتشغيل الآلة الرافعة للمياه. ثم عمل على تشييد ستة منازل صغيرة على حافة الطريق المؤدي إلى سياج سكنه. وفي أقرب مسكن لقصره، كان يقيم صديقه العجوز "جون بيرنابي". أما الخمسة مساكن الأخرى فقد بيعت تدريجيًا، لأنه يوجد أناس كثيرون يميلون إلى حياة العزلة عن العالم أو أنهم يشعرون بالحاجة إلى هذا الوضع.

أما بالنسبة إلى الكفر – في حد ذاته – فكان يتضمن ثلاثة بيوت ريفية ومسبكًا وبوتيكًا به مكتب بريد ومحل لبيع الحلوى معًا.

وللتوجه إلى المدينة، كان على الشخص أن يقطع مسافة حوالي عشرة كيلو مترات متبعًا طريقًا ذا أماكن نزول سريع تطلبت وضع لافتات: إلى ركاب الموتوسيكلات، خذوا الحذر! المهبط سريع جدًا وخطير!

وكما رأينا، يعتبر القبطان "تريفيليان" رجلاً ثريًا. وعلى الرغم من ذلك، كان محبًا للمال بطريقة مبالغ فيها. في نهاية شهر تشرين الأول (أكتوبر) سأله- في خطاب - مكتب استئجار مساكن في "إكسامبتون" عمّا إذا كان يقبل تأجير منزله؛ لأن إحدى زبائنه ترغب في الإقامة فيه خلال فترة الشتاء. فكان الرفض أول رد فعل من القبطان لهذا العرض، غير أنه بعد التفكير - كتب إلى مراسله خطابًا يطلب منه فيه مزيداً من البيانات عن العرض. وكان المسؤول قد أجابه بأن الراغبة في الاستئجار أرملة وتُدعى السيدة "ويليت" . وهي إذ وفدت من" جنوب إفريقيا" ترغب في قضاء فصل الشتاء في "دارتمور" مع ابنتها. حينئذ صاح القبطان "تريفيليان" :

- لاشك في أنها مجنونة، ما رأيك في ذلك يا "بيرنابي"؟ ولما كان "بيرنابي" متفقًا معه في الرأي عبّر عنه قائلاً:

- فعلاً. ثم أضاف:

- وبما أنك لا ترغب في تأجير فيللتك، فدع هذه المجنونة وشأنها، لعلها تموت من شدة البرد، أيفكر أحد في الإقامة في "سيتافورد" في الشتاء وهو وافد من" إفريقيا"؟!

لكن سرعان ما تغلبت الرغبة في الحصول على المال على قرار القبطان. محدثًا ذاته بأنه سوف لا تطرق بابه مثل هذه الفرصة مرة أخرى، لذلك استفسر عن القيمة الإيجارية التي تعرضها الزبونة.

وكان الاتفاق قد تم على جنيهين (الجنيه عملة تعادل 21 شلنا) في الأسبوع، في الحال قام القبطان باستئجار منزل صغير في أطراف "إكسامبتون" تاركًا فيللته للسيدة "ويليت" التي دفعت نصف القيمة مقدمًا. أردف السيد "تريفيليان" :

- حقًا، إن المجنونة لاتحرص على المال.

وأما عن "بيرنابي" فكان يحدث ذاته ذات مساء من أيام شهر كانون الأول (ديسمبر) قائلا:« إن هذه السيدة لا تبدو مجنونة ألبتة بل بالعكس، إن سمات الذكاء بادية على محياها. نعم إنها ترتدي ملابس غريبة وتتحدث بلهجة قروية، لكنها كانت تبدو راضية عن حياتها الجديدة. هذا بالاضافة إلى أنها تمتلك من المال

أوفره، ولا يبدو عليها أنها تؤثر حياة العزلة. فكانت كل هذه العوامل تربك السيد "بيرنابي" إلى أقصى درجة.

كانت هذه السيدة - بصفتها إحدى الجارات - تكثر من إقامة الدعوات للمحيطين بها. كما كانت تطلب إلى القبطان "تريفيليان" في توسل أن يأتي إلى فيللته وكأنه لم يؤجرها، وكان هذا الأخير يرفض عرضها بإصرار؛ لأنه عانى في شبابه من خيبة أمل في الحب. ولا يأمن جانب النساء. وهكذا بعد مرور شهر على إقامة السيدة "ويليت" وابنتها في فيللا "سيتافورد". بدأت تتبدد الدهشة التي أثارتاها عند وصولهما.

من جانبيه كان "بيرنابي" - وهو صموت بطبعه - يراقب مضيفته دون أن يندمج في الحديث معها. وكانت نظراته قد انتقلت من الأم إلى الآنسة "فيوليت ويليت"، وهي فتاة جميلة وإن كانت مخيفة بعض الشيء. ألم تكن السيدات على هذا النحو في "ألمانيا"؟ على أي حال، إن الصحف تعلن عودة امتلاء أجسام السيدات عن قريب. هذا ما كان يجول بخاطر الرائد. وأخيراً، قالت السيدة "ويليت":

- لقد تساءلنا كثيرا عمّا إذا كنت ستحضر أم لا. لم تكن أنت ذاتك واثقًا بذلك أليس كذلك؟ حينئذ أعلن الرائد موضحًا:

- إنه يوم جمعة. سألته السيدة "ويليت" مندهشة:

- ولمَ لا يوم الجمعة؟

- لأني أتوجه كل يوم جمعة إلى صديقي "تريفيليان" وهو يحضر طرفي كل يوم ثلاثاء.. لنا سنون عديدة نتبادل مثل هذه الزيارات.

- افهم من ذلك أنكما متجاوران في السكن.

- لقد أصبحت عادة.

- وسيادتك تحرص على إبقائها؟ أقصد منذ أن أقام في "إكسامبتون".

- إننا كلانا لم نرغب قط في التخلي عن هذه العادة؛ لأننا إذا انفصلنا فسوف نندم على ذلك، على أمسياتنا الحلوة. سألته "فيوليت":

- إنك تشترك في مسابقات الكلمات المتقاطعة والتطريز (ضرب من أبيات شعرية إذا جمعت حروف أوائلها شكلّت اسم المؤلف أو المهدى إليه) أليس

كذلك؟

– من جانبي أقوم بحل الكلمات المتقاطعة و"تريفيلان" يميل إلى مسابقات التطريز. ولقد حصلت على جائزة عبارة عن ثلاثة كتب في مسابقة الكلمات المتقاطعة.

– برافو! رائع، وهل هذه الكتب شائقة؟

– لا أعرف عنها شيئًا، لأني لم اقرأها بعد. أردفت السيدة "ويليت" معلقة:

– المهم أنه كسبها. سألته "فيوليت":

– كيف تذهب إلى "إكسامبتون" وليس لديك سيارة؟

– إني أسير على قدميّ.

– مستحيل! المسافة حوالي عشرة كيلومترات.

– إنه تمرين ممتاز، فالسير مسافة عشرين كيلو مترا ذهابًا وإيابًا غير ضار بالصحة، بل بالعكس.

– تخيلوا! عشرين كيلومترًا، لابد أنك والقبطان "تريفيليان" كنتما من الرياضيين المشهورين. أليس كذلك؟

– فيما مضى كنا نتقابل في" سويسرا " لممارسة رياضة الشتاء إذ كان لابد لي من لقاء "تريفيليان" على الثلوج. لكن حاليًا لقد تقدم بنا العمر ولا يمكننا ممارسة مثل هذه الهوايات. سألته "فيوليت":

– ألم تحصل على بطولة" لعنة الكف" وأنت في الجيش؟ علت الحمرة وجه الرائد وكأنه فتاة صغيرة:

– من أخبرك بذلك؟

– القبطان "تريفيليان".

– كان عليه أن يحفظ لسانه، إنه لا يكف عن الثرثرة، تُرى، ماهي حالة الطقس الآن؟

احترامًا لما لحق الرائد من حرج، سارت الفتاة خلفه حتى النافذة، وأزاحت الستار حتى يتطلع كلاهما إلى المنظر الريفي . قال الرائد:

– من المتوقع سقوط ثلوج أخرى وأقوى من الأولى. صاحت "فيوليت":

– حسنًا. إني أعشق منظر الثلوج؛ لأني أراها رومانسية ولم يسبق لي مشاهدتها قبل الآن. قالت لها أمها:

– ياللكِ من صغيرة مجنونة! كيف تجدين الرومانسية في مثل هذا الطقس المعتم والثلجي الكفيل بتفجير مواسير مياه المنزل؟! سألها الرائد :

– هل كنت مقيمة في "إفريقيا" حتى الآن يا آنسة "فيوليت"؟ انطفأ حماس الفتاة في الحال، وأجابت:

– نعم. وهي أول إقامة لي في "إنجلترا". إني أرى هذا البلد ممتعًا جدًّا.

ممتع جدًّا البقاء على هذا النحو في عزلة، وأين؟ في إحدى قرى المدينة! كان من الصعب أن يدرك "بيرنابي" ميول جارته. فتح باب الصالون والخادمة أعلنت:

– السيد "ريكروفت" والسيد "جارفيلد". حينئذٍ دخل رجل عجوز قصير القامة ونحيف جدًّا، ومن بعده شاب يفيض حيوية وشبابًا. قال الشاب :

– لقد أفلحت في اصطحابه إلى هنا واعدًا إياه بأني لن أدعه يغوص في الثلوج، آه، كم أن الجو ممتع هنا! لقد وضعتم – مبكرًا– الأخشاب في المدفأة لعيد الميلاد المجيد، وأردف السيد "ريكروفت" مؤيدًا كلمات الشاب:

– فعلاً. لقد تكرم صديقي الشاب بالدفع بي إلى هنا. قال هذا وهو يصافح السيدتين قائلاً:

– كيف حالكِ يا آنسة "فيوليت"؟ إنه حقا برد قارس. ثم اقترب من النار لكي يستدفئ و"جارفيلد" استأثر بـ"فيوليت" :

– أفي إمكاننا يا آنستي، ممارسة رياضة التزحلق على الجليد معًا؟ وهل توجد أماكن للمياه في هذه الأنحاء؟

– اكتساح الثلج، إنها رياضة تليق بكَ.

– لم أعمل طوال الفترة الصباحية سوى ذلك.

– آه، ياللك من رجل!

– لا تسخري مني.

– كيف حال عمتك؟

– كما هي... إن حالتها تتحسن للحظة، ثم لا تلبث أن تعود إلى وضعها الأول

بعد دقيقتين على الأكثر. وعليّ التذرع بالصبر. لذلك تجدينني أفكر في كل عام في الكيفية التي تمكنيٍّ من الحضور لزيارتها .آه لو لم تكن فكرة الإرث لأعفيت نفسي من ذلك! لكن، إذا امتنعنا عن حضور الاحتفال بعيد الميلاد المجيد عندها ولو لعام واحد، فمن الممكن أن تسقطنا من قائمة الورثة، وأن توصي بثروتها لأحد ملاجئ الكلاب والقطط. إنها تمتلك خمسة كلاب وقطط، أقوم بملاطفتها طوال النهار حتى خُيِّل إليها بأني أحبها.

– عن نفسي أنا أفضل الكلاب على القطط.

– وأنا كذلك، لكنك تدرك ما أريد أن أقوله: الكلب هو كلب...

– وهل عمتك تحب الكلاب منذ عهد بعيد؟

– أعتقد أنه منذ بلوغها مرحلة الشيخوخة.. آه ، ربما أمقتها ذات يوم.. هذه الحيوانات الملعونة.

– عمتك إنسانة طيِّبة، لكنها تخيفك.

– أحيانًا، وكأنها تفقدني توازني.

– آه، لا، مستحيل!

– لا تتفوه بذلك بهذه اللهجة، من الممكن أن يبدو الشخص مجنونًا مع الاحتفاظ بكامل وعيه، ثم أعلنت الخادمة:

– السيد "ديك" . كان هذا الشخص الوافد إلى البلد منذ فترة قريبة المستأجر للمسكن الأخير من المساكن الستة، وكان ذلك في شهر أيلول (سبتمبر). كان هذا الشخص البدين يهتم بفلاحة البساتين على الدوام. أما جاره– وهو السيد "ريكروفت" – فكان مولعًا بتربية العصافير، وكلاهما كانا على اتفاق دائم . كثيراً ماكان السيد "ريكروفت" يكرر لمن يتحدث معه أن السيد "ديك" رجل جذاب بلا أية مجاملة أو مبالغة في هذا الوصف.. ألم يكن .. بعد كل ذلك.. هيه! ترى من هو بالضبط؟ أحد التجار الذين اعتزلوا المهنة؟

ولم يكن هناك من يجرؤ على سؤاله عن هويته أو عمله.

وكان فعلاً من الأفضل عدم معرفة ذلك بالضبط؛ فقد يكون في هذا السؤال حرج له. والمفروض الاحتفاظ بالعلاقة الطيِّبة بين الجيران، لاسيما في مثل هذه

المنطقة المحددة. سأل السيد "ديك" الرائد "بيرنابي" :

– هل ستذهب إلى "إكسامبتون" في هذا الطقس؟

– لا، من المؤكد أن السيد "تريفيليان" لايتوقع حضوري عنده. وأردفت السيدة "ويليت" وهي ترتجف:

– لاشك في أن قضاء فترات الشتاء هنا على الدوام لهو بالأمر المفزع.

فألقى إليها السيد "ديك" نظرة خاطفة والرائد "بيرنابي" أيضًا – تطلع إليها في فضول، وكان الشاي في هذه اللحظة قد أُحضِرَ.

الفصل الثاني

(الرسالة)

بعد تناول الشاي، اقترحت السيدة "ويليت" التسلية بلعبة البربدج (لعبة ورق يقوم بها أربعة ينقسمون إلى فريقين، ثم يتوزَّع عليهم مجموع الورق بالتساوى ويكون لتقدير الرهان فيها وتحقيقه أهمية كبرى) قالت:

– إن عددنا ستة أفراد. الاثنان المتبقيان يلعبان في الدورالثاني. حينئذٍ لمعت عينا "روني" من السرور، واقترح الآتي:

– ابدأوا أنتم الأربعة وأنا والآنسة "ويليت" سننتظر.

في هذه اللحظة اعترف السيد "ديك" بأنه لا يعرف هذه اللعبة فبدا الارتباك بوضوح على وجه "روني" . في الحال عالجت السيدة "ويليت" الموقف بقولها:

– من الممكن أن نختار لعبة أخرى. أردف "روني" :

– أو أن نجعل المائدة تدور، كنا أنا والسيد "ريكروفت" نتحدث عنها في الطريق. وليس من يوم أفضل من مثل هذا اليوم لتحضير الأرواح. هنا قال الرائد "بيرنابي" بنبرة واثقة:

– خرافة! أعلنت "فيوليت" :

– لكنها لعبة مسلية ، ليس بالضرورة أن نؤمن بهذه الخرافات أو أن نتعلق بها، ولكن ليتنا نقوم بها للتسلية فحسب، ما رأيك يا سيد "ديك" ؟

– كل ما تريدون يا آنستي . .

– لنطفئ الأنوار ولنتخذ لنا مائدة. لا لا يا أمي . . إن هذه المائدة ثقيلة جداً.

حينئذ أحضروا منضدة صغيرة بقائمة واحدة، جيدة الطلاء ووضعوها أمام النار وجلسوا كلهم حولها. وكان الرائد "بيرنابي" يجلس بين صاحبة المنزل و"فيوليت" . وعلى الجانب الآخر للفتاة كان "رونى جارفيلد" . وإذا بابتسامة ماكرة ترتسم على شفتي الرائد. وتذكر في نفسه أنهم كانوا فيما مضى يقومون بلعبة التمرير، وحاول أن يتذكر اسم الشقراء الجميلة التي كثيراً ما كان يمسك بيدها تحت المائدة لفترة طويلة. بالتأكيد كانت لعبة التمرير شائقة أكثر. تلت ذلك ضحكات مكتومة وهمسات وسلسلة التعليقات المألوفة.

– يبدو أن الأرواح غير متعجلة.

– لاشك في أنهم يمرحون وهم في الطريق إلينا.

– هس. وإلا لن نحصل على شيء. لنلتزم بالجدية.

– آه! اسكتوا!

– حتى الآن لم يحدث شيء.

– انتظر. اصبر.

– كفى، اسكتوا، التزموا بالصمت. وفي النهاية كان السكون. وتمتم "روني" :

– إنها منضدة خرساء.

– هس.

ثم بدأ سطح المنضدة يبدو وكأن قشعريرة سرت فيه. وبدأت المائدة تتأرجح.

– هيا وجهوا أسئلتكم. ابدأ يا "روني" .

– حسناً، ولكن ماذا سأسألها؟ همست "فيوليت" :

– أيتها الروح. هل أنت حاضرة؟

حسناً. أيتها الروح هل أنت حاضرة؟ حدثت هزة. أعلنت "فيوليت" :

– هذا يعني "نعم" .

– من أنت؟

ليست من إجابة.

– اطلب منها أن تردد حروف الاسم.
– كيف تتوقعين أنها ستجيب؟
– سنقوم بعدّ الهزات.
– آه لقد فهمت الآن. هل تسمحين أيتها الروح وتقومين بهجاء اسمك؟
اهتزت المائدة بعنف.
– أ– ب –ت – ث – ج – ح – خ –د –ذ.. هل هو حرف راء أم زاي؟
– اسألوها.
هزة.
– نعم. الآن الحرف التالي أي راء وكان اسم الروح "رودا".
– هل لديك رسالة لأحد الحاضرين؟
–نعم.
– لمن، هل للآنسة "ويليت"؟
– لا.
– للسيدة "ويليت"؟
– لا.
– للسيد "ريكروفت"؟
– لا.
– نعم.
– الرسالة لك يا "روني". استمر.. اجعله يقوم بالهجاء، وهكذا رددت المائدة حروف الاسم: "ديانا".
– من هي "ديانا"؟ هل تعرف واحدة بهذا الاسم؟
– أنا؟ لا أبداً.. هذا إلا إذا..
– انظروا. لقد عرفها.
– اسألها عما إذا كانت أرملة.
وتعالت الضحكات من جديد. وكان تعليق السيد "ريكروفت":
– ألا ينبغي أن يمرح الشباب؟ وعلى ضوء الموقد لمح مابدا على وجه مضيفتهم

من علامات الحزن، لابد وأن أفكار السيدة "ويليت" كانت تتجول بعيداً عن الصالون.

وكان الرائد "بيرنابي" يفكر في أمر الثلوج التي ستتساقط طوال الليل، ولم يتذكر أنه عاصر شتاء بمثل هذه القسوة. أما السيد "ديك" فكان يبدي اهتمامه فعلاً بهذه اللعبة. وا أسفاه! يبدو أن الأرواح لم تهتم بأمره وكانت الرسائل كلها موجَّهة إلى "فيوليت" و"روني". علمت "فيوليت" أنها سوف ترحل إلى "إيطاليا"؛ ،وأن شخصًا ما سوف يرافقها، وهذا الشخص يدعى "ليونارد".

مرة أخرى تعالت الضحكات والمنضدة قامت بهجاء اسم المدينة.. العديد من الحروف. وقد تكون مدينة روسية أكثر منها إيطالية.

– اهدئي يا "فيوليت" ("روني" أصبح يناديها باسمها في غير تكليف) أنت تهزين المائدة.

– لا أبداً، هأنا قد رفعت يدي وها هي تتحرك بالقوة نفسها. وقال "روني" ملحًا:

– أريد أن أسمعها وهي تدق، أليس كذلك يا سيد "ريكروفت"؟ ألا ينبغي أن تضرب بالقدم؟ أجاب العجوز:

– لا أعتقد. ثم سادت فترة صمت، كانت خلالها المائدة مستقرة. بعد ذلك استفسر أحدهم عمّا إذا كانت الروح مازالت موجودة أو لا. حينئذ اهتزت المائدة.

– هل من روح أخرى آتية؟

لاشيء. ثم فجأة اهتزت المنضدة بشدة وعادت إلى الأرجحة، ولكن بقوة هائلة.

– إنها اهتزت، هل أنتِ روح جديدة؟

– نعم. سألها "روني":

– هل معكِ رسالة؟

– نعم.

– لي؟

– لا.

–لـ"فيوليت"؟

– لا .

– للرائد "بيرنابي" ؟

– نعم .

– الرسالة لك يا سيد "بيرنابي" . هل تتكرمين أيتها الروح وتخبريننا باسمكِ؟
حينئذ اهتزت المائدة بخفة .

– ت– ر –ي – ف . . . أهذا لا يعني شيئًا؟ قالت السيدة "ويليت" :

– بلى ، هذه الحروف تعني "تريفيليان" .

– القبطان "تريفيليان" ؟

– نعم .

– ما الذي يحدث إذن؟

عادت المائدة إلى الاهتزاز بانتظام .

– م . . (توقف) أ– ت .

– مات !

من الذي تُوفي ؟

وكان أن المائدة أصدرت قرعات حتى حرف التاء عوض أن تجيب بـ" نعم أو لا" .

– ت، تقصدين "تريفيليان" ؟

–نعم .

– تقولين إن "تريفيليان" مات ؟ (بعد اهتزازة عنيفة) :

– نعم .

ثم سُمعت صرخة وكانت قشعريرة حول المائدة . وعندما كرر "روني" سؤاله للروح كانت نبرة صوته تدل على أنه خائف .

– تقولين إن القبطان "تريفيليان" مات ؟

– نعم .

وساد الصمت مرة أخرى والكل حائر، تُرى؟ أي قرار يتخذه كل منهم إزاء هذا الخبر الجديد ؟

ثم في أثناء هذه الفترة اهتزت المائدة ببطء و"روني" أعلن بصوت عالٍ :

– أ– غ – ت – ي – ل .

حينئذٍ صرخت السيدة "ويليت" بأعلى صوتها ورفعت يديها من على المائدة، ومن بعدها سُمع صوت السيد "ديك" بوضوح وهو يسأل المائدة:

– الآن تعلنين أن القبطان أغتيل؟!

– نعم. رفع "روني" يديه من على المائدة وقال:

– اسمعوا .. إنه مقلب. ومع ذلك كان صوته مرتجفًا.

– أضيئوا النور. هكذا طلب السيد "ريكروفت" نهض الرائد "بيرنابي" وأضاء المصباح. وإذا بالنور يكشف عما بدا على جميع الوجوه من شحوب.

وتبادل المدعوّون النظرات، عاجزين عن التعليق على هذا الموقف. وأخيرًا أعلن "روني":

– إنها خدعة لاشك في ذلك. أردفت ربة البيت:

– مقلب سخيف.. لاينبغي أن يكون المزاح بهذا الأسلوب، وألا يذكر فيه مثل هذا الأمر. وقالت "فيوليت":

– شيء فظيع! هل تكون التسلية باختيار موت الأفراد. لا. لا. أنا لا أحب مثل هذا المزاح. وقال "روني":

– صدقوني أنا لم أستخدم الغش قط أقسم لكم.

قال هذا لأنه شعر بأنه موضع اتهام صامت.

وأيّد السيد "ديك" كلمات الآخرين:

– وأنا كذلك أستنكر مثل هذه المداعبات، وأنت يا سيد "ريكروفت"؟ أجاب:

– آه.. لا لست أنا. وبرطم الرائد "بيرنابي":

– أظنك لا تتوقع أني كفيل بالاشتراك في مثل هذه الألاعيب السخيفة.

– وأنت يا "فيوليت"، يا عزيزتي... أوشكت الفتاة أن تنخرط في البكاء وأجابت:

– أقسم لكِ يا أمي، أنه لست أنا. وهكذا تبددت مظاهر المرح التي كانت تشمل هذا الجمع الصغير.

أبعد الرائد "بيرنابي" مقعده، وتوجه إلى النافذة، وأزاح الستار ثم نظر إلى

الخارج. ورفع السيد "ريكروفت" عينيه إلى ساعة الحائط وأعلن:

– الساعة الخامسة وخمس وعشرون دقيقة.

ثم قارن هذه الساعة بالساعة التي تعلنها ساعة يده. وشعر كل الحاضرين بأهمية هذه الحركة تظاهرت ربة البيت السيدة" ويليت" بالمرح وأعلنت:

– ليتنا نتناول شرابًا، تكرم يا سيد "جارفيلد" بدق الجرس. ودق "روني" الجرس. ثم أحضروا الصينية، وكلفوا الشاب بإعداد الشراب. وهكذا بدأ الموقف يتخلص من حالة التوتر التي كان جميعهم يعانونها. بدأ "روني" برفع كأسه، وقال:

– في صحتكم.

أجابه الجميع ماعدا الرجل المكتئب الذي ظل واقفًا بالقرب من النافذة.

– يا سيدي الرائد، يا سيد "بيرنابي". ها هو كأسك. انتفض ثم التفت وقال" بيرنابي":

– شكرًا يا سيدي، إني لا أتناوله.

و– مرة أخرى – ألقى نظرة إلى الخارج، وعاد بعد ذلك نحو المجموعة المتواجدة بالقرب من النار، ثم استأذن من ربة المنزل قائلاً:

– إلى اللقاء يا سيدة "ويليت".

– لاداعي للذهاب إلى هناك.

– لابد من ذلك.

– ليس حاليًا.. في مثل هذه الليلة.

– المعذرة يا سيدتي، لابد لي من التوجه إلى هناك. ليتني أتمكن من الاتصال هاتفيًا.

– التليفون؟

– نعم.. أصارحك بأني أرغب في معرفة ما إذا كان "جو تريفيليان" على مايرام. وإن كانت كلها خزعبلات، ولا أثق بها، إلا أني..

– لكنك لن تجد آلة تليفون واحدة في قرية "سيتافورد" بأكملها.

– بالضبط.. وبما أنه ليس في استطاعتي الاتصال هاتفيًا، عليّ بالتوجه إلى "إكسامبتون".

– لكن ليس من الموجودين من سيرحب باصطحابك. "إلمير" لن يُخرج سيارته مع هذه الثلوج. وكان "إلمير" هو الشخص الوحيد الذي يمتلك سيارة "فورد" قديمة يستخدمها كسيارة أجرة للزبائن الذين يرغبون في التوجه إلى "إكسامبتون" مقابل مبلغ خيالي.

– أنا لا أهدف إلى أخذ سيارة يا سيدتي. سأعتمد على ساقيّ. فكانت معارضة من الجميع.

– لا لا مستحيل يا سيد "بيرنابي". لقد قلت أنت ذاتك إن الثلوج ستتساقط بكثافة شديدة.

– ليس قبل ساعة سيتم ذلك. . وأؤكد لك يا آنستي على أني سأكون قد وصلت. استطردت السيدة "ويليت" بنبرة حادة :

– أنا لن أسمح لك بالانصراف. قالت هذا لأنها اضطربت لقرار الرائد. لكن لا كلمات الإقناع ولا مشاعر الإشفاق عليه ولا النصائح أفادت في إثنائه عن رأيه. فهو شخص عنيد، وهكذا انصرف لكي يقطع هذه المسافة سيراً على قدميه، وهذا حتى يطمئن على صديقه. ولقد كررّ هذه العبارة نحو عشر مرات. تدثر بمعطفه وأشعل مصباحه (البطارية) وخرج في الظلام. قال وهو في بداية طريقه:

– سأمر على المنزل لأخذ زجاجة شراب .. "تريفيليان" سوف يستضيفني عنده هذه الليلة. لاتقلقي بشأني يا سيدتي. وسواء أثلجت أم لم تثلج سأصل عند "تريفيليان" خلال ساعتين، إلى اللقاء.

وهكذا ابتعد والآخرون التفوا من جديد حول النار. وكان "ريكروفت" قد راقب السماء المتلبدة.

ثم همس إلى السيد "ديك" :

– سوف تتساقط الثلوج حتمًا وربما قبل أن يصل إلى "إكسامبتون" أتعشم أن يصل سليمًا معافى.

قطب "ديك" حاجبيه وقال:

– فعلا كان ينبغي أن أرافقه.

وتنهدت السيدة "ويليت" وهي تقول :

– إن سهرتنا أُتلفت. أرجو يا "فيوليت" ألا تكرّري مثل هذه الألعاب الغبية. إن الرائد "بيرنابي" سيهلك من البرد وربما قد يدفن تحت الثلوج، إن الخروج في مثل سنّه ومع هذا الطقس الرديء يعتبر جنونًا أكيدًا. لكن القبطان "تريفيليان" يتمتع بصحة جيدة، والجميع ردَّدوا كلماتها. ومع ذلك لم يهدأ لأحدهم بال. عسى ألا يكون قد أصابه مكروه! وإذا.....

الفصل الثالث

(الساعة الخامسة وخمس وعشرون دقيقة)

بعد ساعتين ونصف الساعة، أي قبل الساعة الثامنة بقليل، كان الرائد "بيرنابي" يصعد الممشى المؤدي إلى باب "هازيلمور" وهو المنزل الذي استأجره القبطان "تريفيليان" وكان ممسكًا ببطاريته، يسير بخطى متعثرة، خافضًا رأسه حتى لا يصاب بكرات الثلج في وجهه.

وكانت الثلوج تتساقط منذ حوالي ساعة، والرائد أصبح يتنفس بصعوبة كشخص منهك موشكًا على الانهيار. عندما وصل، قرع الباب بقدمه، ثم نفخ في يديه ووضع إصبعه المتقلص على زر الجرس. انتظر، وكأن لا وجود لأحد بالداخل، وبعد بضع دقائق، رن الجرس مرة أخرى.

لاشيء ودق الجرس للمرة الثالثة واحتفظ بأصبعه على الزر الكهربائي، وعلى الرغم من استمرار الجرس في إصدار رناته، لم تبد في المنزل علامة حياة.

حينئذ لمح الرائد مطرقة على الباب فأمسك بها وأخذ يقرع مصدرًا صوتًا قويًّا وكأنه صوت رعد.

لكن المنزل ظل في صمت رهيب وكأنه قبر. انتظر لحظة وقد بدا عليه الإحباط. ثم نزل ثانية الممشى واجتاز السور وتقدم على الطريق المتجه إلى "إكسامبتون" وكان قسم الشرطة يبعد عن هذا المكان بمائة متر.

تردَّد قبل الدخول. وأخيرًا دفع الباب. عندما رآه "جريف" "الكونستابل" وهو يعرفه معرفة جيدة نهض وقد تملكته الدهشة. وبادره بقوله:

– كيف يحدث ذلك؟ الرائد "بيرنابي"؟! كيف تخاطر بالتجول في الشوارع وسط هذه العاصفة الثلجية؟

– اسمعني يا "جريف". لقدقرعت باب القبطان "تريفيليان" عدة مرات ولم أحصل على رد. كان "جريف" على دراية بعادات الصديقين،قال:

– آه، إننا فعلاً يوم الجمعة. هل أنت آتٍ من "سيتافورد" في مثل هذه الآمسية؟ لاشك في أنه لا يتوقع زيارتك.

– على أي حال هأنذا أمامك ولقد قرعت بابه مراراً وليس من مجيب. قطب الضابط حاجبيه وقال:

– أمر عجيب فعلاً. لا أعتقد أنه في الخارج مع مثل هذا الطقس العاصف.

– فعلاً.

– أمر غريب في الواقع .....

بدا الضيق على "بيرنابي" أمام تواني "الكونستابل".

– والآن ما الذي قرّرته؟

– ما قرّرته؟

– نعم، لابد من أن تتصرف... أن تقوم بأي إجراء. حينئذ فكر ضابط الشرطة وقال:

– هل تفكر في أنه قد يكون قد أصيب بمكروه؟ (استنار وجهه) سأحاول أولاً الاتصال به هاتفيًا.

ثم أمسك بآلة التليفون الموضوعة على مكتبه وسأله عن الرقم.

لكن التليفون تماما مثل جرس الباب لم يأتِ برد، لذلك قال "جريف" وهو يخفض السماعة:

– بحسب رأيي أستنتج أنه في حالة لا تسمح له بالرد ومن الحكمة أن نطلب من الدكتور "وارين" أن يأتي معنا. كان منزل الطبيب مجاوراً لقسم البوليس. كان في هذه اللحظة بالتحديد متأهبًا لتناول العشاء مع زوجته. لعن هذه المصادفة التي جعلته يُطلب في هذه اللحظة؛ مع ذلك وافق على اتباعهما. فما كان منه إلا أن نهض وارتدى معطفه الواقي من المطر واحتذى حذاءه الكاوتشوك ووضع اللثام

التريكو على أنفه.

في الخارج كان الثلج مازال يتساقط، وبرطم الطبيب:

– يالها من ليلة مشئومة! أتعشم ألا تكونا قد أزعجتماني لأمر وهمي .إني أعرف القبطان "تريفيليان" جيداً. إنه يتمتع بصحة جيدة ولم أعهد قط أنه عانى يوما ما مرضًا قد يسبب له إغماءة أو خلافه. التزم "بيرنابي" الصمت. وعندما وصلوا إلى "هازيلمور". دقوا جرس الباب ولكنه ليس من مجيب، لذلك اقترح الطبيب الدخول من إحدى النوافذ. قال:

– إن الدخول من النافذة أسهل من كسر الباب. وافق الضابط "جريف" على هذا الاقتراح. توجهوا خلف المنزل. وكان على الجانب باب، حاولوا فتحه لكنه كان مغلقًا بالمفتاح. وعندما وصلوا إلى مسطحات الحفرة التي تكسوها الثلوج، أطلق الدكتور "وارين" صرخة تعجب قائلا:

– نافذة الاستديو مفتوحة؟!

فعلاً هذه النافذة المنخفضة كانت مفتوحة إلى النصف (مواربة). ليس من يفتح نافذته في مثل هذه الليلة إلا إذا كان شخصًا مجنونًا. وكان الضوء الداخلي الخافت يكشف عن شريط أصفر.

وصل الرجال الثلاثة في آن واحد. وكان "بيرنابي". هو أول من تسلق ومن بعده "الكونستابل" .عندما دخلا كانا صامتين. ثم بعد لحظة، أطلق الرائد صرخة مكتومة. في الحال أسرع "وارين" ورأى ماكان الاثنان قد شاهداه.

القبطان "تريفيليان" راقد على الأرض، منبطحا على بطنه وذراعاه مبسوطتان على شكل صليب، والفوضى واضحة في الحجرة، وجميع الأدراج مرفوعة من أماكنها، والأوراق مبعثرة؛ وكان على النافذة التي دخلوا منها آثار كسر. وكان بجوار القبطان "تريفيليان" كيس بلون أخضر غامق به رمل. جثا الدكتور بجوار جثمان "تريفيليان" ونهض بعد دقيقة واحدة وقد شحب وجهه. سأله "بيرنابي":

– هل مات؟ أومأ برأسه علامة الإيجاب، ثم التفت إلى "جريف" وقال:

– أنا تحت أمرك يا حضرة الضابط. حاليًّا ليس في وسعي إلا فحص الجثة. ولاشك في أنك تفضل أن أنتظر وصول المفتش الجنائي. والآن أقول لكما إن سبب الوفاة

من كسر أسفل الجمجمة.

ثم أشار إلى الكيس الأخضر. أردف "بيرنابي" موضحًا بصوت أجش:

– كان "تريفيليان" يستخدمه (أي كيس الرمل) لكي يمنع دخول تيار الهواء من تحت الباب.

– فعلاً.. إنه بقياس عرض الباب نفسه. وأخيراً قال "الكونستابل":

– قطعًا إنها حالة اغتيال. اتجه فوراً إلى آلة التليفون الموضوعة على المائدة وإذا بالرائد "بيرنابي" يقترب من الطبيب ويسأله:

– أفي إمكانك يا دكتور تحديد الوقت الذي تمت فيه الجريمة؟

– من حوالي ساعتين أو ثلاث على الأكثر، مرر "بيرنابي" لسانه على شفتيه الجافتين وقال:

– وهل تتوقع أنه مات في تمام الساعة الخامسة وخمس وعشرين دقيقة؟ تفرس الطبيب في وجه محدثه.

– إذا طلب مني تحديد التوقيت بالضبط أقر أنه حوالي هذه الساعة.

لكن الطبيب كان يلقي إليه بنظرات حيرة واستفسار. ارتجف الرائد وخارت قواه، وبخطى بطيئة لحق بأحد المقاعد وألقى بنفسه عليه وقد بدا على وجهه الفزع. ثم تمتم كمن يحدث نفسه: « الخامسة وخمس وعشرون دقيقة؟ يا إلهي! إذن كانت حقيقة ».

الفصل الرابع

(المفتش "ناراكوت")

في صباح اليوم التالي، تواجد رجلان في ستديو "هازيلمور" الصغير. ألقى المفتش "ناراكوت" نظرة سريعة حوله وقطب حاجبيه وقال:

– نعم، إنه هكذا. وكان "ناراكوت" يتسم في أداء واجبه بالهدوء واستخدام المنطق، وهو لايهمل أي تفصيل مهما كان بسيطًا، وما يفشل فيه الآخرون كان ينجح فيه بفضل هذه الصفات. وكان هذا الشخص الفارع ذو الطابع الهادئ يتكلم

بلهجة وديعة وبطيئة مأخوذة عن "ديفونشير" ، وعيناه تبدوان كأنهما تنظران دائمًا إلى بعيد . ولما كان قد كُلف بإجراء البحث ، نزل إلى محطة" إكسيتير" من أول قطار صباحي ، ولو كانت الشوارع ممهدة لحضر في الليل بالأتوبيس أو بالسيارة . لقد حضر هذا المفتش لفحص ستوديو القبطان "تريفيليان" بالاشتراك مع ضابط الشرطة "بولوك" أحد أعضاء قسم شرطة "إكسامبتون" .

وهذا شعاع شمس باهت يدخل إلى الحجرة في هذا الشتاء ذي البرد القارس . هناك كان سياج على بعد مائة متر من النافذة . هذا السياج يحيط بالحديقة ومن بعدها ترتفع هضبة مغطاة بالثلوج .

مرة أخرى انحنى المفتش "ناراكوت" على الجثة الراقدة على الأرض . ولأنه كان رجلاً رياضيًّا قدر قوام القبطان الفقيد "تريفيليان" ، هذا الضابط البحري الذي يبدو وكأنه لا يتجاوز الخمسين من عمره وإن كان في الحقيقة في الستين . أردف "ناراكوت" :

– هذا الموقف لا يبدو واضحًا بالمرة . جاء تعليق الضابط "بولوك" :

– آه! التفت الآخر نحوه وقال :

– أخبرني بوجهة نظرك يا "بولوك" .

– بربي . . . ثم حك الضابط رأسه . ولما كان الحذر أبرز طبع فيه لم يشأ أن يندفع قال :

– بحسب رأيي المتواضع ، لقد دخل اللص من النافذة بعد أن دفعها ثم بدأ البحث بالحجرة . في هذه الأثناء كان القبطان "تريفيليان" هنا في الجزء العلوي واللص يعتبر نفسه بمفرده في المنزل .

– أين توجد حجرة القبطان "تريفيليان" ؟

– في الطابق العلوي فوق هذه الحجرة بالضبط .

– في هذه الفترة من السنة يسود الظلام منذ الساعة الرابعة يا حضرة الضابط . فإذا كان القبطان في حجرته وهذه الحجرة مضاءة للمحها اللص وهو مقبل إلى هذه النافذة .

– أتعتقد أنه في مثل هذه الظروف ، يتمهل هذا اللص؟

– إن لم يكن هذا اللص مجنونًا فهو لا يخاطر ويقتحم منزلاً مضاء، وإذا كان أحدهم دفع بهذه النافذة، فلا بد وأنه كان يعتقد أن المنزل خال من الناس. مرة أخرى حك الضابط "بولوك" رأسه قال:

– أمر يبدو عجيبًا فعلاً، لكن في النهاية...

– دعك وهذه الفقرة يا حضرة الضابط وواصل كلامك.

– شعر القبطان بصوت في الأسفل. حينئذ نزل لاكتشاف ما يحدث. اللص يسمعه وينتزع هذا الكيس المملوء بالرمل، ويختفي خلف الباب وفي اللحظة التي يدخل فيها القبطان إلى الحجرة، يغتاله من الخلف.

– هذا الاحتمال ممكن، لقد طعن القبطان من الخلف في اللحظة التي كان ينظر فيها من النافذة، ومع ذلك هذه النظرية لا تقنعني ألبتة.

– آه!

– لا. أنا لا أثق بعمليات سطو على المنازل في الساعة الخامسة من بعد الظهر.

– لاشك في أن اللص وجدها فرصة متاحة له.

– إنها ليست مسألة فرصة. إنما في حالات السطو أين سيتجه اللص؟ إلى البوفيه للاستيلاء على الأواني الفضية التي فيه.

– مع ذلك إنها حقيقة.

– وهذه الفوضى.. وهذه الأدراج المنتزعة من أماكنها ومحتوياتها المبعثرة على الأرض؟ بناء على ذلك أرى في ذلك عذراً.

– عذر؟

– يا حضرة الضابط افحص هذه النافذة، إنها لم تُدفع..

– إنما أحدثت خربشة في الخشب من الخارج وهذه ليست سوى خدعة توحي بعملية كسر واقتحام.

فما كان من "بولوك" إلا أنه فحص بدقة النافذة، ثم نطق بقسم للتحدي. ثم قال:

– إنك على حق ياسيدي المفتش. من كان يفكر في مثل هذه الحيلة؟

– أحدهم كان يسعى إلى التمويه علينا؛ لكنه لم يفلح.

وكان للتعبير بـ"علينا" أي بالجمع أثر طيب عند الضابط. وهكذا كان المفتش يحظى بحب مرؤوسيه بهذه الدقة في الأسلوب.

– حسب رأيك، هل الجاني يعرف المكان؟ أجاب المفتش:

– نعم، ومعرفته له جيدة، وما هو عجيب هو أن السفاح اضطر إلى الدخول من النافذة. وعن تقرير "جريف" أرضية هذه الحجرة بها آثار حذاء؛ وما زاد على ذلك هو مشاهدة الثلج الذي انصهر، ولقد لاحظ "الكونستابل" هذه الآثار منذ دخوله إلى هنا مؤكداً أن المدخل كان خاليًا من أي أثر لأقدام عندما دخل هو والطبيب "وارين". في هذه الحالة، قد نتوقع أن القبطان "تريفيليان" هو الذي أدخل الجاني من النافذة، وبالتالي فهو أحد معارفه وفي إمكانك يا حضرة الضابط معرفة إذا كان للرائد أعداء بصفتك من سكان هذا البلد.

– لا أهمية لأن أكون على علم بذلك ياسيدي المفتش، لقد كان بالتأكيد ميسور الحال، ومن المعروف أنه كان سريع الغضب... بالتالي لابد وأنه كان لا يفتقر إلى أعداء. كرر "ناراكوت":

– ليس له أعداء.

– على الأقل، ليس في هذا البلد.

– هذه حقيقة... ولكننا نجهل الأحقاد التي كان قد أثارها في أثناء أداء واجبه كضابط في البحرية، وبحسب رأيي أن الرجل الذي يجعل لنفسه أعداء في إحدى المناطق لابد وأن يكون له أعداء في أي مكان إقامة آخر. على أي حال ليتنا لا نشمل الجميع في المبدأ أو الفكرة. ولنصل إلى المحرك الثاني وهو الأكثر شيوعًا في الأمور الإجرامية، اللهفة على الكسب. كان القبطان رجلاً ثريا أليس كذلك؟

– نعم. كان ميسور الحال لكنه كان بخيلاً بل ومقترًا.

– آه!! بعد قليل أبدى الضابط "بولوك":

– لولا هذه الثلوج اللعينة، لكانت آثار الأقدام دليلاً يُسَهِّل لنا عملية البحث.

– ألم يكن معه أحد آخر سواه في المنزل؟

– لا. لأن القبطان كان قد احتفظ في السنوات الخمس الماضية بخادمه نفسه- وهو شخص كان بالبحرية مثله، وفي "سيتافورد" كانت تأتيه كل يوم سيدة للقيام

بأعمال المنزل. و"إيفانز" كان مسؤولاً عن المطبخ وعن خدمة سيده. وهذا الخادم تزوج منذ شهر، الأمر الذي تضايق منه القبطان كثيراً؛ واعتقد أنه قد يكون أحد الأسباب التي جعلته يؤجر فيللته الكبيرة وكان لايرغب في بقاء أي سيدة في مسكنه. لكن "إيفانز" ظل مواظبًا على خدمته، لأنه يسكن على مقربة منه، كان يقيم في "فور ستريت" . وها هو في الحجرة المجاورة. هل ترغب في مقابلته. لقد أكد أنه غادر المنزل بالأمس في الساعة الثانية والنصف؛ لأن سيده لم يكن في حاجة إليه.

– سأستجوبه، من يدري؟ قد يفيدنا ببعض المعلومات.

ألقى الضابط "بولوك" نظرة دهشة إلى رئيسه؛ لأنه كان يجد في لهجته شيئًا من التنغيم. بدأ يقول:

– هل تعتقد؟

– إن ما أعتقده هو أن هذه المسألة معقدة أكثر مما تبدو عليه.

– كيف يكون ذلك ياسيدي المفتش؟ لكن "ناراكوت" آثر الصمت.

– تقول إن هذا الرجل هنا؟

– نعم في الانتظار في حجرة الطعام.

– حسنًا. ومن أي نوع من الناس هو؟ وكان "بولوك" يفضل الاهتمام بتفاصيل الجريمة عن الإدلاء بأوصاف رجل.

– إنه شخص متقاعد (محال إلى المعاش) بعد قضاء خدمته بالبحرية ولا يميل إلى الشجار.

– هل يحتسي الخمر؟

– ليس أكثر من المعقول.

– وبالنسبة إلى زوجته؟ قد يكون القبطان ممن يستميلون النساء...

– عن هذا أقول لا. بالعكس كان القبطان مشهوراً بأنه يكره النساء.

– وهل كان "إيفانز" مخلصًا لسيده؟

– إنه رأي الجميع. ولو كان قد خان سيده يومًا ما لذاع هذا الخبر عنه. لأن "إكسامبتون" ليست كبيرة. حينئذ أردف المفتش:

– إذاً ليس لدينا عمل هنا. سأستجوب "إيفانز"، ثم ألقي نظرة على باقي المنزل، وبعد ذلك نلتقي بالرائد "بيرنابي" في فندق "تروا كوورون" إن ملحوظته عن ساعة الاغتيال تبدو لي في غاية الغرابة. الساعة الخامسة وخمس وعشرون دقيقة . . . كيف يتمكن من معرفة الساعة التي اغتيل فيها صديقه؟

إنه يخفي عنا شيئاً ما. . حتماً. وهكذا اتجه الرجلان نحو الباب، وكان الضابط "بولوك" يتطلع إلى الورق المتناثر على الأرض ساهماً ومفكراً ثم أردف:

– أنا لا أدرك شيئاً من هذه المسرحية.

– ليس هذا الذي يربكني يا حضرة الضابط. . إنها النافذة.

– النافذة؟

– نعم، لماذا دخل السفاح من النافذة؟ وإذا كان شخصاً معروفاً لـ"تريفيليان" فلماذا لم يقرع الباب؟ ولكي نأتي حتى إلى هذه النافذة وفي مثل هذه الليلة الثلجية لابد وأن يكون له هدف. اقترح "بولوك":

– ليس من شك في أنه كان يعمل على ألا يراه أحد وهو يدخل إلى المسكن.

– لم يكن بالشارع جمهور كبير في فترة بعد ظهر أمس؛ لأن كل من لاتضطره ظروفه إلى الخروج كان يجلس بجوار النار ويستدفئ. هناك محرك آخر سوف نكتشفه في الوقت المناسب.

الفصل الخامس

("إيفانز")

نهض "إيفانز" بكل احترام عند دخول رجلي الشرطة إلى حجرة الطعام. كان هذا الشخص قصيراً وبدينا، وكان ذراعاه طويلين جداً، وله عادة أن يغلق قبضتيْ يديه إلى النصف، أما عن مظهره العام فكان يوحي بأنه شخص طيب وذكي.

في الحال لخص المفتش انطباعاته: « ذكي ومحتال وعملي. ويبدو عليه الضيق »، ثم بدأ الاستجواب:

– أنت تدعى "إيفانز" أليس كذلك؟

– بلى ياسيدي.

– وما هي أسماؤك؟

– "روبير" و"هنري"

– حسناً. ماذا تعرف عن هذا الأمر؟

– لاشيء ياسيدي. لاأعرف شيئًا. لقد توفي القبطان.

– متى كانت المرة الأخيرة التي شاهدت فيها سيدك؟

– كانت الساعة الثانية عندما تركته بالأمس. كنت قد رفعت ما بقي على المائدة بعد الغداء واحتفظت بأدوات المائدة هنا للمساء، كما ترى. وحينئذ قال لي القبطان إنه غير محتاج لي باقي اليوم.

– وما هو نظامك المعتاد؟

– عامة.آتى إلى هنا في الساعة السابعة وأظل معه حتى الساعة الثانية، وأحيانًا، ليس دائماً.. يقول لي القبطان إنه لا داعي للعودة.

– بذلك لم تكن لك مفاجأة عندما قال لك بألا تعود في المساء؟

– لا ياسيدي، لأني لم أحضر إليه الليلة السابقة كذلك بسبب رداءة الجو؛ إذ كان القبطان – رحمه الله– طيبا على ألا يقصر الشخص في أداء واجبه، كنت أعرف خصاله جيداً .

– ما الذي قاله لك بالضبط؟

– لقد نظر من النافذة قائلاً: «بالتأكيد "بيرنابي" لن يأتي اليوم. لاشك في أنه سوف يمكث في داره بسبب هذه الثلوج في "سيتافورد"، أنا لا أتذكر – منذ طفولتي– شتاء مثل هذا». كان يقصد "بيرنابي" صديقه منذ الطفولة الذي يسكن "سيتافورد". هذا الشخص يحضر طرف القبطان كل يوم جمعه ويلعبان معًا: طاولة أو تطريزاً. وفي كل ثلاثاء كان القبطان يذهب عند الرائد "بيرنابي". وكان كل منهما لا يهمل أبداً هذه الزيارة." وكان القبطان قد قال لي:« في إمكانك التغيب حتى صباح غد».

– ألم يخبرك بأنه في انتظار شخص آخر غير "بيرنابي"؟

– لا.

– ألم تجد في ذلك أمرًا غريبًا.. ليس كالمعتاد؟

– لم ألاحظ شيئًا ياسيدي.

– آه، يبدو يا "إيفانز" أنك متزوج منذ فترة قصيرة .

– نعم ياسيدي منذ شهرين.. من ابنة السيدة "بيللينج" صاحبة "تروا كورون" .

– والقبطان كان غير مؤيد لزواجك هذا؟

– لقد غضب، مع ذلك "ريبيكا" لطيفة وهي طاهية ممتازة. وكنت متوقعًا أنها ستشترك معي في خدمة القبطان، ولكنه لم يرحب بذلك قائلاً إنه لا يحتمل وجود سيدة بمنزله. وكان هذا هو الوضع عندما وفدت هذه السيدة من" إفريقيا" واستأجرت الفيللا لقضاء فصل الشتاء. ومنذ أن استقل القبطان في هذا الجناح، وأنا مواظب على الحضور يوميًّا، مع احتفاظي بالأمل في أنه سوف يعدل عن رأيه ويجعلنا معًا أنا و"ريبيكا" في خدمته، بعد عودته إلى"سيتافورد"، هناك قد لا يشعر بوجود زوجتي في المنزل؛ لأنها كانت تعمل على التواجد دائمًا بالمطبخ بحيث ألا يراها أبداً. كما أنها كانت تعتزم العمل على عدم ملاقاته حتى على السلم.

– وهل تعرف سر كراهية القبطان للنساء؟

– لا.. إنما أعتقد أنه نوع من الخجل– قد تكون صدمة في شبابه هي التي تسببت له في هذا الإحساس

– والقبطان غير متزوج؟

– نعم ياسيدي.

– هل له أسرة؟ .

– نعم، أخت تعيسة في "إكسيتير" . ويبدو لي أني سمعته يذكر أحد أبنائها أو أكثر من واحد .

– وهل يأتون لزيارته؟

– لا. يا سيدي. عندي فكرة بأنه ليس على وفاق مع أخته.

– ما اسمها؟

– السيدة "جاردنر" .

– هل تعرف عنوانها؟

– لا ياسيدي.

– من الممكن أن نعثر عليه في أوراق القبطان.. أخبرني يا"إيفانز"، ما الذي فعلته بالأمس بدءا من الساعة الرابعة؟

– مكثت في منزلي ياسيدي.

– أين تسكن؟

– على ناصية الشارع ياسيدي ،85 "فور ستريت".

– ألم تخرج منه قط في تلك الليلة؟

– نعم ياسيدي، لم أخرج؛ لأن الثلوج كانت تتساقط بشدة.

– نعم، أعلم ذلك. هل من شهود على أقوالك؟

– المعذرة ياسيدي؟

– هل هناك من يؤكد لي أنك لم تخرج من المنزل في المساء؟

– زوجتي ياسيدي.

–كنتما بمفردكما في المنزل؟

– نعم ياسيدي.

– حسنًا، هذا ما كنت أريد معرفته حاليًّا يا "إيفانز".

تردد البحَّار السابق ثم أردف:

– أليس في إمكاني أن أقدم لك أي مساعدة ياسيدي...؟ بأن أعيد النظام إلى الحجرة... مثلاً؟

– لا... ينبغي أن يبقى الوضع على ماهو عليه.

– حسنًا ياسيدي.

– لاتنصرف قبل أن أقوم بمعاينة المنزل كله. ربما أحتاج إلى استجوابك في أمر ما.

– سمعًا ياسيدي. مسح المفتش حجرة الطعام بنظره. كانت وجبة العشاء موضوعة على المائدة: لسان بارد ، وجبن، ومخلل ، وبسكويت، وبالقرب من المدفأة وعلى سخان كسرولة بها شوربة خضار. وعلى البوفيه، لاحظ حاملا

للمشروبات الكحولية وزجاجة بيرة وبعض الكؤوس وروايتين جديدتين، أمسك المفتش بأحد الكؤوس وقرأ ما عليه، ثم أردف معلقًا:

– حقًّا كان هذا القبطان رجلاً رياضيًّا.

– بالتأكيد ياسيدي. بعد ذلك قرأ المفتش عنوانيْ الروايتين: " قرار الحب"، " وليرون ولانكولان أسيرا الحب".

– هيه. إن ذوق القبطان للأدب يثير عندي الشكوك. ضحك "إيفانز" وقال:

– آه ياسيدي. هذان الكتابان ليسا للقراءة؛ لأن سيدي كسبهما في مسابقة لإحدى الصحف. كان القبطان قدأرسل عشر إجابات لهذه المسابقة على عشرة عناوين مختلفة من بينها عنواني ظنًّا منه أن"فور ستريت" عنوان جيد قد يحصل على جائزة، وفعلاً كسبت.. لكن لم أكسب الألفي جنيه الإسترليني قيمة هذين الكتابين. ابتسم "ناراكوت" وطلب من "إيفانز" ألا ينصرف، ثم واصل التفتيش. وكان بالحجرة دولابًا كبيرًا عندما فتحه رأى أدوات كثيرة خاصة بالرياضات المختلفة:

قبقاب للتزحلق على الجليد، صنارات للصيد، وعصيّ للعبة الجولف، ومضرب للتنس، وقائمة فيل بها قش، وجلد نمر.

وكان في ذلك دليل على أن القبطان رفع كل هذه الأشياء من منزله قبل تأجيره. قال المفتش معلقًا:

– فكرة عجيبة أن يرفع كل ذلك من مسكنه الذي أجره لعدة أشهر فقط، أليس كذلك؟!

– فعلاً يا سيدي لأشهر الشتاء فقط.

– كان في إمكانه تركها في "سيتافورد" وأن يغلق عليها، أليس كذلك؟ مرة أخرى مط "إيفانز" شفتيه وقال:

– فعلاً كان من السهل، وما أكثر عدد الدواليب هناك. وكم وجدنا من صعوبة في نقل هذه الأشياء إلى هنا! لكن القبطان كان يخشى من أن يلمسها أحد، وكان كثيرًا مايردد وجوب الحرص على أن يكون الدولاب مغلقًا بالمفتاح، وأخيرًا قال:

– من يدري؟ قد يدفع الفضول هذه السيدة إلى فتح الدولاب. كان سيدي متمسكًا بهذه الأشياء كحدقة عينه. وتوقف "إيفانز" عن الكلام. حك المفتش

رأسه وقد بدا مفكراً، لقد وجد أن الفرصة مواتية للحصول على ضوء لموضوع يشغله، لذلك سأل "إيفانز":

– القبطان يعرف السيدة "ويليت" منذ زمن بعيد، أليس كذلك؟

– آه.. لا.. بالمرة ياسيدي إنها غريبة.

– هل أنت متأكد؟

– إني واثق ياسيدي.

– أوجه إليك هذا السؤال لأن أمر التأجير شاذ إلى حد كبير، من جانب آخر،إذا كانت السيدة "ويليت" تعرف القبطان "تريفيليان" لأرسلت إليه خطاباً تعرض عليه فيه مطلبها.

– إنها وكالة "ويليامسون" التي أرسلت إلى القبطان خطاباً تخبره فيه بأن سيدة ترغب في استئجار فيللته. حينئذ قطب المفتش حاجبيه؛ لأن استئجار مسكن في "سيتافورد" في فصل الشتاء بدا له أمراً شاذاً.

– وبالتأكيد القبطان والسيدة "ويليت" تقابلا أعتقد ذلك.. أليس كذلك؟

توقف المفتش برهة وقال:

– بلى.

– وهل كانا متفاهمين، هل كانا يبديان مودة الواحد نحو الآخر؟

– كانت السيدة تحرص على أن تبدو ودودة، وأخذت تتأمل المنزل من حيث الإنشاء وما به من أثاث ومعدات.

– والقبطان؟ ارتسمت حينئذٍ ابتسامة عريضة على شفتي "إيفانز" وأردف قائلاً:

– هذا النوع من السيدات لايؤثر في القبطان، وكان يحدثها بكل أدب واحترام، ليس أكثر من ذلك، ورفض كل المواعيد التي حددتها لدعوته.

– إذن عملت على دعوته؟

– وكم كانت متمسكة بذلك! تساءل المفتش كثيراً عن سر مجيء هذه السيدة إلى هذه القرية واستئجارها لهذه الفيللا، وهل كانت حيلة أو وسيلة للتقرب فحسب من القبطان؟ لاشك في أنها كانت لاتشك في أنه سيذهب حتى إلى

"إكسامبتون" ويقيم هناك. كانت قد فكرت في أنه سوف يقيم في أحد المنازل الصغيرة القريبة من القصر... أو أنه سوف يشارك الرائد "بيرنابي" في سكنه.

لكن إجابة" إيفانز"له لم تفده بشيء.

– إنها سيدة مضيافة جداً؛ لا يمر يوم إلا وعلى مائدتها مدعوون.

فما كان من "ناراكوت" بعد سماعه هذه المعلومات، إلا أن قرر أن يكون له لقاء بهذه السيدة، أي مع السيدة "ويليت"؛ لأن مجيئها المفاجئ إلى هذا البلد جدير بالدراسة. قال:

– هيا بنا يا"بولوك" نرى الطابق العلوي. وهكذا تركا "إيفانز" في حجرة الطعام وصعدا إلى الطابق العلوي.

سأله المفتش:

– ما رأيك في الموقف ياسيدي؟ وما رأيك في الخادم؟

– إنه يبدو شريفًا.. لكن من يدري؟ على أي حال إنه ليس غنيًّا.

– لا .بل أجده ذكيًّا.

– أقواله واضحة ويبدو لي أنها تتسم بالصراحة. ومع ذلك لا ينبغي التسرع في الحكم على المظاهر.

إثر هذا التعليق عمل المفتش على تفقد حجرات الطابق الأول: ثلاث حجرات نوم وحمام. حجرتان منهما فارغتان، ولاشك في أنه لم يدخلهما أحد منذ عدة أسابيع. والحجرة الثالثة يشغلها القبطان"تريفيليان" وهي مرتبة. قام المفتش بفتح الدواليب والأدراج. كان كل ما بداخلها مرتبًا في عناية ودقة. وأنهى المفتش جولته بالحمام، حيث النظافة التامة والترتيب. ثم ألقى نظرة أخيرة على السرير والملاءة مطوية، والبيجاما معلقة على المشجب. قال:

– ليس من شيء هنا يحتاج إلى التعليق.

– لا، كل شيء واضح.

عليك يا "بولوك" أن تلقي نظرة على الأوراق الموجودة بالمكتب في الاستديو. ومن الممكن أن تصرف "إيفانز"، وإذا ما كنت في حاجة إليه سأذهب إليه في بيته.

– سمعًا يا سيادة المفتش.

– والآن ممكن رفع الجثة. سأمر في أثناء عودتي على الطبيب "وارين". أعتقد أنه يسكن بالقرب من هنا. أليس كذلك؟

– بلى.

– من هذا الجانب بالقرب من "تروا كورون"؟

– لا، من الجانب الآخر.

– حسنًا، سأتوجه أولاً إلى الفندق، واصل أنت عملك يا حضرة الضابط.

دخل "بولوك" إلى حجرة الطعام لكي يصرف "إيفانز"، أما المفتش الذي خرج بخطى سريعة فقد توجه إلى فندق "تروا كورون".

الفصل السادس

(في «تروا كورون»)

اضطر المفتش إلى احتمال ثرثرة السيدة "بيللينج" صاحبة فندق "تروا كورون"، قبل لقائه بالرائد "بيرنابي". كانت لهذه السيدة البدينة قدرة على جعلك مضطرًا إلى الإصغاء إليها حتى تنتهي من سرد كل ماعندها من معلومات للثرثرة ليس إلا وكان ختام كلماتها:

– آه ياسيدي، من كان يفكر في أن مثل هذه المصائب تلحق بالسيد "تريفيليان"، يالهم من متشردين ملاعين! والقبطان لم يكن لديه كلب واحد للحراسة، وأولئك الرعاع يخشوْن الكلاب. يا إلهي! إننا نجهل مايدور على بعد عشرين مترًا منا.

– هل الرائد موجود؟

– نعم يا سيد "ناراكوت". إنه يتناول غداءه، في هذه اللحظة ستراه في حجرة الطعام. المسكين. تُرى أي ليلة قضاها وليست له بيجاما؟ وبما أني أرملة لا أستطيع منحه واحدة، أليس كذلك؟ لقد تأثر كثيرًا لوفاة صديقه وأصبح غريب الأطوار؛ إذ إنهما كانا صديقين حميمين، غير أن المتوفى كان مقترًا جدًا. كثيرًا ما حدثت نفسي بأن الإقامة في "سيتافورد" فيها خطورة كبيرة. وها هو القبطان قد أتى إلى "إكسامبتون" لكي يلقى فيها مصرعه. حقًّا أن القدر يلحق بنا أينما تواجدنا.

– فعلاً ياسيدتي. هل كان عندك بعض الغرباء عن البلد ليلة أمس؟

– انتظر قليلاً. كان عندي السيد "موريسبي" والسيد "جون"، وهما تاجران، وشاب لندني. هذا كله، إنك أعلم الناس بأن الجو هادئ في هذه الفترة من السنة ... آه، لقد نسيت الشاب الذي وصل في آخر قطار. مازال نائماً.

– في آخر قطار، قطار الساعة العاشرة؟ لا داعي لإزعاجه لكن هل تعرفين الشاب الوافد من "لندن"؟

– لقد رأيته بالأمس للمرة الأولى. لكن هذا الشخص ليس من التجار المسافرين... وهذا واضح من تصرفاته. لقد نسيت اسمه. من الممكن أن تجد اسمه في السجلات. لقد أخذ القطار المتجه إلى "إكسيتير" صباح اليوم في الساعة السادسة وعشر دقائق. ولقد تساءلت عن سبب مجيء هذا الشخص الغريب إلى هنا.

– ألم يكشف لكِ عن شخصيته أو عمله؟

– لا.

– وهل خرج؟

– نعم. لقد وصل إلى هنا وقت الغداء وخرج حوالي الساعة الرابعة والنصف، ثم عاد حوالي الساعة السادسة وعشرين دقيقة.

– وإلى أين ذهب خلال هذه الفترة؟

– ليست لي أبسط فكرة عن ذلك. لاشك في أنه خرج للقيام بنزهة قصيرة. وإن كانت هذه هي الفترة التي كانت الثلوج لا تتساقط فيها، إلا أن الطقس كان لا يشجع على الخروج للنزهة.

– تقولين إنه خرج في الرابعة والنصف وعاد في السادسة وعشرين دقيقة. أمر يبدو لي عجيباً. وألم يذكر شيئاً عن القبطان "تريفيليان"؟

هزت السيدة "بيللينج" رأسها بحمية وقالت:

– لا يا سيد "ناراكوت". لقد بدا صامتا في البداية وكان مبتعداً عنا.. فهو شاب أنيق ووسيم ولكنه يبدو قلقاً. حينئذ أمسك المفتش بسجل الفندق.

– "جيمس" بيرسون". "لندن". أنه اسم لا يفيدنا بما فيه الكفاية، لذلك لابد

من التحري عنه.

ثم توجه إلى حجرة الطعام حيث وجد الرائد "بيرنابي" بمفرده. كان يشرب قدحًا من القهوة الشرقية ممسكًا بجريدة الـ"تايمز".

– المعذرة يا سيدي. سيادتك الرائد "بيرنابي"؟

– نعم ياسيدي.

– أنا مفتش قسم "إكسيتير" "ناراكوت".

– صباح الخير يا سيادة المفتش. هل العملية تتقدم؟

– نعم، أعتقد أنه في إمكاني إثباتها بلا خوف. أردف الرائد وقد بدا غير مصدق قوله:

– حسنًا.

– قد يكون في وسعك يا سيد "بيرنابي" منحي بعض المعلومات عن نقطة أو نقطتين؟

– سأقوم بذلك على قدر استطاعتي.

– حسبما لك من معرفة بالقبطان "تريفيليان" هل كان له أعداء؟

– ولا واحد في الدنيا.

– وهل تعتبر "إيفانز" – الخادم – رجلاً شريفًا؟

– بالتأكيد، وكان "تريفيلان" يضع فيه ثقته كاملة.

– ألم تحدث خلافات بينهما بشأن زواج "إيفانز"؟

– لا بالمرة؛ غاية ما في الأمر أن "تريفيليان" كان يخشى أن يكون زواج "إيفانز" سببًا في تغيير عاداته بالنسبة إلى العمل عنده.

– بالمناسبة، القبطان لم يسبق له زواج قط. أليس كذلك؟أفي إمكانك مساعدتي بأن تخبرني بما إذا كان قد ترك وصية أم لا؟ أو عمّن سيرث ثروته؟ هنا أسرع الرائد في الرد عليه:

– لقد كتب "تريفيليان" آخر رغباته.

– آه! . . إذن أنت على علم.

– أمر طبيعي طالما أوصاني بتنفيذ وصيته.

– ومن هو الوراث؟

– لا أستطيع تحديده.

– وهل كان ثريًّا؟

– "تريفيليان" كان في حالة ثراء كبيرة تفوق ما يتصوره أي فرد في البلد.

– وهل له عائلة؟

– نعم، له أخت وأعتقد أبناء وبنات أخت. وكان لا يلتقي بهم كثيرًا، لكن ليست بينهم أية خلافات .

– وأين وصيته؟

– إنها موضع دراسة مع السيدين "والتر وكيركوود". الموثقان في "إكسامبتون".

– ياسيد "بيرنابي". بما أنك المنفذ لوصية الفقيد هل في إمكانك أن تصطحبني عند هذين الرجلين؟ لأني في حاجة إلى معرفة مضمون الوصية بأسرع ما يمكن. رفع "بيرنابي" رأسه وقال:

– ما الذي يحدث؟ هل ستكون الوصية موضع اعتبار بالنسبة إلى التحقيق؟

– الموضوع مازال غامضًا أمامنا. أمامي سؤال آخر أود أن أوجهه إليك. يبدو يا سيدي أنك سألت الدكتور "وارين" عمّا إذا كانت الوفاة قد تمت في الساعة الخامسة وخمس وعشرين دقيقة؟ سأله الرائد "بيرنابي" على الفور؟

– وبعد؟

– ماهو الدافع الذي جعلك تحدد هذه الساعة؟

– ماذا؟

– هل عندك فكرة محددة بشأن هذه الساعة بالتحديد؟

– كان في إمكاني أن أقول إنها الساعة السادسة إلا خمسًا وعشرين دقيقة أو الرابعة والنصف. أردف المفتش:

– من البديهي. لم يشأ المفتش مضايقة الرائد في هذه اللحظة، كما كان عليه إنهاء التحقيق أوعلى الأقل الحصول على أكبر قدر من المعلومات قبل نهاية النهار.

– أنا مازلت حائرًا بالنسبة إلى أمر تأجير الفيللا يا سيادة الرائد.

– وأنا كذلك إذا كان يهمك معرفة رأيي.

– آه!

– وهو رأي الجميع هنا .

– في "سيتافورد" ؟

– في "سيتافورد" وفي "إكسامبتون" يبدو أن هذه السيدة مجنونة.

– أذواق وألوان...

– ذوق عجيب لهذه السيدة..

– هل تعرفها جيداً؟

– نعم، كنت عندها وقت..

– أي وقت؟ هكذا سأله في الحال المفتش عندما توقف الرائد عن الكلام.

– لاشيء.

تفرس فيه المفتش طويلاً؛ إذ إنه لمح ما طرأ عليه من ارتباك. كان "بيرنابي" موشكًا على الإدلاء بأمر ما والمفتش لابد أنه يهتم بكل كلمة.

«كل شيء في أوانه. الموضوع في حاجة إلى صبر» هكذا جاء تفكير" ناراكوت"، ثم بنبرة جعلها بسيطة جداً سأله:

– إذن كنت وقتئذ في قصر"سيتافورد" . منذ متى تقيم هذه السيدة في منزل القبطان؟

– منذ حوالي شهرين.

وإذا كان الرائد يسعى إلى إخفاء ما صدر منه من اندفاع في الكلام، فقد أبدى لباقة في حديثه. سأله المفتش:

– هذه السيدة تقيم بالفيللا مع ابنتها، أليس كذلك؟

حكّ الرائد أنفه. وأجاب :

– بلى وهي تكثر من الكلام... تتحدث عن جمال الطبيعة.. وحب العزلة وأكثر من ذلك. وعلى الرغم من ذلك... توقف بحثًا عن كلمات؛ لذلك عاونه المفتش بسؤاله إياه:

– وهل أنت لا ترى في عزلتها في "سيتافورد" وضعًا طبيعيًّا؟

– فعلاً، بالنسبة إلى سيدة ثرية ترتدي من الثياب ما هو آخر موضة ولها ابنة

جميلة، كان في إمكانها التوجه إلى الـ"ريتز" أو الـ"كلاريدج".

– غير أنهما ليستا في عزلة تامة، أي أنهما لا تسعيان إلى الابتعاد عن الأنظار، أليس كذلك؟

– آه! لا بالمرة، إن في قرية مثل "سيتافورد" لا يمكن للشخص ادعاء ارتباطه بزيارات أخرى لرفضه دعوة تقدمها له؛ بذلك يكون الموقف أكثر حرجًا.

– لاشك في أن السبب في ذلك هو تأثير إقامتهما في المقاطعات؟

– أعتقد ذلك.

– وهل تتوقع أنها كانت هي وابنتها تعرفان القبطان من قبل؟ وجهة نظر جديدة، عمل الرائد على تقييم فكرتها في دقيقة وقال:

– صدقني. لم أفكر في هذا الأمر. لقد حضرتا فجأة، ومن يدري؟ قد تكون هذه هي عادتهما. بالإجماع إنهما مضيافتان كسائر سكان المقاطعات.

– أفهم ذلك. وهل القبطان "تريفيليان" هو الذي شيَّد قصره بنفسه؟

– نعم.

– ولم يسكنه أحد قبل ذلك؟ أي أنه لم يؤجره قبل هذه المرة؟

– قط.

– إذن ليس المنزل هو الذي جذبهما، ياله من لغز! أراهن أنه لا علاقة لذلك بالجريمة؛ ومع ذلك فهي مصادفة غريبة. وما بالك بالمنزل الذي استأجره القبطان؟

– إن "هازيلمور" تمتلكه الآنسة "لاربنت"، وهي سيدة متوسطة في العمر تقضي فصل الشتاء في بنسيون إحدى العلائلات في "شيلتنهام". وهي عامة تغلق منزلها، وإذا أتيحت لها فرصة تأجيره، فهي لا تمانع. وهو نادراً ما يحدث.

وبالتأكيد لم يستفدالمفتش كثيراً من هذه المقابلة فكان أن حكّ رأسه وقد بدا محبطا.

وأخيراً وجه إليه هذا السؤال:

– ولقد تم تحرير عقد الإيجار في وكالة "ويليامسون"، أليس كذلك؟

– نعم.

– في "إكسامبتون"؟

– بالضبط. المكتب على بعد خطوات من الموثق.

– في هذه الحالة ياسيدي– ألا يزعجك أن نذهب لمقابلتهما؟

– هذا إذا شئت يا سيدي المفتش. وللعلم لن نتمكن من مقابلة السيد "والتر" في مكتبه قبل الساعة العاشرة.

– أترغب في أن نتوجه فوراً إلى الوكالة؟ في هذه اللحظة كان الرائد قد انتهى من تناول إفطاره. فنهض وتبع الضابط.

الفصل السابع

(الوصيَّة)

عندما وصلا إلى مكتب وكالة "ويليامسون"، نهض شاب تبدو عليه سمات اليقظة لاستقبالهما.

– صباح الخير يا رائد "بيرنابي".

– صباح الخير.

– جريمة بشعة. أليس كذلك؟ لم تحدث مثلها في "إكسامبتون". هكذا بادرهما الشاب وهو على أتم الاستعداد لتبادل الحديث أوقفه الرائد عن الاستمرار في حديثه بقوله:

– أقدم لك المفتش "ناراكوت".

– تشرفنا. قال المفتش:

– أفي وسعك موافاتي ببعض المعلومات؟ هل أنت من قام بتأجير قصر "سيتافورد"؟

– لحساب السيدة "ويليت"؟ نعم.

– تكرم بمنحي التفاصيل الكافية عن هذا العقد. هل حضرت السيدة عندك أم أنه تم بالمراسلة؟

– بالمراسلة. لقد كتبت إليَّ هذه السيدة.. انتظر.. (فتح الدرج وتناول ملفًا) ثم قال:

– كتبت لي من فندق "كارلتون" في "لندن".

– وهل كانت تحدد قصر "سيتافورد" في خطابها؟

– لا، كانت ترغب في قضاء فصل الشتاء في "دارتنسون" وتطلب الإقامة في منزل مكون على الأقل من ثماني حجرات نوم، وبالقرب من محطة قطار أو من مدينة، وهذا كان لايهم كثيراً.

– وهل كان قصر "سيتافورد" مسجلاً عندك؟

– لا، لكنه المنزل الوحيد في الضاحية الذي يشتمل على هذه المواصفات، لذلك فكرت في التوجه إلى القبطان "تريفيليان" وعندما وافق تم تحرير العقد.

– وهذا دون أن تقوم هذه السيدة بزيارة الفيللا؟

– لا، لقد وافقت بالمراسلة ووقعت على العقد. وهكذا وصلت ذات يوم إلى هنا، وطلبت التوجه إلى "سيتافورد" وتم بينها وبين القبطان الاتفاق على كل ماهو بالداخل: الفضيات والمفروشات... إلخ، كما أنها قامت بزيارة المسكن.

– وهل بدت مسرورة؟

– عند عودتها إلى المكتب أعلنت أنها أُعجبت كثيراً بهذا القصر. تفرَّس فيه المفتش وسأله:

– وماذا كان انطباع ذلك عندك؟

– لقد اعتدنا في مهنتنا هذه– ألا ندهش لشيء. وهكذا انصرف المفتش ومعه الرائد "بيرنابي" إثر هذه الإجابة الفلسفية، وولجا كلاهما في المنزل المجاور حيث تم دراسة السيدين "والتر" و"كيركوود" للموضوع، أُعلِن بأن السيد "كيركوود" وصل ثم أدخلوه إلى المكتب. كان السيد "كيركوود" رجلاً ناضجًا وهو من مواليد "إكسامبتون"، وهو من خلف جدّه ووالده في هذه الدراسة. نهض وصافح الرائد قائلا:

– صباح الخير يا سيد "بيرنابي"، إنه لخبر مؤسف عن هذا المسكين "تريفيليان". ثم ألقى نظرة مستفسرة إلى المفتش "ناراكوت" وفي الحال قدم له "بيرنابي" المفتش.

– آه! سيادتك المسؤول عن التحقيق في هذه الجريمة؟

– نعم يا سيد "كيركوود" ولقد حضرت إلى هنا طالبًا منك إلقاء الضوء على

بعض الأمور. أجاب الموثق:

– بكل سرور يا سيدي.

– المطلوب هو الاطلاع على الوصية وهي في حيازتك على ما أعتقد؟

– بالضبط.

– وهل هي عندك منذ فترة طويلة؟

– حوالي.. منذ خمس إلى ست سنوات.

– الآن أنا في حاجة إلى الاطلاع على مضمون هذه الوصية الخاصة بالقبطان "تريفيليان"؛ لأنها قد تكون مفيدة لنا.

– حقًّا؟ لم أتوقع ذلك ومع كلٍّ هذا من حقكما يا سيدي. ثم ألقى نظرة إلى الرائد وقال:

– إننا: أنا والسيد "بيرنابي" من سيقومان بتنفيذ الوصية التي سلمها لنا القبطان "تريفيليان". إن لم يكن هناك مانع...

–لا. لا

– ليس من مانع لعرض الوصية عليك يا سيدي المفتش. ثم رفع سماعة التليفون الموضوع على مكتبه وفاه ببعض الكلمات من بعدها حضر الموظف حاملاً مظروفًا مختومًا بالشمع وسلمه إلى رئيسه، وبعد أن خرج هذا الموظف فتح السيد "كيركوود" المظروف وسحب منه الوثيقة وتنحنح ثم بدأ قراءتها:

«أنا "جوزيف" – "آرثر" "تريفيليان" المقيم بقصر "سيتافورد" في مقاطعة "ديفون"، بتاريخ 13 آب (أغسطس) عام 1926، أعلن أن هذه هي آخر رغبة لي:

بند أول: لقد عينت "جون إدوارد بيرنابي" المقيم في "ليه كوتاج" في "سيتافورد"، والسيد "فريدريك كيركوود" الموثق في "إكسامبتون" لتنفيذ وصيتي.

البند الثاني: أوصي بمنح "روبرت هنري إيفانز" – خادمي المخلص والأمين– مبلغ مائة جنيه. هذا إذا كان مازال في خدمتي ولم يتركني.

البند الثالث: أوصي بمنح السيد "جون إدوارد بيرنابي" – تعبيرًا عن صداقتنا

الوفية- كل ما كسبته في المسابقات الرياضية- جميع الجوائز- من كؤوس وجلود نمور وغيرها.

البند الرابع: أوصي بما لي من عقارات إلى منفذي وصيتي حتى يقوما ببيعها.

البند الخامس: ومن عائد البيع على منفذي الوصية سداد نفقات جنازتي وحقوق ورثتي وسداد الديون إذا كان عليّ ديون، ثم يعملان على توزيع ما بقي على النحو الوارد في البند التالي.

البند السادس: عليهما- أي المنفذين- أن يعملا على تقسيم مابقي من المبلغ إلى أربعة أجزاء.

البند السابع: جزء يؤول إلى أختي والأجزاء الثلاثة الأخرى توزع على أبناء أختي "ماري بيرسون" المتوفاة وهم ثلاثة.

أقر أنا "جوزيف آرثر تريفيليان" بأن هذه الوصية هي آخر رغبة لي.

إمضاء صاحب الوصية بحضور شاهدين قاما هما أيضًا بالتوقيع.

بعد انتهاء السيد "كيركوود" من قراءة هذه الوثيقة ناولها إلى المفتش قائلاً:

– لقد تم التوقيع على هذا العقد بحضور اثنين من العاملين عندي. عندما ألقى المفتش نظرة على مضمون الوصية. توقف عند الآتي:

« أختي المتوفاة السيدة "بيرسون" » حينئذ سأل السيد "كيركوود":

– هل في إمكانك منحي معلومات عن هذه السيدة "بيرسون"؟

– لقد توفيت منذ عشر سنوات وكان زوجها قد توفي قبلها. وما أعرفه هو أنها لم يسبق لها المجيء إلى هنا لزيارة القبطان "تريفيليان"...

– "بيرسون"... هكذا أخذ المفتش يكرر. ثم أضاف:

– الوصية لم تظهر قيمة ثروة القبطان "تريفيليان". هل تستطيع تقديرها؟ أجابه السيد "كيركوود" على غرار رجال القانون وكان يسعى إلى تعقيد أبسط الأمور:

– من الصعب الإجابة عن هذا السؤال. كان للقبطان أيضًا – بالإضافة إلى قصر "سيتافورد" أملاك في ضواحي "بلايماوث"، وقيمة توظيف بعض رؤوس الأموال، وهي متغيرة العائد.

– أنا لا أريد سوى معرفة مبلغ تقريبي.

– أنا لا أريد الاندفاع...

– مثلاً. 20 ألف جنيه،أم أنه مبالغ، فيه؟

– يا سيدي الفاضل، إن ثروة القبطان تعادل أربعة أضعاف هذا المبلغ؛ لأنك إذا قلت 80 ألفًا أو 90 ألفًا بذلك تقترب من الحقيقة. أردف "بيرنابي" قائلاً:

– لقد أخبرتك قبل ذلك بأن "تريفيليان" كان غنيًا. ونهض المفتش "ناراكوت" وهو يقول:

– أقدم لك جزيل شكري يا سيد "كيركوود" على حسن استقبالك ومعاونتك لي. سأله "كيركوود":

– وهل تعتقد أن هذه المعلومات سوف تساعدك على اكتشاف الجاني؟ للأسف لم يكن المفتش في حالة مزاجية تسمح له بإرضاء فضول الموثق.

– في مثل هذه الحالات لا ينبغي إهمال أي احتمال. بالمناسبة، هل تعرف عنوان "جينيفر جاردنر"؟ وكذلك أسرة "بيرسون"؟

– أنا لا أعرف شيئًا عن أسرة "بيرسون" أما عن السيدة "جاردنر" فإن عنوانها: "لي لوريه" طريق "فالدون" في "إكسيتير".

في الحال سجل المفتش هذه المعلومة على المفكرة التي بيده، ثم سأل.

– وهل تعرف عدد الأطفال الذين تركتهم السيدة "بيرسون"؟

– إنهم ثلاثة، يبدو لي أنهم بنتان وولد أو ربما ولدان وبنت.. لا أتذكر جيداً. أعاد المفتش مفكرته إلى جيبه واستأذن من رجل القانون وانصرف.

بعد قليل، وهو في بداية الطريق، التفت إلى رفيقه ونظر في عينيه وسأله:

– الآن ونحن على انفراد، أخبرني عن أمر الساعة الخامسة وخمس وعشرين دقيقة.

علت الحمرة وجه الرائد "بيرنابي" في الحال وقال.

– لقد سبق أن أجبتك عن هذا السؤال.

– لكنها إجابة لا ترضيني. إنك تخفي عني الحقيقة، من المستحيل يا سيدي الرائد أنك تذكر هذه الساعة بالتحديد بلا أي مبرر للدكتور، وأعتقد أني خمنت ما تحتوي عليه هذه المعلومة.

– وإذا كنت تعلم، لماذا تسأل؟

– إن شخصًا ما أتى لزيارة القبطان "تريفيليان" في هذه الساعة المحددة... وأنت تعرفه.

التزم الرائد بالصمت. ثم قال ثائرًا:

– إني أعترض على هذه الفكرة؛ لأني لا أعرف عن الأمر شيئًا.

– تُرى، هل أنت واثق بكلامك؟ هل تعرف السيد "جيمس بيرسون"؟

– من هو هذا الـ"جيمس". هل تقصد أحد أبناء أخت "تريفيليان"؟

– بلا شك. لقد كان له ابن أخت باسم "جيمس".

– هذا ما أجهله. أعلم أن له أبناء أخت ولا أعرف أسماءهم.

– هذا الشاب نزل في فندق "تروا كورون" وقضى هناك ليلة أمس. هل عرفته؟

– أنا لا أعرف أحدًا. هذا بالإضافة إلى أني لم أتقابل قط مع أبناء أخت "تريفيليان".

– لكنك كنت تعلم أن القبطان كان في انتظار زيارة أحد أبناء أخته في فترة بعد ظهر أمس؟ حينئذ ثار الرائد قائلاً:

– أؤكد لك لا. في هذه الأثناء التفت إليه بعض المارة. ثم أردف قائلا:

– إني متعجب جدًّا؛ لأنك ترفض تصديقي يا سيدي المفتش! لم أتوقع أنه كان في انتظار أحد أبناء أخته. كان من الممكن أن يقيموا في "تومبوكتو" إرضاء لي.

تملكت الدهشة المفتش "ناراكوت". إن اللهجة التي تكلم بها الرائد مع انفعاله يؤكدان صدق أقواله.

– إذًا ما معنى الساعة الخامسة وخمس وعشرين دقيقة؟

– من الأفضل أن أسرد عليك القصة كاملة. أردف المفتش:

–أنا لا أعتقد في هذه الخزعبلات. وكل رجل عاقل لا يمكن أن يعتقد فيها.

وواصل الرائد كلامه وقد ازداد حرجًا:

–إنك تدرك ياسيدي أنه كثيرًا ما يضطر المرء إلى الخضوع بالاشتراك في مثل هذه الألعاب إرضاء للسيدات.

–أي الألعاب تقصديا سيد "بيرنابي"؟

– لقد جعلنا المائدة تدور.

–آه!. وهكذا– مع الحرص على إظهار عدم ثقته بهذه الأمور– واصل سرد أحداث الليلة السابقة في قصر "سيتافورد" عند السيدة التي استأجرت مسكن القبطان "تريفيليان" وكرر الرسالة التي أدلت بها المائدة. وقف المفتش حائرًا وهو يقول:

–المائدة نطقت بحروف اسم "تريفيليان" معلنة إياكم اغتياله! جَفَّف "بيرنابي" جبينه.

–صدقني– وهو أمر طبيعي– أنا لم أصدق كلمة واحدة. ولما كان هذا اليوم هو يوم الجمعة قررت الذهاب إلى "إكسامبتون" للتحقق مما يدور عند صديقي "تريفيليان".

لابد أن الرائد تأثر لهذه الرسالة على الرغم من عدم إيمانه بمثل هذه الأمور، وإلا ما كان قد تكبد مشقة السير على قدميه في ليلة عاصفة وقطع مسافة عشرة كليومترات. هكذا جاء تفكير المفتش "ناراكوت" دون أن يتمكن هو أيضًا من تفسير مثل هذه الظواهر. على أي حال إنها المرة الأولى التي تواجد فيها أمام مثل هذا الحدث الفريد من نوعه. وإذا كان إعلان المائدة يوضح موقف الرائد ووصوله إلى "إكسامبتون" ومع ذلك لا صلة للمائدة بالجريمة، المفتش "ناراكوت" لا يعتمد في بحثه على الأمور الخفية، إنه في حاجة إلى أدلة ملموسة. ومهنته تتلخص في الكشف عن الجاني، وللنجاح في هذه المهمة، لا حاجة له إلى الالتجاء إلى التنجيم.

الفصل الثامن

(السيد "شارل إندربي")

النظرة التي ألقاها المفتش "ناراكوت" إلى ساعة يده أعلمته بأنه إذا أسرع الخطى يستطيع أخذ قطار إكسيتير؛ لأنه كان يرغب في لقاء أخت القبطان "تريفيليان" للحصول منها على عنوان باقي أفراد أسرة الفقيد، لذلك اختصر عبارات الوداع مع الرائد "بيرنابي" وتوجه بسرعة إلى المحطة.

وعاد الرائد إلى "تروا كورون"، وفور وصوله اقترب منه شاب أنيق ذو وجه مستدير، وبادره بقوله:

– الرائد "بيرنابي"؟

– بالضبط.

– رقم 1 من منازل "سيتافورد" الريفية؟

– نعم.

كشف الشاب عن شخصيته قائلا:

– أنا موفد من قبل "ديلي واير". ولم ينطق بأكثر من ذلك. ثار الرائد وصاح:

– ولا كلمة أكثر من ذلك! إني أعرفك جيداً أنت و... معاونيك. إنكم تنقضون مثل النسور على ضحيتكم، لكني أحذرك أيها الشاب وأخطرك بأنك لن تنال مني أية معلومة إذا كنت ترغب في الحصول على معلومات، توجه إلى الشرطة واحرص على الأقل على توفير الاستقرار والسلام لأسرة المتوفى وأصدقائه.

لم يتأثر المحقق الصحفي، بل في ثبات وبابتسامة عريضة ودية قال:

– أنت مخطئ يا سيدي، أنا لست ممن يحومون حول الجريمة التي تتكلم عنها.

ولم تكن حقيقة؛ إذ ليس هناك من يستطيع ادعاء أنه يجهل أحداث هذه الجريمة في "إكسامبتون" التي اهتزت لها.

– أنا وافد من قبل الـ"ديلي واير" لكي أسلمك هذا الشيك وهو بمبلغ خمسة آلاف جنيه وأهنئك على فوزك في مسابقة الجريدة. وقف الرائد "بيرنابي" صامتًا وقد تملكه الذهول.

– أتعشم أن تكون قد استلمت صباح أمس خطابنا الذي أعلنا لك فيه الخبر المفرح؟

– خطاب؟ اسمع أيها الشاب، إن "سيتافورد" مدفونة تحت مترين من الثلج منذ عدة أيام، وبالتالي لا يصلنا البريد.

– على الأقل لقد علمت خبر نجاحك من جريدة هذا الصباح الـ"ديلي واير".

– لا؛ لأني لم أقرأ الجريدة بعد.

– من البديهي... لأن هذه الجريمة هزّتك، إن المجني عليه كان من أعز أصدقائك

أليس كذلك؟

– نعم، كان أفضل صديق لي. أردف الصحفي الشاب:

– يالها من نهاية مؤسفة! ثم أخرج من جيبه ورقة بلون بنفسجي، مطوية وسلمها إلى الرائد "بيرنابي" مع انحناءة احترام،قائلا له:

– إليك الشيك يا سيدي مع تهاني "ديلي واير". تناول السيد "بيرنابي" الشيك وقال له:

– هل تقبل أن أقدم لك مشروبًا مرطبًا يا سيد..؟

– "إندربي".. "شارل إندربي"، لقد وصلت إلى هنا مساء أمس بهدف تسليم الشيك إلى الفائز، وسنقوم بعد ذلك بنشر مقابلة صغيرة مع سيادتك؛ لأن جمهور القراء يسر كثيراً لذلك. قيل لي أن أتوجه إلى "سيتافورد"، لكني علمت بالمصادفة أنك نزيل فندق "تروا كورون"، لم أجد صعوبة في ... معرفة شخصيتك؛ لأن البلد محدود والناس يعرفونك. سأله "بيرنابي":

– ماذا تطلب؟

– بيرة.

طلب الرائد كوبين من البيرة. أردف "إندربي":

– الجميع هنا يتحدثون عن هذا الاغتيال الفجائي المروع، إنها جريمة غامضة حقًا.

كان الرائد يشعر بالضيق؛ لأنه لا يحب فئة الصحفيين لكن مع مثل هذا الصحفي الذي وفد لتسليمه جائزته، من المفروض أن يبدو رقيقًا.

– ألم يكن له أعداء؟ أجابه الرائد:

– لا.

– ومع ذلك لا تتوقع الشرطة أن السرقة كانت هي الدافع إلى الجريمة.

– كيف علمت ذلك؟ لم يصارحه السيد "إندربي" عن مصدر ما لديه من معلومات.

– قيل لي إنك أنت من اكتشف الجثة.

– نعم.

– لاشك في أن هذا المنظر أفزعك. وهكذا تمت المناقشة على هذا المنوال مع

حرص الرائد على عدم موافاته بأية معلومة ولم يجب إلا بنعم ولا عن أسئلة الصحفي، لكن ما أبداه الصحفي من ظرف في التخاطب دفع الرائد إلى الاطمئنان إلى أسئلته، وأخيرًا نهض السيد "إندربي" وأعلن أنه متجه إلى قسم الشرطة. ثم قال للرائد:

– هل تسمح بمنحي ما يثبت استلامك للشيك؟ جلس الرائد أمام منضدة ووقع على وصل وسلمه إلى مندوب الـ"ديلي واير". قال الصحفي وهو يضع الورقة في جيبه:

– تمام. سأله الرائد:

– هل ستعود إلى "لندن" اليوم؟

– لا. لأني أريد التقاط بعض الصور لك وأنت تضع الأكل للماشية، أو وأنت تعتني بالزهور، أو في أثناء عملك وأنت أمام المكتب، إنك لا تتخيل مدى إعجاب القارئ بمثل هذه اللمحات؛ كما أني أطمع في كلمة منك عمّا تنوي عمله بالمبلغ الذي ربحته.. ليتك لا ترفض.

– موافق، لكن مستحيل التوجه إلى "سيتافورد" في مثل هذا الطقس، ولا يمكن استخدام السيارة في هذه الشوارع قبل ثلاثة أيام على الأقل. وختم الشاب حديثه قائلاً:

– وا خسارتاه. هأنذا مضطر إلى البقاء في "إكسامبتون".. على أي حال الخدمة جيدة في "تروا كورون".. إلى اللقاء يا سيدي. وخرج الشاب إلى الشارع متجها إلى مكتب البريد وأبرق إلى الجريدة معلنًا أن الحظ خدمه ومنحه بعض المعلومات عن جريمة "إكسامبتون".

وبعد لحظة تفكير، فكر في لقاء خادم القبطان "تريفيليان"؛ لأن الرائد كان قد ذكر له اسمه في سياق حديثه عن الحادثة، وبالسؤال عن عنوان "إيفانز" تمكن من التوجه إلى "فور ستريت". إن خادم القبطان المغتال أصبح شخصية ذات شأن؛ إذ كان الكل يتقدم بالإشارة إلى مسكنه.

– يا سيد "إيفانز" لقد حضرت عندك من طرف الرائد "بيرنابي". تردد "إيفانز" برهة ثم قال:

– تفضل بالدخول ياسيدي. قبل "إندربي" الدعوة. كانت شابة سمراء فارعة تذهب وتجيء في الغرفة. استنتج الصحفي أنها زوجة "إيفانز". قال:

– لقد كانت نهاية سيدك مأسوية.

– نعم، شيء فظيع. سأله:

– تتوقع من يكون هذا الجاني؟

– لاشك في أنه لص متشرد.

– لا. لقد استبعدوا هذا الاحتمال.

– أحقًّا؟

– نعم، لقد رأت الشرطة أنه تظاهر بالسرقة.

– من أين لك بهذه المعلومات؟ في الحقيقة كان "إندربي" قد حصل على هذه المعلومات من خادمة فندق "تروا كورون"؛ لأن أختها زوجة الكونستابل "جريف"، لكنه أجاب:

– من مفتش الشرطة. انزعجت زوجة "إيفانز" وسألته:

– ترى، من الذي تدور حوله الشكوك؟ قال لها زوجها:

– لاتنفعلي هكذا يا "ريبكّا". أردفت زوجة "إيفانز":

– كثيراً ماتتصرف الشرطة بعنف واندفاع بل وأحيانًا بغباء غير مبالية بالتأكيد على من يتم القبض عليه. المهم أن تقبض على أحد ما. ثم ألقت نظرة إلى "إندربي" وسألته:

– هل أنت من رجال الشرطة ياسيدي؟

– أنا؟ لا، أنا صحفي موفد من جريدة الـ"ديلي واير" لتسليم خمسة آلاف جنيه إلى الرائد "بيرنابي" قيمة جائزة؛ لأنه فاز في آخر مسابقة. حينئذ صاح "إيفانز":

– مستحيل! وهل هذه الجوائز تتم بأسلوب عادل؟

– هل كنت تشك في ذلك؟ أجاب "إيفانز" وقد بدا عليه الارتباك:

– العالم ظالم ياسيدي، وكثيراً ماسمعتهم يقولون إن نتائج هذه المسابقات تتم بالغش، لذلك كان القبطان يعتقد أن الربح ليس من نصيب العناوين البارزة، لذلك كثيراً ماكان يستخدم عنواني في مسابقاته. شجعه "إندربي" على مواصلة حديثه،

فما كان من "إيفانز" إلا أنه أعلن في سذاجة أن القبطان ربح أيضًا ثلاث روايات، وإن كان الصحفي قد سُرَّ لحصوله على معلومات تفيده في تزويد مقاله في الجريدة، إلا أنه كان دهشًا لما يبدو على زوجة "إيفانز" من اضطراب؛ ولاشك في أن عليه أن ينسب شعورها هذا إلى جهل تلك الفئة من الناس. تقدم الزوج إلى الصحفي متوسلاً:

– ليتك تعمل يا سيدي على القبض على الشخص الذي اغتال سيدي.. على هذا السفاح المجرم. إنهم يرددون أن للصحفيين دورًا كبيرًا في الكشف عن مرتكبي الجرائم. هنا أعلنت زوجة "إيفانز":

– إنه لص، هذا أكيد. وأيد زوجها رأيها بقوله:

– من البديهي ؛ لأنه ليس هناك من يفكر في الإساءة إلى القبطان في كل "إكسامبتون" .نهض "إندربي" قائلا:

– ويجب أن أترككما الآن وسأعمل على لقائكما مرة أخرى لكي نتكلم عن هذا الموضوع؛ لأنه إذا كان القبطان قد حصل على ثلاث روايات في مسابقة "ديلي واير" ، إذن على الصحيفة أن تساعد على اكتشاف الجاني.

وهكذا استأذن "شارل إندربي" من "إيفانز" وزوجته وانصرف، ثم تمتم محدثًا ذاته: « إني أتساءل عمن يكون قد ارتكب هذه الجريمة لاأعتقد أنه "إيفانز" ، من يدري؟ ربما أنه لص فعلاً. بذلك يكون الوضع طبيعيًّا من الأحداث المعتادة. ولاوجود لسيدة في هذا الموضوع. أمامك يا "شارل" فرصة لاكتشاف هذا الأمر، لاتدع الفرصة تفوتك؛ لأن صديقنا الرائد سوف يوافيني بكل ماأطلبه منه من معلومات، لما أظهره نحوه من احترام. ليتني أحدثه عن حرب "ترانسفال" ؟ إن أولئك العسكريين القدامى يعشقون كثيرا ترديد ما قاموا به من اكتشافات وبطولات، من يدري؟ فقد تفيد هذه الخطة في تملقه! » وهكذا عاد السيد "إندزبي" إلى الفندق بخطى بطيئة مقتنعًا بهذه الأفكار.

الفصل التاسع
("لي لورييه")

للتوجه من "إكسامبتون" إلى "إكسيتير" ، عن طريق القطار كان لابد من قضاء ساعةافي الساعة الثانية عشرة ظهراً إلاخمس دقائق كان المفتش "ناراكوت" يدق على باب مدخل الـ"لورييه" . كان المنزل يبدو في حالة إهمال وقد بدا عليه القدم، وفي حاجة إلى ترميم، كذلك الحديقة كانت في حاجة إلى عناية وتنسيق، وهي مغلقة بسياج. فكر المفتش في نفسه:« المنظر لا يشير إلى الثراء». حتى الآن يشير التحقيق إلى أن اغتيال القبطان لم يتم على يد أحد أعدائه.. من جانب آخر تشكل ثروته إرثاً مرموقاً؛ لذلك تراءى للمفتش أنه قد يحصل على مزيد من المعلومات باستجوابه أربعة أفراد وهم « أسرة الفقيد ». لقد كان اسم "بيرسون" المسجل في "تروا كورون" موضع شبهة، ولكن اسم "بيرسون"شائع جداً في "إنجلترا" .وكان من عادة "ناراكوت" ألا يتعجل الأمور ولا يضع ثقته بسرعة في النتائج الأولية للبحث.

أقبلت خادمة وفتحت الباب. بادرها المفتش بقوله:

– أفي إمكاني مقابلة السيدة "جاردنر" بشأن وفاة شقيقها القبطان "تريفيليان" ؟

وتعمد ألا يسلم الخادمة بطاقته التي فور معرفتها بأنها في حضرة رجل شرطة تلتزم الصمت. وكان "ناراكوت" خبيراً بمثل هذه الأمور. بدأ المفتش استجوابه بالسؤال الآتي:

– هل السيدة "جاردنر" على علم بوفاة أخيها؟

– نعم، ولقد تلقت برقية من الموثق السيد "كيركوود" ، ثم أدخلته الخادمة إلى الصالون، وتماماً كما هو الحال في الخارج، كانت هذه الحجرة في حاجة إلى عناية.

واصل المفتش حواره:

– لاشك في أن سيدتك اضطربت عند سماعها هذا النبأ. أليس كذلك؟ أجابت السيدة بنبرة عادية:

– قليلاً ما كانا يتقابلان. ثم أمرها المفتش بالاقتراب وغلق الباب، وسألها:

– هل كانت هذه البرقية تذكر الاغتيال؟

اتسعت حدقتا عيني السيدة وعبر وجهها عن مزيج من الدهشة والفزع والفضول . قالت :

– لقد اغتيل؟

– كنت متوقعًا أنكما لستما على علم. لاشك في أن السيد "كيركوود" لم يشأ إعلان سيدتك هذا الخبر المؤسف حتى لا تفاجأ به.. لكن ما اسمك؟

– "بياتريس" يا سيدي.

– حسنًا يا "بياتريس"، لابد لي من مقابلة سيدتك؛ لأن موضوع الاغتيال سوف يظهر في الصحف المسائية. وقالت :

– شيء مرعب! تُرى هل مات إثر ضربة قوية على الرأس أم برصاصة أطلقت عليه من مسدس؟ آه! لقد اغتيل، كلما فكرت في ذلك... عمل المفتش على إرضاء فضول "بياتريس" فأضاف :

– أعتقد أن سيدتك كانت تعتزم التوجه إلى "إكسامبتون" بالأمس. وحالة الطقس الرديئة هي التي حالت دون ذلك؟

– لم أسمع شيئًا عن ذلك يا سيدي. قد تكون مخطئًا في احتمالك هذا، لقد خرجت سيدتي مساء أمس للقيام ببعض المشتريات ثم ذهبت إلى السينما.

– ومتى عادت من السينما؟

– حوالي السادسة مساءً. إذن السيدة "جاردنر" ليست موضع شبهة، وواصل المفتش في نبرات جعلها عادية :

– أنا لا أعرف الأسرة جيداً. أعتقد أن السيدة "جاردنر" أرملة؟

– لا ياسيدي.

– وماذا يعمل السيد "جاردنر"؟

– لاشيء. إنه غير قادر على العمل لأنه مُعوَّق.

– حقًّا ؟

– إنه لا يتحرك ولايستطيع أن يمشي، فهو ممدَّد على سريره طوال اليوم. وقد لا توجد الخادمة التي تتحمل خدمة مثل هذا الشخص، فهو دائمًا في حاجة إلى مشروبات دافئة، ومن حين إلى آخر تقديم الطعام. قال المفتش :

– فعلاً مثل هذه الخدمة تصبح متعبة ومملة مع الوقت.. اذهبي الآن واستدعي سيدتك. أخبريها بأني مرسل من السيد "كيركوود" من "إكسامبتون" .. خرجت "بياتريس" . وبعد لحظات فُتح الباب لكي تدخل منه سيدة ذات طلعة مهيبة. بدت بشعرها الأسود الذي خطه الشيب كاشفًا عن جبين عريض..

تطلعّت إلى "ناراكوت" بنظرات استجوابية، ثم سألته:

– سيادتك وافد من قبل السيد "كيركوود" من "إكسامبتون" ؟

– ليس بالتحديد يا سيدتي، لقد فضلت إعلان شخصيتي وسبب حضوري، وأني من طرف السيد "كيركوود" من أجل الخادمة ليس إلا.لكن هأنذا أخبرك بالحقيقة، لقد اغتيل شقيقك القبطان "تريفيليان" بالأمس في فترة ما بعد الظهر، وأنا المفتش "ناراكوت" المكلف بالبحث عن الجاني والبت في الجريمة. وكانت السيدة "جاردنر" تتمتع بشخصية قوية. تنفست بعمق وأشارت إلى أحد المقاعد لكي يجلس عليه ضيفها المفتش وصاحت:

– اغتيل؟ شيء لايصدق! ومن ذا الذي يقتل "جو" ؟

– هذا ما أبغي معرفته ياسيدتي.

– من البديهي؛ أتعشم أن أستطيع معاونتك، غير أني أشك في ذلك. لأننا لم نتقابل أنا وأخي خلال هذه السنوات العشر الأخيرة إلا نادراً، ولا أعرف من هم أصدقاؤه ولا من الذين يترددون عليه.

– المعذرة يا سيدتي، سؤال آخر.. هل كانت بينكما خلافات؟

– لا... ليست بالمعنى خلافات، إنما التعبير الأصح ما كان بيننا لم يكن سوى لامبالاة. ودون أن أدخل في التفاصيل، في إمكاني أن ألقي ضوءاً على ذلك، وهو أن أخي لم يكن مؤيداً لزواجي. قد تكون سيادتك على علم بأن القبطان "تريفيليان" يمتلك ثروة كبيرة آلت إليه عن عمته. ولقد تزوجنا أنا وأختي رجلين فقيرين. وعندما أصيب زوجي بالمرض إثر صدمة عصبية وكان في حاجة إلى علاج، ربما لو أنني في ذلك الحين حصلت على مساعدة مالية وأحضرتها له لشفي. فما كان مني إلا أن طلبت من أخي أن يقرضني هذا المبلغ فرفض.. على أي حال من حقه أن يرضى أو يرفض، لذلك كنا لانتبادل الزيارات منذ ذلك اليوم! كان

كشف السيدة عن سبب ابتعادها عن أخيها واضحًا وبعيداً عن التلفيق. .« إنها سيدة عجيبة هذه السيدة "جاردنر" » هذا ما جال بخاطر السيد المفتش. إنها غامضة ولم يتمكن من الدخول إلى أعماقها على الرغم من أنها تسرد الأحداث في هدوء ولم تبد أي اهتمام أو حتى فضول ،للوقوف على سر اغتيال شقيقها. سألها:

-أترغبين في معرفة بعض التفاصيل عن اغتيال القبطان "تريفيليان" ؟ قطبت جبينها وقالت:

-وهل هذا ضروري؟ أتعشم أن يكون قد لاقى الموت دون آلام.

-نعم، لقد قتل ومات في الحال.

-إذن اعفيني مما هو أكثر من ذلك. . .« عجيبة وشاذة! » هذا ما كان يردّده المفتش لنفسه، والعجيب أن السيدة استخدمت التعبير نفسه عندما قالت له:

-قد يبدو لك ذلك عجيبًا وشاذًّا يا سيدي المفتش. لو أنك علمت ما عرف زوجي عنه من بشاعة. . . وكان قد أحاطني به علمًا، لأدركت الموقف بوضوح أكثر.

-هذا أكيد يا سيدتي، والحصول على معلومات وافية عن أسرتك هو الدافع إلى مجيئي إلى هنا. أفي إمكانك أن تخبريني من هم أقارب أخيك الذين مازالوا أحياء؟

-لا يوجد سوى "بيرسون" وأبناء أختي "ماري" .

-كم عددهم؟

- ثلاثة : "جيمس" و"سيلفيا" و"بريان" .

-جيمس؟

-إنه الابن البكر (الأكبر) وهو يعمل في شركه تأمينات.

-كم عمره؟

-ثمانية وعشرون عامًا.

-هل هو متزوج؟

-لا. . .خاطب. . . لقد خطب فتاة يقولون إنها جذابة، لكنني لم أرها.

-عنوانه؟

- 21 "كرومويل ستريت" س.ي. 3 في" لندن" . سجَّل المفتش هذه المعلومات.

-وبعد، يا سيدة "جاردنر" ؟

-و"سيلفيا" تزوجت من "مارتان ديرينج" ، وهو روائي مشهور.

-وعنوانها؟

-"لي نيد" طريق "سيري" - "ويمبلدون" .

-حسنًا.

والثالث "بريان" مقيم في" أستراليا" وأجهل عنوانه، إنما في إمكانك الحصول عليه من إخوته.

-أشكرك ياسيدتي. والآن اسمحي لي أن أسألك.. كيف وأين قضيت فترة ما بعد ظهر أمس؟ بدت الدهشة على محدثته. قالت:

-لحظة من فضلك. أولاً قمت بجولة لشراء بعض الحاجيات ثم توجهت إلى السينما. وعند عودتي إلى المنزل حوالي السادسة مساء، استلقيت حتى ساعة العشاء على فراشي؛ لأني شعرت بالإصابة بصداع نصفي مؤلم جدًّا.

-شكرًا يا سيدتي.

-هذا كل ما ترغب في معرفته يا سيدي؟

-نعم، كفى. سألتقي بابن أختك وابنتها منذ الآن. ولست أدرى إذا كان السيد "كيركوود" أخبرك أنت وأبناء السيدة "بيرسون" بأنكم ورثة لثروة القبطان "تريفيليان" .

- إن حياتنا سوف تتغير أخيرًا. كم اضطررنا حتى الآن إلى معاناة الحرمان والكثير. وعندما سمعت صوت

نداء رجل آتيًا من الطابق العلوي، انتفضت ونادت:

- "جنيفير" "جنيفير" أنت؟ قالت للمفتش:

-المعذرة يا سيدي. وعندما فتحت الباب سمع الصوت أكثر قوة وإلحاحًا.

-"جنيفير"، ماذا تعملين؟ تعاليْ بسرعة. وهكذا تبعها المفتش حتى إلى عتبة

باب الصالون ووقف ينظر إلى السيدة وهي تصعد السلم بسرعة، وإذا بممرضة تنزل، تركتها تمر قائلة:

–هيا يا سيدتي أسرعي؛ لأن السيد "جاردنر" في حالة توتر شديد وأنتِ من تعملين دائمًا على تهدئته. حينئذ تعّمد المفتش اعتراض الممرضة أسفل السلم، وسألها:

–هل في وسعي أن أتحدث معك للحظة؟ لأن حديثي مع السيدة "جاردنر" توقف في الحال، دخلت الممرضة إلى الصالون، قالت:

– لقد اضطرب المريض الذي أقوم برعايته إثر سماعه خبر اغتيال القبطان؛ هذا لأن الغبية "بياتريس" هي التي وافته به.

– المعذرة؛ لأني مخطئ بعض الشيء في ذلك.

–لا داعي للاعتذار، لأنك لم تكن متوقعًا أن يحدث ذلك.

–هل مرض السيد "جاردنر" خطير؟

–إن مرضه من الحالات الصعبة جدًا. وإن كان يبدو في صحة جيدة إلا أنه فقد القدرة على استخدام أطرافه الأربعة... إثر صدمة عصبية.

–وهل بدا لكِ أكثر عصبية بالأمس في فترة ما بعد الظهر؟ أجابته دهشة:

–لست أدري.

–هل قضيت هذه الفترة بالقرب منه؟

–كنت أعتزم القيام بمرافقته فعلاً ولكن السيد "جاردنر" كان قد كلفني باستبدال كتابين؛ إذ كان قد غفل عن طلب ذلك من زوجته فتوجهت إلى المكتبة، كما أنه قد طلب مني أن أحضر له هديتين لزوجته. ومن كرمه دعاني لتناول الشاي على حسابه. وكانت الساعة حوالي الرابعة عندما خرجت ولم أعد قبل السادسة والنصف بسبب ازدحام المحلات لاقتراب أعياد الميلاد المجيد ورأس السنة. وكان المسكين قد أخبرني بأنه قضى فترة غيابي في النوم.

–هل عادت زوجته قبلك؟

–نعم، وأعتقد أنها تمددّت على سريرها.

–هل هي مخلصة لزوجها؟

-إنها تجلُّه ياسيدي. وتتمنى أن تعمل المستحيل لتخفيف آلامه. لم أتقابل قبل الآن مع زوجة تخلص لزوجها المريض مثلها. على سبيل المثال، في الشهر الماضي

... وأراد "ناراكوت" التخلص من حديثها فنظر إلى ساعة يده، ثم قال:

-يا إلهي! سيفوتني القطار. المحطة ليست بعيدة عن هنا، أليس كذلك؟

-محطة "سان ديفيد" تبعد عنا مسيرة 3 دقائق. هذا إلا إذا كنت ستسافر من محطة "كوين ستريت" ؟

-سأنصرف بسرعة، قدمي اعتذاري يا آنسة للسيدة "جاردنر"، وأشكرك على هذا اللقاء الصغير وما منحتني من معلومات، إلى اللقاء،« ياله من رجل مهذب وجميل يجيد فن التعامل! » هكذا حدثت الممرضة نفسها وهي تغلق باب المدخل بعد انصراف المفتش "ناراكوت"، ثم وهي تطلق زفيراً خفيفاً- صعدت السلم لكي ترافق مريضها.

الفصل العاشر
(أسرة "بيرسون")

توجه المفتش "ناراكوت" بعد مغادرته "لي لوربيه" - إلى رئيسه المدير "ماكسويل". الذي استمع إلى بيان المفتش بانتباه. أردف "ماكسويل":

- سيكون لهذه الجريمة صدى كبير، وسوف نشاهد العناوين الكبرى تتصدر كل الصحف.

-أنا معك في هذا الرأى يا سيدي.

- يجب أن نتخذ الحذر وألا نقع في أي خطأ. أعتقد أنك حتى الآن على الطريق السليم. عليك بمتابعة هذا الـ"جيمس بيرسون" بأسرع ما يمكن ومعرفة أين قضى فترة ما بعد ظهر أمس. وكما تقول، إن "بيرسون" لقب شائع، لكن هناك أيضاً تشابهاً في الأسماء وبما أنه وقع باسمه، هذا يبعد عنه كل شبهة... قد يكون شجار شبٍّ بينهما انتهى بضربة عنيفة. إذا كان هو "بيرسون" موضوع قضيتنا، ولقد سمع التعليقات عن وفاة خاله في الليلة نفسها؛ إذن لماذا هرب في صباح اليوم التالي في قطار الساعة السادسة دون أن يخبر أحداً؟ هذا التصرف يبدو لي موضع

شبهة. هذا إن لم يكن مصادفة. ليتك تعمل على إلقاء الضوء بأسرع ما يمكن على هذه النقطة يا حضرة المفتش.

-سمعًا يا سيدي، سآخذ قطار الساعة الخامسة والأربعين إلى " لندن" . ولابد لي من التوجه ذات يوم لمقابلة السيدة "ويليت" مستأجرة فيللا القبطان "تريفيليان" في "سيتافورد" ! حاليًا حالة الطريق لا تسمح بذلك. على أي حال ليس لهذه السيدة دور في الجريمة. لقد كانت هي وابنتها تقومان بلعبة تحضير الأرواح (جعل المائدة تعلن الأحداث) في اللحظة التي تم فيها الاغتيال. حتى أنه حدث أمر شاذ في تلك الليلة... وهكذا سرد المفتش على رئيسه قصة الرائد "بيرنابي" .

-إنها قصة مربكة. إن هذه القصص أصبحت منتشرة عند أولئك الذين يدّعون التنجيم وتحضير الأرواح . وهل بدا الرائد العجوز صادقًا؟

-نعم، ولقد وجدت صعوبة بالغة في الحصول منه على موضوع الجلسة. وهو لا يثق بهذه الأمور ألبتّة... إنه رجل عسكري قديم.... متشكك وساخر. وختم المدير "ماكسويل" بقوله:

-حسنًا، لكن كل هذا لا يفيدنا بشيء.

-سأسرع لأخذ القطار.

-اذهب يا حضرة المفتش. عندما وصل "ناراكوت" إلى" لندن" قصد رقم 21 "كromويل ستريت" حيث يتواجد السيد "بيرسون" في مكتبه- كما قيل له- ثم يعود إلى مسكنه حوالي الساعة السابعة. قال:

- سأعود، إذا كان ممكنًا. لا خطورة في ذلك، وانصرف بسرعة دون أن يدلي باسمه. لذلك تراءى للمفتش ألا يتوجه إلى المكتب إنما إلى "ويمبلدون"، عند السيدة "مارتان ديرينج" : الآنسة " سيلفيا بيرسون" سابقًا (أي قبل الزواج) وكانت فيللا "لي نيد" لا تشير إلى مظاهر الفقر. « هنا كل شيء جديد وأنيق» كان هذا تعليق "ناراكوت" ...كانت السيدة" مارتان" موجودة، ولقد أدخلته خادمة في ملابس بلون بنفسجي إلى صالون به قليل من الأثاث. وحينئذ عمل "ناراكوت" على تسليم بطاقته الرسمية إلى ربة البيت! في الحال أقبلت السيدة ممسكة ببطاقة المفتش وقالت:

–لقد حضرت– ولاشك في ذلك– بشأن موضوع خالي "جوزيف" المسكين. شيء مرعب فظيع! أنا ذاتي مرتعبة من اللصوص، ولقد عملت على وضع مزلاجين على الأبواب الخلفية، كما جعلتهم يحكمون غلق النوافذ، كانت "سيلفيا ديرينج" في الخامسة والعشرين من عمرها لكنها تبدو في الثلاثين. كانت قصيرة القامة وشقراء، شاحبة الوجه وقد بدا عليها التعب والغم والملل . وأكثر من ذلك كانت تبدو وكأنها تبكي عندما تتكلم. ومع ذلك لم تدع للمفتش فرصة للكلام بل واصلت حديثها :

–يسعدني أن أعاونك في مهمتك هذه، لكننا لا نعرف كثيراً الخال "جوزيف"؛ لأنه لم يكن شخصاً طيباً؛ إذ كنا لا نجرؤ على الالتجاء إليه عند الحاجة، لأنه كان كثير النقد، ولم تكن له أدنى فكرة عن حياة الشخص الأديب؛ لأن النجاح يا سيدي ليس دائماً في المال. وأخيراً توقفت وبذلك تمكن المفتش من الكلام بدوره بعد أن فتحت له المجال. سألها:

– هل علمت باغتيال خالك بهذه السرعة يا سيدة "ديرينج"؟

– نعم، لقد أبرقت لي الوصيفة "جنيفير" .

– آه!

–لاشك في أننا سوف نرى هذا الخبر في الصحف المسائية.

–ألم تلتقي بخالك منذ فترة طويلة؟

–أنا لم أره سوى مرتين منذ زواجي . وفي المرة الثانية كان فظًا في معاملته لـ "مارتين" . كان هذا الشخص لا يهتم. إلا بالرياضة،« الزوج أراد أن يقترض منه مبلغاً من المال والخال رفض»، هكذا فكر المفتش في نفسه.

–والآن فور إتمام الإجراءات– هل في إمكانك يا سيدتي موافاتي كيف قضيت فترة ما بعد ظهر أمس؟

–فترة بعد ظهر أمس، قضيتها في لعب البريدج (البريدج: لعبة ورق يقوم بها أربعة)، وبما أن زوجي كان متغيباً طلبت من إحدى صديقاتي أن تقضي معي فترة السهرة.

–وأين كان زوجك، على سفر؟

–لا، كان في مأدبة أدبية. وفي فترة الظهر تناول غداءه مع ناشر أمريكي.

–حسناً. على ما يبدو أن أولئك الأفراد بعيدون عن الشبهة.

– يا سيدة "ديرينج"، أعتقد أن لك أخًا في "أستراليا"؟

–نعم.

–هل تعرفين عنوانه؟

–في إمكاني العثور عليه إذا كنت تريده... إن له اسمًا غريبًا... لقد نسيته الآن.

– وأخوك الأكبر؟

– "جيمس"؟

–نعم، ليتني أقابله. أسرعت السيدة "ديرينج" بمنحه العنوان الذي أعطتها إياه السيدة "جاردنر"، ولما لم يحصل المفتش من هذه الزيارة على ما يفيده، عمل على اختصارها، لذلك بعد أن ألقى نظرة إلى ساعة يده... وجد أنه سوف يعود إلى لندن حوالي الساعة السابعة... كان يأمل العثور على السيد "بيرسون" في منزله، في تلك اللحظة السيدة نفسها فتحت له باب المسكن رقم 21 معلنة إياه أن السيد "بيرسون" عاد. قائلة له:

–إنه في الطابق الثاني. تقدمته في السلم، ثم قرعت بابًا وبصوت منخفض ومتواضع أعلنت:

–إنه السيد الذي يرغب في مقابلتك. كان يقف في وسط الحجرة شاب أنيق، يبدو عليه الإرهاق من عدم النوم.

–أنا مفتش شرطة... ولم يجد الفرصة لكي يضيف إلى ذلك كلمة واحدة. لقد سقط الشاب على أحد المقاعد بعد أن أطلق صرخة بصوت أجش، وذراعاه تمددا على المائدة الموجودة أمامه وقد مال رأسه. تمتم المفتش:

–يا إلهي! كان لابد من حدوث ذلك وبعد ذلك رفع هذا الشاب رأسه بعد دقيقة أو دقيقتين على الأكثر. قال:

–حسناً يا سيدي المفتش، ماذا تطلب مني؟ أجابه "ناراكوت":

–أنا مسؤول عن التحقيق في أمر اغتيال خالك القبطان "تريفيليان". هل أطمع

في الحصول على بعض المعلومات عن هذا الموضوع إذا كنت تعلم عنه شيئًا؟ نهض الشاب ببطء ونطق بنبرة حزينة:

–هل أتيت لكي تقبض علّي؟

–لا يا سيدي. من واجبي أن أقوم بالتحقيق أولا. وإذا كانت هذه نيتي لنطقت بالعبارة المعتادة عند القبض على المتهم. كل ما أطلبه منك هو معرفة أين قضيت فترة ما بعد ظهر أمس.

–وإن لم أجبك، صمتي يرجع إلي؟ آه! لقد رأيتك وأنت آتٍ عندي، وأنت تعلم أني كنت بالأمس في "إكسامبتون"؟

–يا سيد "بيرسون"، إن اسمك مسّجل في أوبرج "تروا كورون".

–أفهم ذلك ولا أستطيع إنكاره. فعلاً كنت هناك، وما هو المانع في ذلك؟ لمَ لا؟

–فعلاً. هذا من حقك.

–توجهت بالأمس إلى "إكسامبتون" لمقابلة خالي.

–وهل كانت زيارة بموعد؟

– ماذا تقصد بكلمة بموعد؟

–أقصد هل كان خالك يعلم أنك ستزوره في هذا اليوم؟

–أنا؟ لا... كان يجهل، لقد توجهت إلى هناك من باب الفضول ليس إلا.

– بلا أي غرض خاص.

–أنا؟ لا، بشرفي لا. كنت أريد أن أراه ليس إلا.

–حسنًا، وهل رأيته؟ بعد فترة صمت... طالت. وكان المفتش يقرأ التردد على ملامح الشاب، أشفق عليه. إن هذا الشاب لا يدرك أن ارتباكه هذا يدينه! وفي النهاية أطلق "جيمس" زفيرًا طويلاً وقال:

–الأفضل والأبسط هو أن أحكي لك كل شيء. نعم لقد رأيت خالي. عندما استفسرت عن وسيلة المواصلات التي تقودني إلى "إكسامبتون" قيل لي إنه مستحيل لأية وسيلة مواصلات الذهاب إلى هناك بسبب الثلوج. ولما قلت إن الأمر مهم وضروري جدًّا..

– مهم وضروري؟ هكذا كرر المفتش.

–نعم كنت أرغب أن أرى خالي للضرورة.

–وبعد؟

–أخذ موظف المحطة يحك رأسه معلناً أنه مستحيل. وعندما ذكرت له اسم خالي استنار وجهه وأشار لي إلى الطريق المؤدي إلى الفيللا التي استأجرها.

–وكم كانت الساعة وقتئذٍ؟

–حوالي الواحدة... توجهت إلى الأوبرج وسجلت اسمي وحجزت حجرة. وبعد أن تناولت وجبة الغداء، خرجت للذهاب عند خالي.

–في الحال بعد ذلك؟

–لا، ليس في الحال. سأله "ناراكوت":

–كم كانت الساعة تقريباً؟

–لا أستطيع تحديدها.

الساعة الثالثة والنصف؟ الرابعة؟ أم الرابعة والنصف؟

–لا أعتقد أن الوقت كان متأخراً على هذا النحو.

–السيدة "بيللينج" صاحبة الفندق "تروا كورون" تؤكد أنك خرجت في الرابعة والنصف.

–أعتقد أنها مخطئة في تقدير الوقت؛ لأن الوقت لم يكن متأخراً.

–وماذا بعد ذلك؟

–وجدت مسكن خالي وتحدثت معه وعدت إلى الأوبرج.

–كيف دخلت عند خالك؟

قمت برن الجرس وهو الذي فتح لي.

– ألم يفاجأ بزيارتك؟

– نعم، لقد دُهش، لأنه كان غير متوقع.

– وكم من الوقت استغرقت زيارتك لخالك؟ أجاب الشاب متردداً:

– ربع ساعة أو عشرين دقيقة على الأكثر... ولا أعرف أكثر من ذلك...

– بلى، أنت تعرف الكثير يا سيد "بيرسون". يبدو أن لهجة المفتش الجادة أثمرت. والشاب أجاب بصوت منخفض:

–كانت الساعة الخامسة والربع .

– لقد عدت إلى "تروا كورون" في السادسة إلاَّ الربع؛ إذ إنه لابد من سبع أو ثماني دقائق للذهاب من عند خالك إلى الأوبرج.

– وقبل أن أعود قمت بجولة صغيرة في المدينة.

مع هذا الطقس الثلجي؟ وهذه الثلوج؟

– كان سقوط الثلج قد توقف في هذه الفترة.

– وماذا كان حديثك مع خالك؟

– حديث عادي، لم أكن في حاجة إلى أمر معيَّن. كنت أرغب في مشاهدته فقط. « إنه يكذب بغباء– هكذا فكر المفتش– لو كنت مكانه لتصرفت أفضل من ذلك ».

–حسنًا يا سيدي. لكن لماذا، بعد سماعك عن أمر اغتيال خالك غادرت "إكسامبتون" دون أن تعلن نسبة قرابتك بالمجني عليه؟ أجاب الشاب بصراحة:

–من الخوف... عندما سمعت أن خالي اغتيل في الساعة نفسها بعد انصرافي بقليل، لذلك أخذت أول قطار وعدت إلى بلدي.

–هذا كل ما عندك؟

–نعم.

–في هذه الحالة، ليتك لا ترفض اتباعي؛ لأننا سنعمل على تسجيل أقوالك ونتلوها عليك ثم نطالبك بالتوقيع عليها.

–هذا... هذا هذا كله؟

–من الممكن يا سيد "بيرسون" أن يتراءى لنا احتجازك حتى نهاية التحقيق .تنهد الشاب:

–يا إلهي! وليس من يأتي لنجدتي؟ في هذه اللحظة فتح الباب، ودخلت شابة. توقع المفتش في الحال أنها زوجته. لم تكن جميلة، لكنها كانت تتمتع بجاذبية نادرة؛ لأن كل ما بها يوحي بالذكاء وحسن التصرف. صاحَتْ:

–ماذا يحدث يا "جيمس"؟

–لقد انتهى كل شيء. أنا متهم بقتل خالي.

–من قال ذلك؟ أشار "جيمس" بإصبعه إلى الزائر. وقال:
–هذا السيد هو المفتش "نارا كوت". ثم قام بعملية تعارف:
–الآنسة "إميلي تريفوزيس". ألقت الفتاة نظرات حائرة إلى المفتش والمفتش التزم الصمت. بعد ذلك توجهت "إميلي" إلى "جيمس" قائلة:
–لاشك في أن أقوالك كانت تتسم بالتهور، لأنك لو كنت مطلعًا على الصحف لعلمت أن من يتحدث إلى رجال الشرطة يجب أن يصطحب معه محاميًا. هل أنت هنا للقبض عليه يا سيدي المفتش؟هنا أوضح المفتش هدف رسالته. حينئذ صاح الشاب:
–"إميلي"، هل تشكين فيّ، هل تظنين أني أنا المجرم وأني أنا من ارتكب هذه الجريمة؟ لن تصدقي ذلك، أليس كذلك؟ انطقي.
–لا يا عزيزي لا. بالتأكيد لا. ثم أضافت في نبرة ثقة:
–ولو أنك أقبلت على مثل هذا العمل قد لا تجد الشجاعة اللازمة له.أخذ "جيمس" يئن وهو يردد:
–أشعر الآن بأنه ليس لي صديق على وجه الأرض.
–بلى يا "جيمس" .هأنذا بجوارك، انظر إلى الدبلة التي بإصبعك. خطيبتك ستظل وفية لك. اتبع حضرة المفتش وضع ثقتك فيَّ. نهض "جيمس" وهو مازال في حالة ذهول. تناول معطف المطر وارتداه. ثم ناوله المفتش قبعة كانت موضوعة على المائدة وانصرفا نحو الباب، وعندما تخطيا عتبة الباب، قال المفتش في لهجة مهذبة:
–إلى اللقاء يا آنسة "تريفوزيس".
–إلى اللقاء يا سيدي. لو كان "ناراكوت" خَبِرَ الآنسة "تريفوزيس" على نحو أوضح لأدرك ما في هذه الكلمات من تَحدٍّ.

الفصل الحادي عشر
("إميلي" تبدأ العمل)

تم تشريح جثة القبطان "تريفيليان" صباح يوم الاثنين. وأصبحت جريمة

"هازيلموز" موضوع الساعة، وبين ليلة وضحاها أصبحت "إكسامبتون" مشهورة.
أما عن خبر الشكوك التي تدور حول ابن أخت الفقيد فقد عملت على إشعال فضول الجمهور: لذلك عوض أن يكون لهذا الخبر عامود أو عدة سطور في آخر أية صحيفة، فقد تصدرها بعناوين عريضة، وتوافد الصحفيون على "إكسامبتون".
مرة أخرى اغتبط السيد "شارل إندربي" لوضعه البارز في الصحيفة وذلك باختياره لتسليم الشيك، وكان المبلغ 5000خمسة آلاف جنيه، إلى الرائد "بيرنابي" قيمة جائزة عن المسابقة التي كانت قد طرحتها جريدة "ديلي واير". وقرر هذا الصحفي التوجه إلى "سيتافورد" بحجة تصوير منزل الفائز وهو منزل ريفي متواضع، لكنه – في الحقيقة– كان يبغي الاندماج في أهل الكَفر وبالتالي الحصول على معلومات أوفر. عندما حان وقت تناول الغداء، لمح السيد "إندربي" شابة في ثياب فاخرة، تجلس أمام منضدة صغيرة بالقرب من الباب. « تُرى ما هدفها من التواجد في "إكسامبتون"؟» هكذا تساءل الصحفي. كان لا يبدو عليها أنها من أسرة المجني عليه كما أنها لا يمكن أن تكون من زمرة الفضوليين المتسكعين. « إني أتساءل عما إذا كانت ستطيل البقاء هنا». هكذا فكر السيد "إندربي". يا لسوء حظي بأني مضطر إلى التوجه إلى "سيتافورد" بعد قليل. غير أنه بعد الغداء مباشرة فوجئ– في أثناء تواجده على عتبة باب الأوبرج بأن الثلج بدأ ينصهر تحت أشعة الشمس. وإذا بصوت عذب لسيدة يأتي إلى مسامعه:

–المعذرة يا سيدي. أفي إمكانك موافاتي بما يمكن مشاهدته هنا في هذا البلد من أماكن جديرة بالزيارة؟ في الحال استغل "شارل إندربي" الفرصة لتكوين علاقة مع هذه المجهولة الجذابة. أجابها في الحال:

–نعم يا آنستي، يوجد هنا قصر أو بمعنى أوضح أطلال قصر. هل تسمحين لي باصطحابك إليه؟

–بكل سرور، هذا كرم من سيادتك إن لم تكن مشغولاً. أكّد لها "شارل إندربي" أنه حر طوال فترة ما بعد الظهر وبدآ مسيرتهما. سألته الفتاة:

–أنت السيد "إندربي" أليس كذلك؟

–هو ذاته. كيف عرفتِ ذلك؟

-لقد استفسرت عن اسمك من السيدة "بيللينج" .

-آه، لقد فهمت الآن .

-أنا أدعى "إميلي تريفوزيس" . سيدي "إندربي" ، أترغب في مساعدتي؟

-مساعدتك؟ بالتأكيد، لكن . . .

-اسمعني، أنا خطيبة "جيمس بيرسون" .

-آه! هكذا صاح السيد "إندربي" ، لأنه رأى في ذلك سلسلة مقالات شائقة لجريدته .

-لقد قبض البوليس على خطيبي، ومع ذلك أؤكد لك يا سيد "إندربي" أن "جيمس" لم يرتكب هذه الجريمة . وقد حضرت إلى هنا لكي أثبت لك براءته، لكن المرأة لا تستطيع القيام بتنفيذ أي أمر بمفردها، الرجل له إمكانيات أوفر للدخول في كل مكان . أيَّدها الصحفي :

-قد تكونين على حق في رأيك هذا . ثم قالت له :

-إن ما أطلبه منك يا سيدي هو أن تساعدنا على تكوين شركة يكون لكلينا فيها فائدة كبرى . حسبما يتراءى لي وبفضل عملك كصحفي أعتقد أنك تستطيع معاونتنا . . . أود أن . . . ثم توقفت، إن ما كانت تهدف إليه في الحقيقة، هو تحويل هذا الصحفي إلى جاسوس يعمل لخدمتها الشخصية أو عبد مطيع خاضع لأوامرها . هكذا عملت على استخدام أسلوب الإطراء لبلوغ غايتها . وكان المهم عندها هو أن تكون هي رئيسة هذه الشركة . قالت :

-أتعشم أن أجد فيك السند والعضد . نطقت الفتاة بهذه الكلمات بنبرات رقيقة لا تخلو من التوسل، جعلت السيد "إندربي" مستعداً أن يلقي بنفسه في النار من أجلها . ثم أمسك بيدها وصافحها بشدة، وقال لها :

-مفهوم، سأقوم بذلك عن طيب خاطر . لكن سرعان ما صحح الصحفي موقفه :

-مع ذلك اعلمي أني لا أتمتع بكامل حريتي في التنقل؛ لأني أذهب إلى حيث ترسلني الجريدة التي أعمل بها .

-حسنًا ، حسنًا . لقد فكرت في الأمر ومع ذلك . سأتمكن من معاونتك ، وهذا يمنحك يوميًّا موضوع الريبورتاج . أخبرني بما يرضي قرّاء ك . « خطيبة "جيمس

بيرسون" واثقة ببراءة الشاب».... «ذكريات الطفولة تقدمها لنا الخطيبة». أنا في الحقيقة لا أعرف شيئًا عن طفولته، لكن لا يهم.

–إنك قديرة يا آنسه "تريفوزيس" ثم أضافت "إميلي":

–هذا بالإضافة إلى كوني خطيبة لـ "جيمس" هذا يقربني من أسرة الفقيد، وبذلك أستطيع تسهيل دخولك عندهم كأحد أصدقائي. وإلا لن يقبلوك.

–أعلم ذلك. قال "إندربي" ذلك وهو يطلق زفيرًا، لأنه تذكَّر المرات التي أوصدت في وجهه الأبواب رافضين إياه، أمَّا الآن فالأمور تتقدم في صالحه، صرح لها:

– اتفقنا. ثم– بلهجة سيدة أعمال– قالت "إميلي":

– الآن ماذا سيكون أول بند في شركتنا؟

– سأتوجه قريبًا إلى "سيتافورد". وأوضح لها الظروف التي سمحت له بالتقرب من الرائد "بيرنابي" وأضاف:

–إنه من النوع الذي لا يثق إطلاقًا بالصحفين بل ويخشاهم، على أي حال أعتقد أنه لن يرفض لقاء من سلّمه خمسة آلاف جنيه، أليس كذلك؟

–على أي حال سأكون معك. حينئذ صاح "إندربي":

–رائع. لكن أجهل إذا كان هناك أوبرج. إن ما أعرفه هو أن الكفر (أو القرية) يتضمن قصر "سيتافورد"، وبعض المنازل الريفية يمتلكها أفراد عاديون مثل "بيرنابي". أردفت "إميلي":

–سنجد كل مانحن في حاجة إليه. لأني أجيد التصرف دائمًا. ولم يتردد السيد "إندربي" في وضع ثقته فيها؛ لأنه لاحظ أنها تتمتع بشخصية كفيلة بإزالة كل العقبات من طريقها. عندما وصلا إلى القصر المهدم جلسا– دون إبداء أي اهتمام بهذا الأثر– على جزء من جدار، تلاطفهما أشعة شمس الشتاء الهادئة. وكانت "إميلي" تكّون أفكارها الشخصية. قالت:

–أولاً يا سيدي، إذا كنت أبدي اهتمامًا بهذا الموضوع فهو ليس بدافع حبي له أو تعاطفي معه، لكن أول ما أطلبه من سيادتك هو أن تثق ببراءته، لأني واثقة بأنه لم يرتكب هذه الجريمة. لقد اعتدت– منذ بلوغي السادسة عشرة من عمري– أن

أعتمد على حلٍ مشاكلي بنفسي، وبما لي من خبرة اكتسبتها من الحياة. أنا لم أعتمد كثيرًا على النساء، لكني أعرف- بحاستي- من هو الرجل الكفيل بمعاونتي. وكما سبق أن أشرت إلى سيادتك أني موهوبة في تقييم الرجال، إن "جيمس" بطبيعته ضعيف الشخصية، وربما أني أحببته من أجل ذلك- قالت هذا وقد غفلت لحظة عن ذكرها أنها تقدرّ الرجال الأقوياء- ربما لأني أشعر بأني كفيلة بتطويره. أنا أعمل عارضة أزياء عند "لوسي"، وأؤكد لك أني كافحت كثيرا لبلوغ هذا الوضع، ومرة أخرى أؤكد لك أنه ليس الشخص الذي يستطيع أن يقتل، وخاصة بكيس مليء بالرمل، إن "جيمس" شخص هادئ ووديع، فهو لا يُقبل على قتل حشرة، بل يفضّل أن تخرج هذه الحشرة من النافذة. ولا فائدة من الإسهاب في الحديث وأطلب منك أن تطمئن لبراءة "جيمس". سألها "إندربي":

-أتتوقعين أن الجاني يحاول إلقاء الوزر على خطيبك؟

-لا أعتقد؛ لأن الجميع يجهلون زيارة "جيمس" لخاله، وبالتالي كيف يثبت ذلك، لكن هذه المصادفة كانت بالنسبة إليه من نوائب الدهر. الآن لنرَ من هم الذين لهم غرض في قتل القبطان "تريفيليان". والشرطة تؤكد أن الذي ارتكب هذه الجريمة ليس لصًا. وأن كسر النافذة مفتعل.

-هل لكِ هذه المعلومات عن رجلَ شرطة؟

-تقريبًا.

-وضّحي.

-إنها خادمة الفندق التي منحتني هذه المعلومات؛ لأنها أخت زوجة الكونستابل "جريف". فعلاً ليس للشرطة أسرار مكتومة أبدًا.

-تمامًا. إذن إن لم يكن الجاني شخصًا غريبًا، فهو من المقربين إلي القبطان؟

-بالضبط، والشرطة تسعى حاليًّا إلى معرفة من الذي قد تفيده وفاة القبطان "تريفيليان". ،ها هي الظروف ضد "جيمس"، لكن إدانتة ليست سوى شك في نظر رجال الشرطة. بذلك قد يتوقف التحقيق عند هذا الحد وعلينا باكتشاف الجاني.

-يا لهـا من سعادة، إذا تمكنًا أنا وأنت من التوصل إلى هذا السفّاح. وبذلك

يكون اسمي على صفحات الـ"ديلي واير" . إن مثل هذه الأمور لا تحدث إلا في الروايات.

–اسكت، أنا لا أعرف المستحيل. حيئذ قال الصحفي في نفسه: « يا لها من فتاة مذهلة ! » وأمسكت "إميلي" بمفكرتها، وقالت:

–الآن ليتنا نبدأ جديًّا يا سيد "إندربي" بحصر من تهمهم وفاة القبطان وهم: "جيمس" وأخوه وأخته وعمته "جنيفير" أخت "جيمس" وزوجها وهذا الأخير غير كفيل بقتل ذبابة ... فهو شخص روائي... نعم إن الإرث سيؤول إلى "سيليفيا" لكنه سرعان ما سيسحبه منها. أردف السيد "إندربي"، لكي يثبت وجوده:

–يا له من شخص جبان!

–نعم. إنه يهتم بمظهره وهو قبلة أنظار النساء لكن الرجال ذوي المثل العليا يمقتونهُ. أخرج السيد مفكرته هو أيضًا وبدأ يُدوِّن وهو يقول:

–حسنًا، ها هو المشتبه فيه رقم واحد "1"، لذلك سأعمل على معرفة أين قضى فترة ما بعد ظهر يوم الجمعة وهو بالأمر السهل، سأتقدم بصفتي أعد حديثًا حواريًّا مع أحد أقارب المجني عليه. وهو الروائي الشعبي الشهير.

––رائع ... يأتي من بعده "بريان" الأخ الذي يلي "جيمس"، يقال إنه في" أستراليا" . ومن الممكن أن يعود إلى " إنجلترا" . كثيرون يسافرون بدون إخطار.

–سوف تُرسل إليه برقية.

–كنت أفكر في ذلك بالضبط. لكن على ما يبدو أن "جنيفير" بعيدة عن كل شبهة. ولقد سمعت عنها أنها إنسانة مرموقة ونشيطة .وهي تسكن في "إكسيتير" من الممكن أن تكون قد قامت بزيارته بما أنه شقيقها، وشقيقها هذا قام بذم زوجها الذي تحبه حبًّا ليس له حدود من يدري؟ قد تكون في ثورتها– أمسكت بالكيس المليء بالرمل وصوبت إلى القبطان العجوز ضربة قاضية .

–هل تصدقين ذلك حقًّا؟

–لا ندري بالضبط. وليتنا لا نغفل عن الخادم. وهو مذكور في الوصية بالحصول على مائة جنيه وإن كان لا يبدو شريرًا . وعن هذا كذلك لنتمهل. وزوجته هي ابنة أخت السيدة "بيللينج" صاحبة فندق "لي تروا كورون" . عندما أصل إلى هناك،

سأبكي على كتف السيدة العجوز وهي سيدة عاطفية وصاحبة مشاعر أموية. هذه الأخيرة سوف تتأثر كثيراً عندما تسمع بأن خطيبي قد يُزج به في السجن. بقي قصر "سيتافورد"، هل تعرف ما الذي يدهشني؟

– لا.

– هو مجيء السيدتين "ويليت" في فصل الشتاء واستئجار منزل القبطان المفروش.

– في الحقيقة قد تخفي هذه الظاهرة سرًّا مرتبطًا بماضي القبطان "تريفيليان". هذا بالإضافة إلى موضوع المائدة الدوَّارة الذي يربكني كثيرا. هذا الأمر يدفعني إلى كتابة مقال في الجريدة لسؤال علماء النفس والتنجيم في هذا الموضوع.

– إني أجهل كل شيء عن هذه القصة... وأخذ السيد "إندربي" يسردها عليها، وهي لاتتسم بأية شبهة نسبة إلى هذه الجريمة. وختم الصحفي كلامه قائلاً:

– وكانت هذه المرة الأولى التي أواجه فيها مثل هذا الموقف الذي لم أسمع عنه من قبل. فهو موضوع يحتاج إلى التفكير. اقشعرَّ بدن "إميلي". قالت:

– عن نفسي أنا أكره كل ما هو مرتبط بتحضير الأرواح. إنه فعلاً أمر مربك.

– لماذا، إذا كان الفقيد عاد بروحه لكي يعلن مقتله فلماذا لم يدلِ باسم المجرم؟!

قالت "إميلي":

– سوف نكتشف سر اللغز الذي تم في "سيتافورد".

– نعم، سنقوم بالتحقيق الجاد في هذه الناحية، ولقد عملت على استئجار سيارة، ويجب أن أنصرف خلال نصف ساعة... هل ترغبين في العودة؟

–وهو كذلك. لكن الرائد "بيرنابي"؟

–لقد انصرف وسيتوجه إلى هناك سيراً على قدميه، لقد انصرف عقب تشريح جثمان المجني عليه. على ما يبدو أنه لا يميل إلى مرافقتي. يا لها من متعة أن يسير على مياه الثلج المنصهر.

–بالنسبة إلينا، ألا نتعرض لعطل في السيارة على هذا الطريق الأملس؟

–أتعشم ألا يحدث ذلك؛ لأن المواصلات قد بدأت منذ اليوم بين "سيتافورد" و"إكسامبتون".

–لقد حان الوقت لكي نعود إلى "تروا كورون" لكي أحزم أمتعتي ولكي أحصل على مواساة السيدة "بيللينج لي" . قال لها "إندربي" بنبرة شخص حامٍ لها :
–لا تهتمي بهذا الأمر كثيراً. دعيني أهتم بما بقي. أردفت "إميلي" :
–وهذه هي نيتِّي أنا أيضًا. ليس أفضل من أن يجد الإنسان شخصًا يمكنه الاعتماد عليه .

الفصل الثاني عشر
(القبض)

كان من حسن حظ "إميلي" أنها التقت بصاحبة فندق "تروا كورون" في أثناء ولوجها في المدخل.صاحت:
– يا سيدة "بيللينج"، أنا سأرحل في فترة ما بعد الظهر اليوم.
– ستأخذين قطار الساعة الرابعة المتجه إلى "إكسيتير" يا آنستي؟
– لا، بل سأذهب إلى "سيتافورد" .
– إلى "سيتافورد"! لقد تحرك فضول السيدة "بيللينج"، أجابتها "إميلي" :
– نعم، وما أطلبه منكِ هو معرفة ما إذا كان يوجد هناك فندق مناسب.
– هل تنوين الإقامة هناك لبضعة أيام؟
–نعم... أنوي ... يا سيدة "بيللينج"، أريد منكِ معلومة ،كما أني أريد أن أتحدث معك لحظة في الحال. اصطحبت السيدة "بيللينج" الفتاة إلى صالون مريح به نار في المدفأة. بدأت "إميلي" كلامها بالآتي وهي واثقة بأن هذه الديباجة سوف تؤثر في محدثتها وتجذب انتباهها :
–أتوسل إليكِ يا سيدتي ألا تكرري ما سأقوله لكِ لأحد. قالت السيدة والفضول واضح في نظراتها:
–كوني مطمئنة.
– اسمعيني. هل تعرفين السيد "بيرسون"؟
–هذا الشاب الذي نزل هنا في الفندق وقبض عليه رجل الشرطة؟
–قبض عليه؟ تقولين إنه قبض عليه؟

–نعم يا آنستي. منذ نصف ساعة فقط. شحبت "إميلي" في الحال... ثم سألتها:

–أنت متأكدة؟

– نعم، إني واثقة بقولي لأن" آمي" خادمتنا علمت هذا الخبر من زوج أختها الكونستابل.

– شيء مفزع! هذا ما تمكنت "إميلي" من النطق به وهي تطلق زفيراً. على الرغم من أنهاكانت متوقعة القبض على "جيمس" إلا أنها اهتزت عند سماعها هذا الخبر، قالت:

–يا سيدة "بيللينج"، أنا خطيبة "جيمس" وهو لم يرتكب هذه الجريمة. أقسم لك يا سيدتي بأنه ليس سفاحًا –ثم انخرطت "إميلي" في البكاء. كانت –منذ قليل–. قد قالت لـ "شارل إندربي" إنها ستبكي على كتف السيدة "بيللينج". لكن ما أفزعها في هذه اللحظة هو أن دموعها تنساب بسرعة من عينيها، كان عليها ألا تستسلم على هذا النحو للحزن، لأن دموعها لن تخلّص "جيمس" من الحبس، وللعمل على إنقاذه عليها بالتذرع بالصبر والثبات والهدوء والالتجاء إلى اللباقة، واستخدام المنطق السليم. غير أنها وجدت في بكائها راحة وإن كانت تعتزم البكاء لتحريك مشاعر السيدة "بيللينج" فحسب.

فما كان من السيدة إلا أنها حوّطتها بذراعيها قائلة لها:

– اهدئي يا عزيزتي. تأكدي يا "إميلي" أني قلت إنه ليس الجاني ... شاب في مثل ظرفه .إن رجال الشرطة أغبياء ... لاشك في أن الذي اعتدى على القبطان هو أحد المتشردين للاستيلاء على ثروته. لا تبكي يا صغيرتي والأمور سوف تسير إلى ما فيه الخير.

–إن حبي له شديد جداً. يا له من يوم مشئوم، اليوم الذي وفد فيه "جيمس" إلى هنا! كيف سيدافع عن نفسه مع مثل هذا الشخص المتسلط هذا الـ "نارا كوت". لابد من أن نخرجه من هنا. قالت السيدة "بيللينج":

–فعلاً، فقط اهدئي يا صغيرتي. حينئذ جففت "إميلي" دموعها بمنديلها، ثم أطلقت زفيراً مرة أخرى وسألت صاحبة الفندق:

– أين يمكنني الإقامة في "سيتافورد"؟

– أمازلت مصّرة على التوجه إلى هناك؟ أجابتها" إميلي":

– نعم.

–في هذه الحالة ليس أمامك سوى مكان يمكنك الإقامة فيه، إن "سيتافورد" ليست واسعة. هناك يوجد قصر القبطان الذي استأجرته سيدة وافدة من جنوب "إفريقيا"، ثم ستة منازل صغيرة ريفية هناك. في المنزل رقم5 تسكن السيدة "كورتيس" وهي زوجة البستاني الذي كان يعمل عند القبطان "تريفيليان"، وكانت هذه السيدة– بتصريح من القبطان– تؤجر حجرات في فصل الصيف. هناك أيضًا منزل الحدّاد ومبنى البريد. غير أن المسكينة "ماري هيبر" – التي تستضيف الوافدين– عندها ستة أطفال، وأخت زوجها تسكن معها. أما عن زوجة الحدّاد فهي في انتظار المولود الثامن ولا أتوقع أن يكون لديهم مكان ولا لشخص واحد. وكيف ستتوجهين إلى هناك ... هل حجزتِ سيارة؟

–سأسافر في السيارة التي استأجرها السيد "إندربي".

–وأين سيقيم هذا الشخص؟

–لاشك في أنه سوف يستأجر حجرة هو أيضًا من السيدة "كورتيس". ترى، هل نجد عندها مكانًا لشخصين؟

–آه يا آنستي. لكن بالنسبة إلى فتاة مثلك، هذا الوضع يبدو غير لائق، وإذ كانت "إميلي" حريصة على الاحتفاظ بتقدير السيدة "بيللينج" لها قالت:

–إنه ابن عمي. قالت السيدة:

–الوضع يختلف، من يدري؟ ربما تعمل على دعوتكما للإقامة في القصر إذا رأت أنكما غير مستقرين عندها. قالت "إميلي" وهي تمسح عينيها:

–المعذرة يا سيدتي إذا كنت قد ظهرت أمامك بهذا المظهر الغبي.

–إن حزنك يا ابنتي أمر طبيعي والبكاء يفيدك إلى حد ما.

–فعلاً إني أشعر بالتحسن حاليًا.

–والآن إن تناولك قدحًا من الشاي الدافئ سوف يعيد إليك استقرارك ونشاطك.

لا... شكرًا ... أنا لا أريد شيئًا.... ألحّت السيدة "بيللينج":

–بل ستتناولين الشاي، واطلبي من "إميليا كورتيس" عن لساني– أن تعتني بك.

–كم أنك طيبة يا سيدتي!

– في أثناء تواجدك هناك سأفتح عيني وأذني لكل ما يدور من حولي. إني كثيراً ما أسمع محادثات لا تصل أبداً إلى الشرطة. وكل ما أحصل عليه من معلومات نافعة، سوف أوافيك بها.

–أشكرك من كل القلب يا سيدتي.

–سيدتي، أرجو ألا تتكدري، سنعمل أقصى جهدنا حتى نخرج خطيبك من الحبس.

–الآن سأصعد لكي أحزم أمتعتي.

–اذهبي وسأرسل لك الشاي في حجرتك. ثم بعد أن أغلقت "إميلي" حقيبتها ندَّت عينيها بالماء البارد ثم تزينت. لكن عندما نظرت "إميلي" إلى المرآة وجدت أن البكاء عمل على تغيير وجهها. قالت:

–لا يهم الجمال. المهم أني استرحت بعد البكاء. رنت بعد ذلك الجرس فأسرعت إليها الخادمة الظريفة (شقيقة زوجة "جريف" الكونستابل) أعطتها "إميلي" جنيهاً قائلة لها:

– ليتكِ توافينني بكل خبر جديد، خاصة في محيط الشرطة. فوعدتها بالتنفيذ. ثم قالت لها:

–ستقيمين عند السيدة "كورتيس" في "سيتافورد"، أليس كذلك؟ حسناً، اعتمدي عليَّ. سأعمل أقصى جهدي للحصول على معلومات، آه لو علمتِ كم أننا نشاركك الألم! صدقيني، أنا أضع نفسي في وضعك.

–أشكرك "يا آمي" على شعورك وكلماتك الحلوة.

–أمسكي يا آنستي. هل تعلمين ماذا وجدت في الرواية الأخيرة التي اشتريتها والتي عملت على اكتشاف الجاني؟ قطعة شمع من االذي يستعمل للختم! لاشك في أن خطيبك أجمل من الصور التي تبدو في الصحف. سنعمل المستحيل من أجله ومن أجلك. ابتلعت "إميلي" قدح الشاي على عجل ،غادرت فندق الـ "تروا كورون" وطاقم الفندق يعتبرها بطلة قصة حب تعيسة. وعندما جلست "إميلي"

في السيارة الـ "فورد" القديمة ، قالت لمرافقها- خاصة- وهو أمر مهم جدًّا:

- لا تَنْسَ يا سيد "إندربي" أنك ستكون ابن عمي عند إتمام مهمتنا هذه.

-لماذا؟

-لأن تفكيرهم محدود جدًّا في الريف. أجابها الصحفي مسرورًا:

-إذن في هذه الحالة يجب أن أناديك باسمك يا "إميلي".

-تماما يا ابن العم، وما اسمك يا سيد "إندربي"؟

- "شارل"

-مفهوم يا "شارل". وانطلقت السيارة على طريق "سيتافورد".

الفصل الثالث عشر
(قرية سيتافورد)

وقفت "إميلي" مبهورة أمام جمال الريف تحت الثلوج. لقد غادرت السيارة- بعد أن قطعت مسافة ثلاثة كيلومترات من "إكسامتبون" - الطريق الرئيسي، وصعدت مرتفعًا وسط سهل فسيح، تقع هذه القرية على أطرافه. كانت "سيتافورد" تتضمن ورشة حداد، ودكانًا يُستخدم كمكتب بريد، وفي الوقت نفسه كمحل لبيع المأكولات المحفوظة. ثم عرجت إلى درب يوصلهما أمام صف المنازل الريفية الصغيرة التي من الجرانيت، وهي حديثة التشييد. توقف سائق السيارة أمام المنزل الثاني معلنًا أنهم وصلوا أمام منزل السيدة "كورتيس" بدت هذه السيدة القصيرة النحيفة في أقصى حالات الاضطراب منذ أن سمعت خبر اغتيال القبطان "تريفيليان" الذي وفد إلى "سيتافورد" في صباح اليوم نفسه فقط. رحبت بهما قائلة:

-بالتأكيد يا آنستي في إمكاني توفير إقامة لكِ ولابن عمك. أعتقد أنه لا يضايقكما تناول الطعام على مائدتنا أليس كذلك؟ من كان يصدق هذا الخبر؟ القبطان "تريفيليان" يُغتال! إننا نعيش في منطقة منعزلة من كل الجوانب، وصباح اليوم كاد يُغشى عليّ عندما سمعت هذا الخبر، لكني سأدعكما هنا في الخارج. أستأذنكما بالدخول لكي أعّد لكما الشاي ... لابد أنكما تعانيان قسوة البرد.

وبعد هذه المقدمة وحسن الاستقبال دخل كل من "إميلي" و"شارل" إلى مكان الإقامة الجديد. كانت حجرة إميلي" مربعة وهي في قمة النظافة، كما أنها تطل علي السهل. والغرفة المجاورة التي سوف يشغلها شارل" بها سرير وكومودينو صغير جدًا.وجاء تعليق "إندربي" بعد أن وضع له السائق الحقيبة على السرير:

–المهم أننا تواجدانا في المكان المطلوب. أراهن على أننا سنتعرف خلال ربع ساعة إلى جميع سكان "سيتافورد" الهنود. ثم بعد عشر دقائق، كانا جالسين في المطبخ الفسيح وقد تم تقديمهما إلى السيد "كورتيس"، وهو رجل مسن قد وخط الشيب شعره، وكان يبدو عبوسًا. تناولا ما قدم لهما من شاي وبيض مسلوق وفطائر بالزبد والكريمة (القشدة). في أثناء تناول الطعام كانا يستمعان إلى ثرثرة ربة الدار، وخلال نصف ساعة تمكنا فعلاً من معرفة جميع سكان القرية. أولاً الآنسة "بيرسهاوس" التي تقيم في المنزل رقم 4، وهي عانس ذات طبع شاذ، وفدت إلى هذا المكان– حسب قول السيدة "كورتيس" – منذ ست سنوات لكي تقضي باقي أيامها. وهكذا كان تعليقها عنها:

–لكن، صدقيني يا آنستي، إن هواء "سيتافورد" أفادها لأنه نقي. وهذه الآنسة لها ابن أخ يأتي لزيارتها من حين إلى آخر. وهو حاليًا هنا. بحسب رأيي يقوم بذلك حرصًا على ألا تتبدَّد ثروة عمته؛ لأن مثل هذه القرية وفي مثل هذا الفصل من السنة لا يقدم ما يجذب شابًا للإقامة بها. على أي حال لقد كان في مجيئه إلى هنا، عناية إلهية بالنسبة إلى الآنسة المقيمة في القصر، مسكينة هذه الصغيرة، يا لها من تعاسة أن تقضي الشتاء هنا! هذا لأن هذا الشاب الذي يدعى السيد "رونالد جارفيلد" يتردد عليها كلمّا استطاع ذلك دون أن يهمل عمته. تناول "إندربي" النظرات مع إميلي". تذكر "شارل" أنه سمع هذا الاسم بين هواة لعبة المائدة الدوارة. واستطردت السيدة "كورتيس":

–والمنزل الموجود في مواجهة منزلي– وهو رقم 6– به السيد "ديك". في بدء الأمر من يراه يظنه من رجال الجيش القدامى، لكنه لا يتمتع بأي مظهر من مظاهر أولئك الرجال. إنه لا يشبه الرائد "بيرنابي" في شيء. أما المنزل رقم 3 فهو للسيد "ريكروفت" وهو أعزب مسن على ما يبدو، وقضى حياته في التجول في البلاد

البعيدة بحثًا عن الطيور النادرة لصالح المتحف البريطاني، وهو- كلما سنحت له الفرصة- خرج للنزهة، وهو يحب الكتب، وليس بمنزله المتواضع هذا من أثاث سوى المكتبات. وفي المسكن رقم 2 يوجد شخص معوّق وهو القبطان "ويات"، والذي يقوم بخدمته شاب هندي . هذا القبطان يعاني كثيراً هذا المناخ؛ لذلك فهو يكثر إشعال النار بالمدفأة بالمنزل بحيث إن من يدخل عند القبطان كأنه دخل إلى جهنم أو إلى موقد.

أما "الرائد "بيرنابي" فإنه يسكن المنزل رقم 1 وهو يعيش فيه بمفرده. وهو نظيف ومنظم . وكان صديقًا حميمًا للفقيد القبطان "تريفيليان" . أما عن السيدة وابنتها الآنسة "ويليت" فلا يُعرف لهما أصل، على ما يبدو أنهما ثريتان؛ لأنهما تنفقان كثيرا . قد لا تتصور عدد البيض الذي يدخل هذا المنزل، ولقد اصطحبت كل منهما خادمتها. وبما أن هاتين الخادمتين تشعران بالضيق لهذه العزلة، تقوم السيدة "ويليت" باصطحابهما بسيارتها إلى "إكسيتير" مرتين في الأسبوع... ثم قالت:

- "هيا، من الأفضل أن أرفع ما على المائدة.. وأطلقت زفيراً. و"شارل" و"إميلي" فعلا مثلها؛ وكانا قد دهشا لهذا السيل من المعلومات. سألها "شارل" :

-هل عاد الرائد "بيرنابي" ؟ في الحال توقفت السيدة "كورتيس" وهي ممسكة بالصينية وقالت:

-لقد وصل سيراً على قدميه كعادته قبل وصولكما بنصف ساعة. وعندما قلت له : « مستحيل أن تأتي سيراً على قدميك، أجابني: « لم لا؟ عندما يكون للمرء ساقان فهو في غنى عن الأربع عجلات. إنك تعلمين جيداً يا سيدة "كورتيس" أني أقوم بهذه النزهة مرة كل أسبوع »، فأجبته:« إني أعلم ذلك جيداً، لكن في هذه المرة، الوضع يختلف. إني دهشة لأن تكون لك القوة اللازمة لمسيرة طويلة كهذه بعد تأثرك من هذا الحدث المؤسف! » اكتفى بالبرطمة وواصل طريقه. غير أنه كان يبدو متعبًا. إنها معجزة كونه وصل مساء يوم الجمعة إلى "إكسامبتون" معافى. وأعتقد أن من يقوم بقطع مسافة عشرة كيلومترات تحت الثلج، فهو مختل عقليًا. إنه يفعل ما يعجز الشبان عن القيام به في أيامنا هذه. وكلنا هنا برأي واحد:

السيدة "هيبر" البوابة والحداد السيد "باوند"، وكلنا ندين السيد "رونالد جارفيلد"؛ لأنه ترك الرائد ينصرف بمفرده؛ إذ كان من الواجب عليه أن يرافقه. وإذا كان الرائد "بيرنابي" فُقد في هذه العاصمة، لأدان الجميع السيد "جارفيلد" على تصرفه هذا. ثم انصرفت وقد بدا عليها النصر، واختفت في المطبخ لغسل الأواني، وحينئذ جاء تعليق زوجها:

– يالثرثرة النساء! وبعد برهة أضاف:

– إن السيدات لا يعرفن ما يقلن خلال ثلاثة أرباع الوقت، وكان "إميلي" و"شارل" يصغيان" إليه في صمت . ثم– وقد كف "كورتيس" عن الكلام– تمتم الشاب:

–إنك على حق يا سيدي.

– آه! هذا ما نطق به "كورتيس" وعاد بعد ذلك إلى صمته. نهض بعد ذلك "شارل إندربي" قائلاً:

–سأذهب لمقابلة العجوز "بيرنابي" لكي أعلن له زيارة المصورين صباح غد. قالت "إميلي":

–سأرافقك لأني أرغب في معرفة رأيه عن "جيمس". سألها:

–هل عندك حذاء من الكاوتشوك؛ لأن الشوارع موحلة؟ أجابت "إميلي":

–لقد اشتريت حذاء ذا رقبة وأنا في "إكسامبتون".

–يا لكِ من سيدة عملية! بعد أن انصرفا، عادت السيدة "كورتيس" من المطبخ فقال لها زوجها:

–لقد ذهبا عند الرائد.

–آه! وأنت ما رأيك فيهما؟ هل هو يغازلها؟ يقال إن الزواج من أبناء العم لا ينجح أبدًا، وهما غالبًا ينجبان أطفالاً مصابين بالصمم أو الخرس أو البلاهة. إنه مولع بها– واضح جدًّا – لكنها ماكرة ولها طريقتها عند مخاطبة الرجال. إني أتساءل عن سبب مجيئها إلى هنا .برطم السيد "كورتيس" مرة أخرى:

–بحسب رأيي، أنها تحب الشاب الذي قبضت عليه الشرطة وأنها أتت إلى هنا في محاولة لاكتشاف شيء ما. اسمعي ما سأقوله لك يا "كورتيس": من الصعب

اكتشاف سر هذه الشابة.

الفصل الرابع عشر
(السيدتان "ويليت")

في الوقت الذي توجه فيه "شارل" و"إميلي" إلى الرائد "بيرنابي"، كان المفتش "ناراكوت" جالساً في صالون قصر "سيتافورد" في محاولة لتكوين فكرة عن موقف السيدة "ويليت". لم تكن الفرصة متاحة له للتوجه عندها قبل ذلك بسبب سوء حالة الطرق. لم يجد في السيدة "ويليت" الصورة التي كان قد كونها في ذهنه عنها. وكم كانت دهشته عندما رأى سيدة فارعة القوام. ذات وجه صغير وعينين لامعتين تدخل إلى الصالون بخطى واثقة. كانت ترتدي فستاناً فاخراً من الجرسيه الحرير وجورباً من الحرير، وتحتذي حذاءً لامعاً بكعب عالٍ. لمح المفتش أن بأصابعها خواتم ثمينة وأن بعنقها قلادة من اللآلئ الضخمة، لاشك في أنها غالية الثمن أيضاً. بدأت الحديث دون أن تدع الفرصة لـ "ناراكوت"، قالت له:

–إنك المفتش "ناراكوت"؟ لاشك في أنك ترغب في تفتيش المنزل. يا له من حدث مأسوي! أكاد لا أصدقه. إننا لم نعرف بهذا الخبر سوى صباح اليوم، تفضل بالجلوس يا سيدي، أقدم لك ابنتي "فيوليت"؟ لمح الفتاة التي دخلت إلى الحجرة بعد أمها ولم يطل النظر إليها، مع ذلك كانت "فيوليت" شقراء رائعة الجمال، وعيناها زرقاوان جلست السيدة "ويليت":

–فيم يمكنني معاونتك يا سيدي المفتش؟ إن معرفتي بالفقيد كانت سطحية جدًّا، لكن إذا كنت تظن....

–شكراً جزيلاً يا سيدتي، إننا لا نعرف أبداً في بداية أي تحقيق من أين نحصل على الضوء.

–إني مدركة ذلك. ربما تجد في هذا المنزل أحد التفاصيل الكفيلة بإرشادك خلال مهمتك المؤسفة، لكنني أشك في ذلك. لقد رفع القبطان من هنا كل الأشياء الخاصة به. المسكين، كان يخشى أن ألمس صنارته. هكذا أضافت ضاحكة.

–أما عرفته قط؟

– قبل استئجار المنزل؟ لا، لكن بعد ذلك وجهت إليه أكثر من مرة الدعوة للحضور طرفي، لكنه كان يرفض ربما لأنه كان خجولاً. لقد تقابلت مع عشرات الرجال من هذا النوع. والمجتمع يصفهم بأنهم "مبغضو النساء، لكن في الواقع إنهم يفتقرون إلى الشجاعة وبعض الجرأة للحديث، ليس إلا. ولو أني تمكنت من استقباله لأصبحنا صديقين حميمين. حاليًّا، لم يُدهش المفتش "ناراكوت" لموقف القبطان نحو السيدة التي استأجرت قصره، بعد قليل أضافت:

–لقد قمنا بعدة محاولات– لكنها كانت كلها فاشلة– من أجل جعله يتقرب منا، أليس كذلك يا "فيوليت"؟

–نعم، يا أمي. أردفت السيدة "ويليت" بعد ذلك:

–في الحقيقة كانت له روح البحار وكما تعلم أن النساء يملْن إلى البحَّارة. لاحظ المفتش أن– في هذه اللحظة– محدثته تدير المحادثة وفقًا لمزاجها. والمهم عنده هو اكتشاف ما إذا كانت هذه السيدة بريئة على النحو الذي تبدو عليه أم لا.

–أريد بعض المعلومات عن ...

–عمّ يا سيدي المفتش؟

–عن حدث تم في منزلك. كما تعلمين أن "بيرنابي" هو أول من اكتشف جثة صديقه وأنه توجه فور حضوره جلسة المائدة الدوَّارة، التفت "ناراكوت" فجأة لأنه سمع صرخة مكتومة تصدر عن الفتاة. قالت الأم في أنين:

–مسكينة يا "فيوليت". لقد اضطربت بشّدة... وفي الحقيقة لحق التوتر بنا جميعًا. أنا لا أشك في أحد، لكن الموقف غامض. بالنسبة إلى ما حدث مع المائدة، فأنا لست ممن يعتقدون في هذه الأباطيل.

– لكن هل حدث ذلك فعلاً؟

– وكيف نشك في ذلك حاليًّا؟ في بدء الأمر ظننتها مداعبة من أحد الحاضرين وخاصة من" رونالد جارفيلد".

–آه، لا يا أمي أقسم لك أنه لم يقم بأية حركة.

–أنا يا "فيوليت" أقر حقيقة. لقد كان مزاحًا سخيفًا ومقلبًا غير سار، وأنا أدلي الآن بما حدث. سألها المفتش:

–لكن هل اضطربتِ عند سماع هذا الخبر؟
–لقد ذهلنا كلنا... وكل ما كنا نرجوه أو نهدف إليه كان قضاء سهرة مسلية ليس إلا... حتى وصلتنا هذه الرسالة... التي أثارتني.
–لأني تصورت أن أحد المدعوين قام بذلك للمزاح فحسب.
–وحاليًّا؟
–أصبحت حائرة. صدقني أصبحت عاجزة عن التفكير في هذا الأمر.
–وأنت يا آنسة؟ انتفضت الفتاة:
–أنا؟ أنا... أنا لا أدري كيف سأتخلص من هذه الذكرى. إنها تؤرقني في الليل. لن أسعى بعد الآن إلى الاشتراك في هذه اللعبة.
–لاشك في أن السيد "ريكروفت" سيؤكد أنها ظاهرة تفوق الطبيعة وهو يثق بذلك. وأما عن نفسي فإني كدت أثق بذلك، لأنه إن لم تكن الرسالة آتية من العالم الآخر، كيف تفسرها سيادتك؟ حك المفتش رأسه غير مصدق ثم وجه إلى السيدة "ويليت" سؤالاً بعيداً عن هذا الموضوع:
–ألا يبدو لك فصل الشتاء في هذا البلد كئيبا؟
–إننا نعشق التغيير. ربما أنك تجهل أننا وافدتان من جنوب "إفريقيا"؟وكانت تتحدث بنبرات طبيعية.
–حقًّا؟ ومن أي منطقة في جنوب "إفريقيا"؟
– من "كيب تاون"... لم تكن "فيوليت" قد وفدت إلى "إنجلترا" قبل الآن، إن كل ما تجده هنا– حتى هذه الثلوج– يبهجها. هذا بالإضافة إلى ما في هذا المنزل من وسائل الراحة. سألها "ناراكوت" بنبرة ودية لا تخلو من الفضول:
–وما الذي دفعك إلى المجيء إلى هنا؟
–لقد قرأنا كثيراً في الكتب عن الـ "ديفونشير" واشتقت كثيراً لمشاهدة "دارتمور".
– ولماذا وقع اختيارك على "إكسامبتون" وهي قرية صغيرة تكاد أن تكون مجهولة؟
–لأننا ونحن على ظهر السفينة، بينما كنا نتصفح أحد هذه الكتب التي تذكر

أراضي "ديفون" حدثنا أحد الشبان– كان معنا على هذه السفينة– في حماس عن "إكسامتبون" .

–ما اسم هذا الشاب؟ وهل هو من سكان هذا البلد ؟

–في الحقيقة أنا لا أتذكر اسمه. غباء، أليس كذلك؟ إنك خير من يعلم هذه اللقاءات السريعة في أثناء الرحلة. في البداية يُخيل إلى المرء أنه كوّن علاقة مع أفراد غرباء وكل منهم يَعِد بأن يقابل الآخر فيما بعد، ولكن بعد الهبوط من الطائرة أو الرسو، لا يتذكر حتى اسم هؤلاء الأصدقاء العابرين. وأطلقت ضحكة رنانة:

–هذا على الرغم من أنه كان ظريفًا... لم يكن جميلاً بهذه الباروكة الحمراء التي كان يضعها فوق رأسه.. لكن ابتسامته كانت فعلاً جذابة.

– ويبدو أنكِ اخترتِ الإقامة هنا بناء على مدحه لهذا المكان.

–فعلاً وببساطة. أمر عَجيب أليس كذلك يا حضرة المفتش؟!

–وبالتالي أرسلتِ خطابًا إلى وكالة متخصصة في استئجار الشقق للعثور على منزل؟

–نعم، ووصلتني معلومات عن قصر "سيتافورد" . وكانت كل ميولنا وشروطنا متوفرة في هذا المنزل. استطرد المفتش ضاحكًا:

–لكن عن نفسي قد لا أختار البقاء في هذا المكان في مثل هذا الفصل من السنة. أجابته السيدة "ويليت" في الحال:

–لو كنا قد أقمنا في" إنجلترا" ، لاختلف اختيارنا بلاشك. نهض المفتش وهو يقول:

– وكيف حصلت على اسم الوكالة التي أبرقتِ إليها؟ لأول مرة تأخرت السيدة عن الإجابة، مما جعل المفتش ينظر إليها، وإذا به يرى الارتباك في عينيها بل وربما الغضب. على ما يبدو أن في سؤاله تطفلاً. التفتت إلى ابنتها وسألتها:

––هل تتذكرين يا "فيوليت" كيف عثرنا على العنوان؟ حينئذ اتسعت حدقتا الفتاة. وإذا بالسيدة "ويليت" تواصل:

–آه، لقد تذكرت، استفسرت في مكتب استعلامات عند "سيلفريدج" عن أفضل وكالة عقارية في "إكسامبتون" وأولئك الناس مثيرون للدهشة، فهم ملمون

بكل شيء. "كان هذا الرد كافيا، هكذا فكر المفتش "ناراكوت"، غير أن الإجابة تأخرت هذه المرة. وكل ذلك لا يبدو واضحًا. مازال الغموض أمامه. ثم قام بجولة سريعة بالمنزل دون أن يكتشف ما هو مثير للشبهة، وبعد ذلك استأذن من السيدة "ويليت" بعد أن شكرها. وفي

لحظة انصرافه لمح وجه الفتاة- وهي خلف والدتها- معبراً بوضوح عن الفزع. قال المفتش في نفسه: « الآن مستحيل أن أشك في الأمر، إن الفتاة-في اللحظة التي علمت فيها أنها ليست مراقبة- لم تعمل على إخفاء مشاعرها ». في هذه الأثناء كانت السيدة "ويليت" تواصل الحديث:

- وا أسفاه. إن ما يضايقنا هنا هو مشكلة الخدم؛ لأنهم لا يميلون إلى البقاء في الريف. واللاتي يعملن عندي كثيراً ما يهددن بالتخلي عني، وعلى ما يبدو أنهن تأثرن عند سماع خبر اغتيال القبطان "تريفيليان"، لذلك أوصاني مكتب توظيف الخدم بالالتجاء إلى طاقم خدمة من الذكور. وجاء رد المفتش عليها بطريقة آلية. لقد كان ذهنه مشغولاً بما بدا على وجه "فيوليت" وكان غير مصغُ إلى الأم، . بالتأكيد لقد قامت السيدة "ويليت" بدورها على أكمل وجه، لكن.... هذا لا يكفي المفتش "ناراكوت". وهكذا انصرف المفتش غارقًا في أفكاره، إذا كانت حالة اغتيال القبطان "تريفيليان" لا تهم السيدتين "ويليت"، وأنهما بعيدتان عن الشبهة كل البعد، فلماذا شحبت الفتاة على هذا النحو، ولماذا بدت علامات الخوف على محيَّاها ؟ أخيراً فكر المفتش باللعب بآخر "كارت" أي بإجراء آخر محاولة، التفت وهو على عتبة الباب وسأل:

-بالمناسبة، هل تعرفين الشاب الذي يُلَقَّب بـ "بيرسون" ؟ في هذه المرة تأكد المفتش ارتباك السيدة التي أجابته بعد فترة:

- "بيرسون" ؟ لا أعتقد. ثم صدر صوت صرخة من الصالون عقب صوت سقوط.

-دخل المفتش إلى الصالون في لمح البصر فوجد "فيوليت" مغشيًّا عليها. أطلقت السيدة "ويليت" زفيراً وقالت:

-مسكينة يا صغيرتي. مؤثرات متعددّة في آن واحد، عملية المائدة الدوّارة،

ونهاية أمر اغتيال القبطان "تريفيليان"، وهي ضعيفة البنية بطبيعتها. ضعها على الأريكة يا سيدي المفتش من فضلك وتكرم برن الجرس... شكرًا. انصرف المفتش صامتًا. كان يعلم أن "جيمس بيرسون" خطيب هذه الفتاة التي كان فد رآها في" لندن"، إذن، ما سر إصابة "فيوليت ويليت" بالإغماء عند ذكر ابن أخت "تريفيليان"؟ تُرى أية صلة تربط "جيمس بيرسون" بـ آل" ويليت"؟ توقف "ناراكوت" أمام سياج القصر وأخرج من جيبه مفكرة بها أسماء سكان المنازل الستة الريفية التي شيدها القبطان "تريفيليان" مع بعض المذكرات أمام كل رقم. وأشار إلى الرقم 6 " قائلاً: « سأتوجه للقائه فوراً». هكذا سار بطول الدرب، وعندما وصل إلى الرقم 6 – حيث يسكن السيد "ديك"– قَرعَ الباب بشدة بالمطرقة.

الفصل الخامس عشر
(زيارة الرائد "بيرنابي")

قرع "شارل إندربي" باب الرائد "بيرنابي". وإذا بالباب يُفتح تقريبًا في الحال ويبدو الرائد على عتبته متوترًا. قال بنبرة غير مشجِّعة:

–أنت؟ مرة أخرى؟ غير أن تعبيرات وجهه تغيرت عندما لمح "إميلي"، حينئذ أعلن "شارل":

–ها هي الآنسة "تريفوزيس". إنها ترغب في لقائك والتحدث معك. استفسرت "إميلي" وعلى شفتيها ابتسامتها الجذّابة:

–هل في إمكاني الدخول؟

–بالتأكيد يا آنسة. تقدمها الرائد إلى صالون منزله الصغير واهتم بترتيب المقاعد والموائد الصغيرة. كعادتها بادرته "إميلي" بما تهدف إليه:

– سيدي الرائد "بيرنابي"، أنا خطيبة "جيمس بيرسون" وأنت بالتأكيد تقدر مدى قلقي لهذا الموضوع. توقف الرائد عما كان يقوم به ووقف دهشًا لحظة... ثم أردف:

–إني مشفق عليك يا آنستي العزيزة من كل قلبي.

–... أرجو أن تجيبني بكل صدق وصراحة. أتعتبره جانيا؟ ليس من حرج في مصارحتي. قال "بيرنابي" بنبرة واثقة:

–لا، بالمرة. ثم ضرب بكفه بشدة على وسادة وجلس في مواجهة "إميلي" وأردف:

– إن "جيمس بيرسون" شاب جميل... وقد يكون ضعيف الشخصية. ليتك لا تتضايقين يا آنسة إذا قلت لكِ إن مثل هذا الشخص ينساق بسهولة إلى الشر... لكنه لا يصل إلى حد القتل أو الاغتيال... لا...لا.

–أشكرك على هذه الكلمات.

–أترغبين في تناول مشروب ساخن؟ هذا كل ما عندي لأقدمه لك.

–شكرًا يا سيدي "بيرنابي"، لن أتناول شيئًا.

–ولا قليلٍ من ماء "سيلتز"؟

–لا، شكرًا، بدا الضيق على الرائد فقال:

–إذن أقدم لك قدحًا من الشاي. أسرع "شارل" بالرد:

–لقد شربنا الشاي عند السيدة "كورتيس". سألته "إميلي":

– سيدي الرائد "بيرنابي"، بحسب اعتقادك من هو الجاني؟

–ليست لدي أي فكرة. في بدء الأمر نسبت هذه الجريمة إلى أحد المتشردين والذي قام بذلك بهدف السرقة، لكن الشرطة لم تقتنع بهذا الاحتمال. لاشك في أن الشرطة تعمل بدقة أكثر عند التحقيق ولا تكتفي بأول احتمال مثلنا يا آنسة "تريفوزيس". ولقد علمت أنه لم يكن للقبطان أعداء.

–نعم، وهذا لأني أعرف القبطان "تريفيليان" أكثر من بعض أفراد أسرته.

–وأنت أليست لديك وجهة نظر أو أي حدث قد يساعد على اكتشاف الجاني؟

–أعلم ما تقصدين، أي أنه، كما في الكتب، عليَّ أن أتذكر أحد التفاصيل أو أي حدث عابر قد يضعنا على طريق جديد في التحقيق. بصراحة، لا. آسف، كما أني لا أرى ما يدعو إلى ذلك. لم تكن لـ "تريفيليان" علاقات خاصة، وكان لا يستلم خطابات كثيرة وبالتالي لم تكن له مراسلات وليست في حياته عقد نفسية

ولا مؤثرات عاطفية. حقًّا يا آنسة "تريفوزيس" أنا لا أرى في أمره ما هو غير عادي. سأله "شارل" :

–وما رأيك في خادمه؟

–إنه في خدمة "تريفيليان" منذ سنوات عديدة. وهو مخلص له. أضاف "شارل" :

–لقد تزوج منذ فترة قريبة.

–نعم لقد تزوج من فتاة محترمة وشريفة. واصلت "إميلي" :

–أرجو يا سيد "بيرنابي" أن تغفر لي تدخلي في هذه الأمور التي قد تكون سرِّية، لكن يبدو لي أنك شعرت مسبقًا بما حدث لصديقك. حكّ الرائد أنفه وقد بدا عليه الضيق كعادته كلما أشار أحدهم إلى جلسة المائدة الدوارة. قال:

–أنا لا أعير هذه الجلسات اهتمامًا ولا أثق بهذه الأوهام، وكنت على يقين بأنه غباء مطلق، ومع ذلك ورغمًا عني ... أردفت "إميلي" :

–في هذه المرة أحسست لاإراديًّا بأنها حقيقة. أيد الرائد قولها بإيماءة من رأسه.

–وما يدهشني... وكان الرجلان قدتبادلا النظرات .

– يا رائد "بيرنابي" ، هأنت تعلن أنك لا تؤمن بهذه الجلسات ولا بتحضير الأرواح... ومع ذلك لقد ارتبكت عند سماع خبر وفاة القبطان، إلى الحد الذي دفعك إلى التوجه إلى مسكنه مع العاصفة الثلجية. ألم تشك وقتئذ في أن هناك شيئًا ما في الأفق؟ ولما لم تلاحظ أي رد فعل على ملامح الرائد واصلت:

–أقصد بذلك أن في ذهن شخص آخر تنبؤًا معينًا وأن هذا الشخص أراد أن ينقل إليك فكرته. حكّ الرائد أنفه مرة أخرى وقال:

–لا أعلم شيئًا عن ذلك. ثم أضاف:

–من البديهي، أن النساء يأخذن هذه الأمور بجدّية.

– السيدات! ربما... بمَ تصف السيدتين آل "ويليت" يا رائد "بيرنابي"؟

–صدقيني، إنهما تتصفان بالمودة والإخلاص. هكذا أجاب "بيرنابي" وقد شعر بالحرج لإدلائه بأبسط تعليق عن أي شخص.

–لماذا استأجرتا قصر "سيتافورد" للإقامة فيه في هذا الفصل من السنة؟

–هذا ما أجهله مثل الجميع. ألحت "إميلي" :

– ألا ترى في ذلك تصرفًا شاذًا؟

–بالتأكيد، لكن حسب رأي المفتش "ناراكوت" أن لكل ميوله بالنسبة إلى الأذواق والألوان. ألحت "إميلي" مرة أخرى:

–افهمني، إننا عندما نقبل على عمل ما، لابد وأن يكون لنا هدف.

–أنا لا أعرف عن هذا الأمر أكثر من غيري يا آنسة وربما أن ما لا تُقبلين عليه من عمل، قد يُقبل عليه غيرك...

–وهل كانتا على صلة بالقبطان "تريفيليان" قبل مجيئهما إلى هنا؟

–لو كان الأمر كذلك لحدثني عنهما القبطان من قبل كما أنه دُهش عند استلام خطابهما.

–وهو كذلك وجد أن تصرفهما شاذ؟

– صدقيني، مثلنا تمامًا.

–وماذا كان موقف السيدة "ويليت" من القبطان، هل كانت تسعى إلى تجنبه؟

–آه، لا بالعكس يا آنسة، بل إنها كانت تزعجه بإلحاحها المتكرر لدعوته عندها. أردفت "إميلي" :

–آه! إذًا قد تكون– ولو عن احتمال– استأجرت هذا القصر للتقرب من القبطان؟

–ممكن.

–لاشك في أنها كانت لا تجد سبيلا آخر للتقرب منه. قال صديق المتوفى:

–لم يكن القبطان سهل التقرب من أحد وأحب أن ألفت نظرك إلى أن "ناراكوت" ذاته يشاركك هذه الفكرة. شعرت حينئذٍ "إميلي" بالضيق عندما اكتشفت أن المفتش "ناراكوت" فكر في الأمر مثلها وقبلها، لأنها كانت تعتز دائمًا بحذقها. نهضت ومدَّت يدها للرائد للمصافحة. وقالت له ببساطة:

–شكرًا. وأردف "إندربي" :

–إلى اللقاء يا سيدي، لا تنس أني سأحضر غدًا ومعي آلة التصوير. ودعها "بيرنابي" وهو يبرطم وعاد كل من "شارل" و "إميلي" إلى مسكن السيدة

"كورتيس" . قالت "إميلي" للشاب:

– تعال عندي في حجرتي، لأني أريد أن أتحدث معك. جلست على المقعد الوحيد الموجود بالحجرة و"شارل" جلس على السرير. رفعت قبعتها من على رأسها وألقت بها إلى ركن الحجرة.

–حاليًا، يبدو لي أني أمسكت بطرف الخيط، قد أكون غير صائبة، ولكن لقد واتتني فكرة بشأن المائدة الدوارة .هل سبق لك أن قمت بذلك؟

–نعم، من حين إلى آخر.

–بالتأكيد، كثيراً ما يستخدمها الناس للتسلية فحسب في الليالي الممطرة.وإذا كنت اشتركت فيها ذات يوم، هل تعرف كيف يحدث ذلك؟ تبدأ المائدة بهجاء اسم معروف لجميع الحاضرين: حينئذ يقوم كل منهم– لاإراديًا– بهزّ المائدة. أيد "إندربي" رأيها:

–إنها حقيقة.

–افترض أن أحد الجالسين حول المائدة أعلن باغتيال القبطان "تريفيليان" . . . .

اعترض "شارل" :

–آه، لا تندفعي هكذا. . .

–إني أطرح عليك نظرية ما وهي أن أحد اللاعبين على علم بمقتل القبطان، عجز عن كتمان سّره والمائدة خائنة أي فضحت سًره.

–إنها فكرة نادرة. لكني لا أثق بها .

–عندما نبحث عن أحد الجناة، يجب أن نحتمل كل شيء وألا نرفض أية فكرة.

–حسنًا، لقد وافقت على أن تكون نظريتك حقيقية.

–رائع. في هذه الحالة، علينا بالقيام بفحص الأفراد الذين كانوا حول المائدة. أولاً الرائد "بيرنابي" والسيد "ريكروفت" : ، والمفروض أنهما بعيدان عن أية شبهة . بعد ذلك هناك السيد "ديك" . وحتى الآن لا نعرف عنه شيئًا. لقد وصل منذ قليل إلى البلد. . . ومن يدري؟ قد يكون قد انضم في الحال إلى زمرة الأشرار، ثم السيدتان "ويليت" ، اسمعني يا "شارل"، إن وراءهما سرا.

–وما منفعتهما في اغتيال القبطان؟

–مبدئيًا لا شيء. لكن مع البحث قد تكون هناك نقطة خفية يجب البحث عنها.

–وإذا كان هذا الاحتمال خاطئًا ؟

–ما علينا إلا الانتقال إلى طريق آخر. هنا صاح "شارل" :

–اسمعي!– رافعًا يده– ثم أسرع إلى النافذة وفتحها. سمعت "إميلي" الصوت الذي لفت انتباه "شارل"، إنه صوت جرس. وإذا بصوت السيدة "كورتيس" يصعد إلى الشابين قائلا:

–هل تسمعان؟ الجرس يرن، هيه؟ مارأيكما؟ سألتها "إميلي" :

–أي جرس ولماذا؟

–إنه جرس سجن "برينستاون" يا آنسة وهو يبعد عنا عشرين كيلومترًا. وهذا يعني الإعلان عن هروب أحد المسجونين. "جورج" ... "جورج" أين أنت؟ هل تسمع الجرس، مسجون هارب. واختفى صوت "كورتيس" عند المطبخ. أغلق "شارل" النافذة وعاد إلى مكانه على السرير.

–لو كان هذا السجين قد قفز من فوق الحائط يوم الجمعة لتكشف الأمر ولا فائدة من البحث عن السفاح. هارب من السجن– جوعان– يدخل إلى مسكن القبطان، والقبطان يدافع عن نفسه، والمجرم في يأسه يطعنه. تنهدت "إميلي" وهي تقول:

–نعم، وكان الأمر يصبح بذلك سهل التعليل. وحك "شارل" رأسه في أسى وهو يقول :

–وللأسف يهرب هذا البائس بعد الجريمة بثلاثة أيام.

الفصل السادس عشر
(السيد "ريكروفت")

استيقظت "إميلي" في صباح اليوم التالي مبكرًا جدًا.و– كإنسانه رزينة– لم تفكر في إيقاظ شريكها في العمل، عندما شعرت بأنها غير قادرة على البقاء في الحجرة، خرجت للنزهة. بعد أن اجتازت سور قصر "سيتافورد" وسارت في الدرب المتجه إلى اليمين صعدت الهضبة. وكان الهواء باردًا. وعندما وصلت "إميلي"

تسلقت صخرة رمادية ضخمة، ذات تكوين خيالي، كانت تستطيع- وهي أعلاها- مشاهدة السهل الممتد أمامها الخالي من الشوارع والمساكن، وأسفل منها كانت مجموعة صخور من الجرانيت. التفتت "إميلي" بعد ذلك نحو الشمال من حيث أتت، واكتشفت أسفل الهضبة قصر "سيتافورد " والمنازل الصغيرة الملحقة به. وإلى أسفل- هناك في الوداي- لمحت "إكسامبتون"، وحدثت "إميلي" نفسها قائلة:« عندما يتواجد المرء على ارتفاع فهو يرى الأشياء بوضوح أكثر» . ،كانت نادمة من أعماق قلبها على عدم تمكنها من رؤية القبطان المنتقل ولو لمرة واحدة. من الصعب أن نكوِّن فكرة عن أفراد لم نتقابل معهم أو تسبق لنا معرفتهم؛ لأنه لابد من الالتجاء إلى رأي الآخرين، أما "إميلي" فكانت تتمتع بقدرة على الحكم تفوق المعدل المألوف. مرة أخرى، أطلقت "إميلي" زفيراً بعد تفكير طويل في هذه الأمور. ولما كانت مستغرقة في الأفكار، لم تشعر بما يدور من حولها، لذلك! انتفضت عندما رأت رجلاً مسنًّا قصير القامة، يقف بالقرب منها، ممسكًا بقبعته في يده. قال لها:

–المعذرة يا آنسة، أنتِ الآنسة "تريفوزيس" أليس كذلك؟

–بلى يا سيدي.

–وأنا "ريكروفت"، أولاً أقدم اعتذاري عن تدخلي في أمورك هذه، لكنك تعلمين يا آنستي أنه سرعان ما تنتشر الأخبار في قرية صغيرة مثل قريتنا، ولقد عُرف وصولك إلى "سيتافورد" فور دخولك إليها، وهو أمر طبيعي، إننا نشاركك ما لحق بك من حزن. ثقي باستعدادنا ورغبتنا الأكيدة في معاونتك.

–شكراً لك يا سيدي.

–لا. لا تشكريني يا آنستي، إنما في إمكانك الاعتماد عليّ. المنظر خلاب من هنا، أليس كذلك؟

– بلى، بانوراما رائعة.

–هل علمت بهرب سجين مساء أمس من سجن "برينستاون؟"

–لا أعتقد أن هذا المسكين لن يتمتع طويلاً بحريته. وأعتقد أنه لم يتمكن سجين واحد من الهرب من هذا السجن طوال العشرين سنة الماضية.

-وأين تقع "برينستاون"؟ بسط السيد "ريكروفت" ذراعه تجاه الجنوب وهو يقول.

-هناك على بعد حوالي عشرين كيلومترًا بسرعة الطائر وخمسة وعشرين بالطرق. عندما لمح السيد "ريكروفت" أن "إميلي" اقشعرت قال لها:

-لقد تأثرت أنا أيضًا لمصير هذا الهارب. إننا بحاستنا نرفض فكرة مطاردة أولئك الأفراد، لكن نزلاء سجن "برينستاون" من المجرمين الخطرين؛ فهم ينتمون إلى فئة الأشرار الذين ينبغي أن يوضعوا خلف الأسوار ونكون كلانا أنا وأنت مؤيدين لهذا الرأي. اعلمي يا آنستي أني شخص مولع بدراسة الجريمة. ثم توقف لحظة.

-من أجل ذلك أقدم لك مسابقتي في هذا المجال. إني دائمًا مولع بدراسة أية جريمة عن قرب. ليتك تضعين ثقتك كاملة فيّ، لأني مستعد لمعاونتك بما لي من خبرة في هذا المجال. صمتت "إميلي" برهة وسرّت في داخلها لما طرأ على الأحداث من تطور. الآن في وسعها أن تحصل من" ريكروفت" على تفاصيل عن سكان "سيتافورد" وبالتالي سوف تُفتح أمامها أبواب جديدة في البحث. أردفت" إميلي" في بساطة:

-أرجو يا سيدي، ساعدني. لأني... لو علمت كم أني تعيسة!

-إني مدرك موقفك يا ابنتي العزيزة. وما دمت متقبلة اشتراكي معك في العملية فلنبدأ. لقد قُبض على الابن البكر من أبناء أخت "تريفيليان". إن جميع الشواهد تدينه. أذكر ذلك كما تبدو لي الأمور.

-من البديهي. والواقع لماذا تفكر في براءته وأنت لم يسبق لك الالتصاق به؟

-هأنت فعلاً يا آنستي تتكلمين بمنطق سليم، إن لقبك "تريفوزيس" يوحي إليّ أنك وافدة من "كورنواي" تمامًا مثل صديقنا المسكين "تريفيليان". أجابته إميلي":

- إن والدي من مواليد "كورنواي" ووالدتي من مواليد "اسكتلندا".

- آه...! الآن ليتنا نقوم بفحص قضيتنا. من جانب، فلنفترض أن "جيمس ... اسمه "جيمس" أليس كذلك؟ كان قد قصد خاله للحصول منه على مبلغ من المال كان في حاجة إليه. وهذا الأخير رفض، فما كان من "جيمس"- في ثورته-

إلا أن أمسك بالكيس الذي به الرمل الموجود بجوار الباب وضرب خاله على رأسه. هنا الجريمة ليست مع سبق الإصرار إنما بدافع انتقام غبي إثر انفعال شديد. من جانب آخر، قد يكون "جيمس" قد غادر مسكن خاله بعد مشادة عنيفة وشخص آخر تمكن من الدخول وارتكاب الجريمة. هذا هو ما تعتقدين وأتمنى أن يكون كذلك. لو أن خطيبك هو الجاني، بذلك نخسر قضيتنا، لذلك تجدينني متعلقًا بالاحتمال الثاني وهو أن الذي اغتال القبطان "تريفيليان" ليس ابن أخته "جيمس"، وهذا يقودنا إلى نقطة أخرى مهمة جدًا. تُرى هل كان هذا السفاح قد لاحظ ما دار بين "جيمس" وخاله من نزاع؟ تتبعي فكرتي يا آنسة: وهو شخص يريد التخلص من القبطان "تريفيليان"، لذلك انتهز هذه الفرصة مؤقتًا بأن الشكوك ستدور بتلقائية حول "جيمس". فكرت "إميلي" لحظة، ثم أردفت في بطء:

– وفي هذه الحالة؟ استطرد السيد "ريكروفت":

– في هذه الحالة، الجاني هو شخص من المحيطين بالقبطان من المقيمين بـ"إكسامبتون"، شخص – وهو أمر بديهي– كان متواجدًا بالمنزل وقت المناقشة. والآن، بما أن الفرصة أمامنا للتفكير في الأسماء قد يكون "إيفانز" هو الشخص الذي تواجد أو على الأقل سمع هذه المناقشة الحادّة وقام بقتل الخال بعد انصراف ابن أخته في الحال، والآن ليتنا نفكر: هل يعود موت سيده عليه بمنفعة ما؟ قالت "إميلي":

– أعتقد أنه سوف يرث مبلغًا ضئيلاً.

– من الممكن أن يكون احتمالاً كافيًا، كذلك يجب تأكُّد ما إذا كان "إيفانز" في هذه الفترة يعاني ضائقة مالية، ولا نغفل عن وجود السيدة "إيفانز"... منذ فترة وجيزة.

–وما رأيك في المائدة الدوارة يا سيد "ريكروفت"؟

–أعترف لك يا آنسة أن هذا الحدث كان ذا تأثير قوي فيَّ. وربما أعلموك بأني أعتقد في الظواهر المختصة بالروحيات. لقد أصدرت مقالاً مفصلاً عن هذه الحلقة من جلسات تحضير الأرواح. وأرسلته إلى هيئة الأبحاث الروحية والنفسية في "

لندن" . الموقف يبدو لي مثيرًا جدًّا. لكن ليس من بين الذين حضروا الجلسة من شك أو توقع حادث اغتيال القبطان "تريفيليان" .

– ألا تتوقع أن. . . توقفت "إميلي" ؛ لأنها كانت لا تستطيع الإيعاز إلى السيد "ريكروفت" بأنه كان في إمكان أحد الحاضرين معرفة– مسبقًا– أن الجريمة ستتم؛ إذ كان هو ذاته أحد الموجودين. ليس لأنها شكَّت ولو قليلاً في اشتراك هذا السيد "ريكروفت" مع الجاني في الجريمة، ولكن تراءى لها أنه– من باب اللياقة أن تقدم فكرتها على نحو غير مباشر فواصلت حديثها:

–كما ذكرت يا سيدي "ريكروفت" إن الحدث مربك جدًّا إلى أقصى درجة. ألا ترى غيرك– ضمن فريقك الصغير– شخصًا موهوبًا للحالات الروحية؟

–يا عزيزتي، أنا– عن نفسي– لست موهوبا لهذه الأمور، غاية ما في الأمر أني أهتم بها بما لي من قدرة على الملاحظة الشديدة.

–والسيد "جارفيلد" ؟

–شاب جذَّاب، لكنه بعيد عن هذه الأمور.

–إنه غني بلاشك؟

–لقد وفد إلى هنا لإطراء عمته التي ينتظر وفاتها، وبالتالي يرثها وهي الآنسة "بيرسهاوس" . إنها ليست غبية، فهي تدرك إلى أي شيء يهدف ابن أخيها، لكنها تدعه يلتاع.

–أرجو مقابلة هذه الآنسة.

–سوف يسعدها لقاؤك كثيراً؛ لأنها فضولية وتميل إلى الثرثرة. وسألته "إميلي" أيضًا:

–وما رأيك في السيدة "ويليت" وابنتها؟

–سيدتان لطيفتان؛ محبتان ولهما صفات سكان المقاطعات، والآنسة "فيوليت" فتاة رقيقة.

–لكن اختيارهما للإقامة في "سيتافورد" يبدو لي شاذًّا على الأقل.

–لست من رأيك. إننا نتمنى الذهاب إلى بلاد الشمس، إلى البلاد الحارَّة ومشاهدة النخيل، فأي غرابة إذَنْ في أنهما– كسائر سكان" أستراليا" و"إفريقيا"–

تبحثان عن الفرصة التي تساعدهما على حضور أعياد الميلاد ورأس السنة في البلاد الباردة وسط الثلج؟ تساءلت "إميلي" عمَّن تكون قد أملت على السيد "ريكروفت" هذه الفكرة، الأم أم الابنة، إلا أنه في النهاية، لم تكن هناك ضرورة للمجيء إلى هذه القرية النائية للاحتفال بعيد الميلاد المجيد وسط الثلوج على الطريقة الإنجليزية القديمة. لكن من البديهي أن العجوز لا يرى أية شبهة في اختيار آل "ويليت" ؛ إذ إنه هو ذاته يرى في "سيتافورد" بلداً نموذجيًّا ولا يرفض فكرة قضاء أعياد الميلاد فيها. نزلا الهضبة ببطء وسارا في الدرب. سألته الفتاة فجأة:

–من الذي يسكن هذا المنزل الريفي الصغير؟

–القبطان "ويات"، إنه رجل يميل إلى العزلة ولا يميل إلى المجتمعات.

–هل كان أحد أصدقاء القبطان "تريفيليان"؟

–لم يكن صديقًا مقربًا منه. وكان "تريفيليان" يزوره من حين إلى آخر؛ لأن "ويات" كان لا يحب الزيارات، إنه "دب" حقيقي. (هكذا يشتهون من يفضِّلون العزلة). كانت "إميلي" في أثناء ذلك صامتة تفكر في وسيلة تتمكن بها من الدخول إلى مسكن هذا الـ "ويات"؛ كانت الفتاة تهدف إلى عدم مغادرة "سيتافورد" قبل تفقد جميع المساكن الصغيرة لعلَّها تحصل منها على مفتاح لهذا اللغز العجيب، إلاَّ أنها تذكرت فجأة اسم الشخص الخامس الذي حضر جلسة تحضير الأرواح فقاالت.

–والسيد "ديك"؟

–ماذا تريدين معرفته عن هذا الشخص؟

–من هو؟ أجابها "ريكروفت" في تمهل:

– لا يوجد من يعرفه.

–أمر عجيب!

– بتاتًا. إننا نجهل من أين هو، لكننا نرى فيه رجلاً طيبًا. وها هو منزلي يا آنسة، أترغبين في منحي شرف دخولك؟ قالت "إميلي":

–بكل سرور. عندما دخلت إلى هذا المنزل الصغير لاحظت أن الكتب العديدة تزيِّن الجدران من الداخل. أخذت "إميلي" تتجول هنا وهناك في المنزل، متصفحة

عناوين المجلدات التي بها. وكانت الأرفف منسّقة، واحد منها يضم كتبًا خاصة بعلوم السحر والتنجيم، وآخر للروايات البوليسية. والمساحة الكبرى من هذه المكتبة كانت مخصصة للجرائم والقضايا القانونية ذات الشهرة العالمية. لكن الكتب التي تتناول علم الطيور كانت لا تحتل سوى مكان صغير جدًّا.

نهضت "إميلي" بعد ربع ساعة ثم قالت:

–لقد سعدت وتشرفت بالتواجد معك يا سيد "ريكروفت"، والآن يجب أن أنصرف. لابد أن يكون السيد "إندربي" قد استيقظ وأنا لم أتناول وجبة الإفطار حتى الآن. لقد أخطرنا السيدة "كورتيس" بأننا سنكون عندها في التاسعة والنصف وها هي الساعة العاشرة. لقد تأخرت عن الموعد. حقًّا لقد أظهرت لي يا سيدي كل مودّة وتعاون. وعندما لمح نظرة "إميلي" الساحرة– تمتم:

– سوف أبذل كل ما في وسعي لمعاونتك. اعتمدي عليّ، لقد أصبحنا منذ اليوم شريكين في هذه المهمة. مدّت له "إميلي" يدها للمصافحة قائلة:

–ما أحسن أن يجد المرء من يعتمد عليه! (وهي العبارة التي لاحظت أنها كانت ذات فاعلية في أثناء فترة لقائهما القصيرة).

الفصل السابع عشر

(الآنسة "بيرسهاوس")

عندما عادت "إميلي" إلى منزل "كورتيس" وجدت "شارل إندربي" وكذلك طبق بيض بالشحم (كانوا يستخدمون شحم البهائم) في انتظارها. ،كان يشغل بال مضيفتها كثيرًا أمر هذا السجين الهارب، قالت لهما:

–عندما حدث أن سجينًا كان قد هرب في المرة الأخيرة– وكان ذلك منذ عامين– تم القبض عليه في اليوم الثالث، بالقرب من "موريتونهامبستيد"، سألها "شارل":

–أتتوقعين أنه سيأتي من هذه الجهة؟

–لم يحدث قط أن الهاربين من السجن يفكرون في المجيء إلى هنا؛ لأنهم– تقريبًا– يفكرون في الذهاب إلى "بلايماوث". لكن هذا السجين، سوف يُقبض عليه قبل بلوغها

–مع ذلك توجد مخابئ كثيرة بين الصخور على الجانب الآخر للهضبة.
–إنكِ على حق يا آنسة. فعلاً توجد كذلك مغارة تدعى "ترو دي بيكسي". فتحتها ضيقة جداً وكأنها ثقب في الصخرة ولكن الداخل مُتسع. يُحكي أن أحد رجال الملك "شارل" مكث فيها مختبئًا طوال خمسة عشر يومًا، وكانت التي تحضر له طعامه فيها إحدى العاملات بالمزرعة. قال "شارل":
–أتمنى مشاهدة "ترو دي بيكسي".
–ليس من السهل اكتشافها... كثيراً ما تتوافد إلى هنا فرق متعددة من الشبان للتسلية فحسب والحصول على متعة التجول، وكثيراً ما بحثوا عن هذه المغارة، ولكن دون جدوى. كانوا يقضون ساعات فترة ما بعد الظهر بلا ملل أو يأس ولكنهم لم يفلحوا. وإذا كان النجاح حليفك، فضع دبوس إبرة بالداخل لكي يجلب لك الحظ. ثم بعد انتهاء وجبة الإفطار نزل "شارل" و "إميلي" إلى حديقة منزل "كورتيس" الصغيرة. أردف "شارل":
–ربما أضطر إلى الذهاب إلى "برينستاون". لقد حضرت إلى هنا لتسليم جائزة كسب مسابقة إلى أحد قراء الجريدة، وهأنذا أواجه حادثة اغتيالٍ وخبر هرب أحد نزلاء السجن.
– أما كان عليك– صباح اليوم– التقاط بعض الصور لمنزل الرائد "بيرنابي"؟
– رفع "شارل" عينيه نحو السماء وقال:
–آه، كنت أريد التملص من هذه المهمة بادعاء أن حالة الطقس لا تسمح بالتصوير؛ لكي أطيل فترة إقامتي في "سيتافورد". وها هي السحب قد بدأت فعلاً تغطي السماء. هيه.. يا آنسة لا تتحاملي عليّ، لقد أرسلت إلى الجريدة حديثًا صحفيًا قمت بإجرائه معك. أبدت "إميلي" تصرفه وسألته:
–وماذا نسبت إليّ من أقوال؟
–أمور تهم مجتمعنا بصفة خاصة. وها هي قصاصة ورق منه: لقد أجرى مراسلنا الخاص حديثًا مع الآنسة "إميلي تريفوزيس" خطيبة "جيمس بيرسون" الذي قبض عليه البوليس بتهمة اغتيال القبطان "تريفيليان"... وذكرتُ أنك جميلة وشجاعة. قالت "إميلي":

–شكرًا.

–وأن شعرك يسترسل في تموجات طبيعية.

–ماذا؟

–عجبي! هذا ما شاهدته.

–قد يكون هكذا، لكن لماذا ذكرت معلومة كهذه؟

–لإرضاء فضول قارئاتنا. وبعد ذلك دار الحوار بطريقة رائعة وأسلوب شائق لن تتخيلي العبارات التي سردتها عن لسانك المعبِّرة عن حبك وإخلاصك لخطيبك ونيتك الأكيدة للدفاع عنه حتى لو وقف العالم كله ضده.

–هل أنا نطقْتُ فعلاً بمثل هذه الكلمات؟

–هل يضايقك ذلك؟

–لا، بالمرة. استمر.

–لقد ذكرت بعد ذلك عمل القبطان "تريفيليان" في البحرية وأشرت إلى إمكانية انتقام كاهن غريب، إثر اختفاء إحدى الأيقونات. لابد من ذكر شيء جديد وغير متوقع.

–لقد بدأت يومك بدءًا حسنًا.

–وأنتِ، يبدو لي أنكِ استيقظت في ساعة مبكرة. فما كان من "إميلي" إلاَّ أن حكت له جولتها ولقاءها بالسيد "ريكروفت" توقفت فجأة. تابع "إندربي" نظرات "إميلي" ولمح شابًّا نضرًا مستندًا إلى الحاجز، يأتي بحركات لكي يجذب انتباههما

–المعذرة، آسف لإزعاجكما. لكنها عمتي هي التي أوفدتني. قال "شارل" و "إميلي" معًا:

–ماذا؟

– اعلما أن عمتي إنسانة متسلطة. وعلى الكل أن يخضعوا لها. في الواقع أن مجيئي في هذه الساعة غير لائق، لكن ... لو علمتما من هي عمتي... ليتكما تلبيان رغبتها وتقومان بالتعارف معها خلال بضع دقائق. سألته "إميلي":

–أليست عمتك هي الآنسة "ببرسهاوس"؟ أجابها الشاب وقد اطمأن:

– هي ذاتها. إذن إنك تعرفينها؟ إنها هذه السيدة الثرثارة التي لابد وأن تكون السيدة "كورتيس" قد كلمتكِ عنها. لقد أرسلتني عمتي لاصطحابك معي يا آنستي وكلفتني بإبلاغك تحياتها واعتذارها لإزعاجك، وليكن في علمك أن رغبتها في لقائك ليست سوى دافع من فضولها، فإذا كان عندك ما هو أهم فلا تؤجليه بسببها. ما عليكِ إلا ادعاء إصابتك بصداع شديد أو بعمل متأخر. أجابته "إميلي" :

–بالعكس، هذه الزيارة تهمني وسوف أرافقك؛ لأن السيد "إندربي" سيتوجه إلى الرائد "بيرنابي" . همس لها "إندربي" :

–أتظنين ذلك؟ أجابته "إميلي" بنبرة جادة:

–بالتأكيد. ثم ألقت إليه ابتسامة رقيقة مع تحية وانصرفت مع زميلها الجديد.

–لاشك في أنك السيد "جارفيلد" .

–نعم، كان ينبغي أن أقدم نفسي.

–لا يهم، لقد استنتجت ذلك.

–شكرًا يا آنستي على تلبيتك الفورية للطلب، إنه كرم أخلاق منك؛ هذا لأنك تقدِّرين إلحاح الأشخاص المسنين.

–إنك يا سيد "جارفيلد" لست من سكان الناحية؟

–لا حمداً لله. هل رأينا مثل هذه البقعة التي تتم فيها الجرائم. وتوقف فجأة عندما أفاق لما أدلى به في تلك اللحظة. قال:

–المعذرة يا آنستي. لأني أعاني العذاب والتعاسة، لذلك تجدينني أنطق بما لا ينبغي النطق به اعلمي أنه لم يخطر ذلك على بالي قط. أجابته "إميلي" :

–أنا واثقة بذلك. بعد قليل قال السيد "جارفيلد" :

–لقد وصلنا. فتح السياج وأفسح الطريق لـ "إميلي" لكي تدخل... سارت في الممشى حتى إلى المنزل الصغير المشابه للمنازل الأخرى. عندما دخلت إلى الصالون المطل على الحديقة رأت سيدة مسنة قصيرة ذات وجه تعلوه التجاعيد وأنف طويل ونحيف. كانت هذه السيدة ممدَّدة على أريكة، عندما رأت "إميلي" تقترب منها نهضت بكل صعوبة. قالت:

–هأنتِ قد حضرتِ. حقًّا إنكِ إنسانة لطيفة؛ إذْ تكرمت بالمجيء عند إنسانة مسنة مثلي. إننا في مرحلة الشيخوخة والعجز نميل إلى معرفة الأخبار التي تدور بالخارج. "روني"، ليتك تطلي أثاث الحديقة... المقعد والكراسي الموجودة تحت التكعيبة... الطلاء مُعد.

–سمعًا يا عَمَّة "كارولين" قالت الآنسة "بيرسهاوس" لـ "إميلي":

–اجلسي يا آنستي. وجلست "إميلي" على المقعد الذي أشارت إليها به. يا له من أمر غريب! لقد تعاطفت "إميلي" مع السيدة العجوز؛ هذا لأنه كان هناك تشابه في بعض ميول السيدتين، وكانت الفتاة مع ذلك تعتمد على جمالها في حين أن الآنسة "بيرسهاوس" تسيطر على من حولها بقوة إرادتها وإصرارها. بادرتها هذه العجوز بقولها:

–يبدو لي أنك خطيبة ابن أخت القبطان "تريفيليان"، أستطيع أن أقول لك إني مدركة سبب مجيئك إلى هذا البلد وقضائك فيه فترة ما. أتمنى لك حظًّا سعيدًا يا آنسة. أجابت "إميلي":

–شكرًا.

–بالقدر الذي يجعلني لا أُعجب بالمرأة الباكية، بقدر ما أحب تلك التي تواجه المتاعب والعقبات. ثم تفرسّت في "إميلي" وقالت:

–يا لي من إنسانة عاجزة غير قادرة على أن تنهض كسائر الناس وتخرج! لاشك في أنك مشفقة عليَّ يا آنستي. أجابتها "إميلي" وقد بدت ساهمة:

–لا، أنا لست مشفقة عليك؛ لأنه يبدو لي أن كل إنسان– مهما يكن قَدَرُه– كفيل بالشعور بالسعادة مهما يكن وضعُهُ، وإن لم يعثر على السعادة بطريقة ما، عليه أن يبحث عنها بطريقة أخرى.

–رائعة! حقًّا رائعة. يكفينا أن نتناول الأمر من زاوية أخرى. والآن يا آنستي الصغيرة هيا بنا نبدأ العمل... لاشك في أن قدومك إلى "سيتافورد" يهدف إلى دراسة أهل هذا البلد عن قرب للحصول على مؤشر يساعد على اكتشاف السفَّاح. أليس كذلك؟ وإذا كنت في حاجة إلى معلومات عن أهل القرية، ففي إمكاني معاونتكِ. فما كان من "إميلي" – وهي كما شاهدنا فتاة عملية إيجابية إلاَّ أنها لم

تدع الفرصة تفلت منها. قالت:

–فلنبدأ بالرائد "بيرنابي".

–إنه نموذج كلاسيكي لضابط محال إلى المعاش ذي أفق محدود جدًّا، وهو من تلك الفئة من الناس التي لا تنظر إلى بعيد، وهو يستثمر أمواله في أي مشروع كان. إنسان يتخلص من الديون في الحال ويمقت الضيف الذي لا يمسح حذاءه قبل الدخول عنده.

–والسيد "ريكروفت"؟

–إنسان عجيب، أناني وطماع. وقد يكون مغروراً إلى حدٍّ ما. لاشك في أنه عرض عليك خدماته لما له من خبرة في نواحي الجريمة. اضطرت "إميلي" إلى أن تعترف بذلك ثم سألتها:

– والسيد "ديك"؟

– هذا الشخص لا أعرف عنه شيئًا، مع ذلك هو شخص عادي وينبغي أن أتعرف إليه.

– وماذا تعرفين عن السيدة "ويليت" وابنتها؟ عند ذكر هذا الاسم، انتصبت السيدة قليلاً مستندة إلى كوعها.

– آه آل "ويليت"، ماذا أقول لكِ عنهما؟ انتظري قليلاً. سأوفيك بمعلومات عنهما، من يدري؟ قد تفيدك. افتحي هذا الدرج، نعم الدرج الصغير على اليسار. أحضري لي الظرف الأبيض. ها هو أمامك. وسلمتها "إميلي" الظرف، قالت العجوز:

– من البديهي أنه لا أهمية لهذا الأمر وكل منا يكذب على طريقته بكثير أو قليل. ومن حق السيدة "ويليت" أن تخفي عنا الحقيقة. وضعت بعد ذلك يدها في الظرف وقالت:

– اسمعي. عندما وصلت الأم وابنتها "آل ويليت" بحقائبهما المليئة بالملابس الفاخرة، استقلتا سيارة، لكن الحقائب تم نقلها بالعربة الخاصة بالمتاع تحت رعاية الخدم. في هذه الأثناء كنت أتطلع من النافذة للتسلية وإذا بورقة ملونة سقطت من على إحدى الحقائب وطارت إلى أن استقرت عندي. ولما كان من طبعي أن أمقت

وجود ورق أو شيء آخر على السلم أو البسطة، طلبت من "روني" أن يرفعها، ولما وجدتها ذات ألوان مرحة ومنظرها جميل فكرت في ضمها إلى الألبوم المخصص للأطفال المرضى بالمستشفى؛ لأني معتادة إرسال مثل هذه الأشياء المسلية لهم. لم أتوقع قط أن "فيوليت" لم يسبق لها مغادرة "جنوب إفريقيا" كما قالت لي والدتها أكثر من مرة وأنها هي ذاتها لا تعرف سوى "جنوب إفريقيا" و"إنجلترا" و"الريفييرا". قالت "إميلي":

– وبعد؟

–ا نظري إلى هذه الورقة، يبدو أن عليها بيانات. ووضعت الآنسة "بيرسهاوس" الورقة المنتزعة من على الحقيبة في يد "إميلي"، كانت عليها هذه البيانات: "فندق مندل– ملبورن– أستراليا". ثم أردفت:

– "أستراليا" ليست" جنوب إفريقيا"، على الأقل أنا لا أعرفها، قد يبدو هذا التفصيل بلا أهمية، لكنني أسلمك إياها لما لها من قيمة بالنسبة إليك؛ إذ إن– بالمنطق السليم– لماذا تخفي هذه السيدة جهة إقامتها إن لم يكن لها هدف؟

– فعلاً أمر شاذ جداً أن تأتي إلى هنا في فصل الشتاء.

– فعلاً، وهل تقابلت مع آل "ويليت"؟

– لا. في الحقيقة كنت معتزمة التوجه صباح اليوم لزيارتها، لكنني لا أجد مبرراً للدخول عندهما. في الحال قالت العجوز في حمية:

– في إمكاني موافاتك بمبرر. أعطيني قلمي وورقًا. انتظري ... تمهلي. وفجأة صرخت بأعلى صوتها:

– "روني" "روني". هل هو أَصَمٌّ هذا الولد! المفروض أن يحضر فور سماع ندائي. حضر "روني" مسرعًا وبيده فرشاة الرسم.

– ماذا بالأمر يا عمة "كارولين"؟

– ماذا تتوقع أن يكون؟ إني أناديك، هذا كله. هل تناولت فطائر بالأمس عند آل "ويليت"؟

– فطائر؟

– أي فطائر ... جاتوه، ساندويتش. المهم ما الذي تناولته مع الشاي؟ أجابها

"روني" في ذهول:

– مـوكـا. هذا كـافٍ جـداً. (الموكـا: نوع فطائر مـعطرة بـالقـهـوة) وبدأت "بيرسهاوس" الكتابة ثم قالت:

– في إمكانك أن تنصرف، عُـدْ إلَى الرسم الذي كنت تعدُّه يا "روني". هيا لا تقف أمامي هكذا، وما الداعي لفتح فمك على الدوام؟ لقد أجريت لك عملية استئصال اللوز وأنت في الثامنة من عمرك. قالت هذا وواصلت الكتابة.

«عزيزتي السيدة "ويليت"... على ما يبدو أنه كان عندك بالأمس "موكا" لذيذ مع الشاي. ليتك تتكرمين وتوافينني بالمقادير... المعذرة على هذا الإزعاج. لكنك تعلمين أن المُقعدة لا تحصل على متعة الخروج... والآن– بما أن "روني" مشغول جداً– ها هي الآنسة "تريفوزيس" تقدمت مشكورة لحمل هذه الرسالة إليك... أضيف أيضاً: ألا تريْن أن أمر هروب هذا السجين يثير الذعر؟»

مع تحيات المخلصة

"كارولين بيرسهاوس"

ثم طوت الورقة ووضعتها في الظرف وكتبت العنوان على الظرف. ناولت الآنسة إياه وهي تقول لها:

–يا آنستي، لاشك في أنك ستجدين العديد من الصحفيين في القصر. لقد لمحت مجموعة منهم في سيارة الآن. ما عليك إلا أن تقولي إنكِ موفدة من قبلي حاملة كلمة إلى السيدة "ويليت". وبالتأكيد لست في حاجة إلى لفت نظرك إلى الانتباه جيداً لكل حركة، والإصغاء إلى كل كلمة تقال، أنا مطمئنة بالنسبة إلى هذا الأمر. قالت "إميلي":

–شكراً على محبتك وكرمك.

–اسْعَ يا عبد وأنا أعينك. وبالمناسبة لماذا لم تسأليني عن "روني"؟ وهو بلاشك في قائمة سكان القرية الذين تتحرين عنهم. إنه شاب طيب لكنه مسلوب الإرادة، فهو يؤدي أيَّ عمل كان في سبيل الحصول على المال. انظري مدى احتماله لي.

"بقي من لم نذكره من سكان القرية: القبطان "ويات". إنه يدخن الأفيون على ما أعتقد. وسلوكه أسوأ سلوك في "إنجلترا" كلها. هل عندك أي رغبات أخرى؟ هل

تريدين الاستفسار عن أي شخص آخر؟ أجابتها "إميلي" :

-يبدو لي أن كل ما منحتني من معلومات كافٍ جداً... أكرر لك جزيل شكري.

الفصل الثامن عشر
(زيارة لقصر "سيتافورد")

لاحظت "إميلي" في أثناء مسيرتها بخطى سريعة- أن السماء تكتسي بالضباب الذي أخذ يتكاثف. « فعلاً إن" إنجلترا" ليست المكان اللائق لقضاء فصل الشتاء؛ إذ إن الثلوج تتساقط بكثرة وكذلك المطر، كما أن الرياح تهب قوية والسماء تكتسي بالسحب أو الضباب. وإذا لم تسطع أشعة الشمس فإننا نلاحظ أن درجة الحرارة تنخفض إلى درجة تجعلنا نشعر بتصقيع أصابع أطرافنا ». توقفت أفكارها فجأة عند سماعها صوت رجلٍ من جهة أذنها اليمنى. حينئذ انتفضت الفتاة والتفتت وإذا بها ترى رجلاً فارعًا ونحيفًا منحنيا على السور. كان لهذا الرجل شعر وخطه الشيب وعينان كأنهما لهيب نار، وكان يتفرس في الفتاة في فضول. عرفته في الحال أنه "ويات" مالك المنزل رقم 3. سألها:

-المعذرة يا آنستي، هل شاهدت- مصادفةً- كلب فئران؟ (وهو من فصيلة إنجليزية تتميز بصيد الفئران)، أجابته:

-أنا لم أره.

-لقد خرج... ومع كل هذه السيارات...

-لا أعتقد أن سيارات كثيرة تمر من هنا.

-إن السيارات وجميع أنواع العربات تكثر في هذا الطريق في الصيف آتية من "إكسامبتون" لزيارة صخور هذه المنطقة.

-ربما، لكننا لسنا بعد في فصل الصيف.

-لكني شاهدت سيارة. ربما كانت تحمل صحفيين أتوْا لمشاهدة منزل "تريفيليان". سألته "إميلي" :

- هل أنت مُقرَّب من القبطان "تريفيليان"؟ كانت "إميلي" قد استنتجت أن

هروب كلب فئران ليس سوى ادعاء من وحي فضول القبطان "ويات" حيث كانت حاليًّا قبلة أنظار "سيتافورد" بأسرها، والسيد "ويات" كان يرغب في لقائها كالآخرين. أجابها :

-كنت أعرفه، لكن كونه مقربًا مني ... هذا موضوع آخر. لقد باع لي هذا المنزل الصغير. ألحت "إميلي" متخذة نبرات تشجيعية :

– وبعد؟

– إنه شخص جشع كان من المفروض– وفقًا للعقد المبرم بيننا...أن يقوم بالطلاء وفقًا لذوق المشتري ولما كنت قد طالبته بأن يطلي الأخشاب بلونين، ألزمني بدفع قيمة نصف التكاليف، متعللاً بأنه أخطر بالالتزام باللون الموحد.

– ماذا؟ كنت لا تحبه؟

– كثيراً ما اختلفت معه. حقًّا أني لا أتفاهم بسهولة مع كثيرين. هكذا أضاف بعد لحظة تفكير– يجب على ساكن مثل هذا المنزل أو مالكه أن يحرص على الحياة في سلام مع الجيران. أنا لا أكره تبادل الحديث مع الناس عندما يكون ذلك في وسعي، ولكن بخلاف ذلك، إني أميل إلى العزلة. هذا بالإضافة إلى أن "تريفيليان" كثيرا ما كان يبدو متعاليًا، وكان يقرع بابي عندما يحلو له، ثم أضاف وقد بدا عليه السرور :

– أمَّا الآن فليس هناك من يأتي إليَّ.

– آه!

– يجب أن أخبرك أن عندي رجلاً يبادلني الطباع نفسها، وهو قائم على خدمتي. ونادى :

– "أبدول". في الحال خرج من المنزل شاب هندي فارع القوام ووقف في انتظار أوامر سيده.

– تفضلي يا آنستي لتناول مشروب، وتعالي. لكي تلقي نظرة على مسكني. قالت "إميلي" :

– آسفة يا سيد؛ لأني متعجلة لأمور عديدة.

– لا أصدق ذلك... ليس لديك ما يمنعك.

– بلى، أؤكد لك أنهم في انتظاري.

– إن حياتنا اليوم عبارة عن توتر. أن يلحق الشخص بالقطار أو يتوجه إلى موعد وأن يحدِّد عملاً لكل ساعة من ساعات النهار... لقد أصبحت هكذا الحياة، لذلك استيقظي مع الشمس ولا تتناولي طعامك إلا عندما تشعرين بالرغبة في ذلك، ولاتحددي أعمالاً في مواعيد مسبقة. آه، لو أن الناس أصغوا إليَّ، لقمت بتلقينهم فن الحياة. لم تجد "إميلي" في هذا اللقاء ما يفيدها. إنه حقًّا إنسان تافه هذا الـ "ويات"، لذلك استأذنت منه– بعد أن أرضت فضول السيدة المقعدة، وواصلت مسيرتها.

هكذا، بدا قصر "سيتافورد" عندما رأته الزائرة: الباب من خشب البلوط السميك، وسلسلة للمطرقة لامعة، وشبكة خاصة بنظافة الأحذية (ممسحة)، وصندوق خطابات من النحاس لامع ونظيف، وهذا المظهر الخارجي دليل على الرفاهية.

– أتت خادمة نظيفة لكي تفتح لها، لمست "إميلي" – من لقاء الخادمة لها– أن الصحفيين تقدموها. قالت الخادمة بنبرة جافة:

– السيدة "ويليت" لا تستقبل أحداً صباح اليوم. قالت لها "إميلي":

– لكني أحمل لها رسالة من الآنسة "بيرسهاوس". في الحال تغيرت ملامح الخادمة ورجعت عن قرارها. قالت:

– تفضلي بالدخول. ولجت "إميلي" إلى المدخل الفسيح ومنه إلى الصالون. كما أن وجود سلة بها أدوات أشغال الإبرة وقطعة من القماش للتطريز وقبعة لفتاة دليل على أن الفتاة تركت المكان على عجل. وجاء تعليق "إميلي" أنه سوف لا يتم التصوير في هذا الصالون. وبينما وقفت "إميلي" تستدفئ أمام المدفأة، فُتح الباب ودخلت منه فتاة في مثل سنها. فتاة رائعة الجمال وفي ثياب أكثر من أن توصف بأنها فاخرة، ولقد لاحظت "إميلي" العصبية التي تعمل الفتاة على إخفائها. مدت الآنسة "ويليت" يدها للمصافحة قائلة:

–صباح الخير، آسفة لعدم نزول أمي حتى الآن... إنها تقضي فترة الصباح في السرير.

-قد أكون أزعجتكما في هذه الفترة؟

-لا، لا أبداً يا آنسة. ها هي الطاهية تقوم بنقل مقادير وطريقة إعداد الفطير المطلوب... يسعدنا كثيراً أن نعطي الآنسة "بيرسهارس" إياها. هل تقضين عندها بعض الوقت؟ اكتشفت "إميلي" أن أفراد هذا المنزل فقط لا يعرفون شيئاً عن سبب وجودها في "سيتافورد" ويجهلون بالتالي الرسالة التي من أجلها وفدت إلى هذه القرية. وكانت "سيتافورد" تتضمن طبقتين: طبقة السادة وطبقة الأتباع. طبقة العاملين كانت على علم بهوية "إميلي" والأخرى لا تعرف شيئاً عنها ألبتَّة. أجابتها "إميلي":

-أنا لست مقيمة عند الآنسة "بيرسهاوس"، إنما عند السيدة "كورتيس".

- من البديهي. المنزل صغير جداً وأن أخاها "روني" مقيم عندها، وبالتالي ليس لكِ مكان عندها. الآنسة "بيرسهاوس" تبدو لي إنسانة متميزة ووديعة وذات شخصية قوية، لكنها تخيفني.

-إنها إنسانة تميل إلى السيادة. وهي تميل إلى إصدار الأوامر طالما ليس هناك من يعارضها أويعصيها، وهو أمر بديهي. أطلقت الآنسة "ويليت" زفيراً.

-كم أتمنى أن تكون لي قدرة على مقاومة الناس واعتراضهم! لقد قضينا الفترة الصباحية في ضيق مع أولئك الصحفيين.

-آه... الآن فهمت: أليس هذا هو قصر القبطان "تريفيليان"، الرجل الذي اغتيل في "إكسامبتون"؟ بكلماتها هذه، كانت "إميلي" تعمل على اكتشاف السبب الحقيقي لما يبدو على الفتاة من عصبية. غير أن "فيوليت ويليت" لم ترتبك قط عند ذكر اسم القبطان، قد تكون متوقعة أن الزائرة ستتحدث عن هذا الموضوع. أجابتها:

-نعم، أمر فظيع... أليس كذلك؟

-ليتكَ توافينني بهذه الحادثة بالتفصيل إذا كان ذلك لا يسبب لكِ ضيقاً.

-لا، لا. ماذا تريدين؟ لقد لاحظت "إميلي" أن ارتباك الفتاة يزداد.

-احكي لي عن جلسة "المائدة الدوارة". لقد ذكرت أمامي صباح اليوم ومثل هذه الأمور تشدني.

–آه. لن أنسى أبدًا تلك الأمسية. لقد فكرنا كلنا– في بدء الأمر– أنها ليست سوى نوع من أنواع التسلية أو من تلك الخدع أو المقالب المضحكة... وسوف أتذكر دوما تلك اللحظة التي أعيد فيها إضاءة المصابيح الكهربائية... كم كنا جميعًا في منظر عجيب! عدا السيد "ديك" والرائد "بيرنابي"؛ لأن مثل أولئك الرجال يحرصون على إخفاء مشاعرهم، لكننا لاحظنا القلق الذي تملك الرائد "بيرنابي" وعلى ما يبدو أنه– داخليًّا– كان يثق بما أعلنته المائدة. وكنت متوقعةأني سأشاهد السيد "ريكروفت" وهو مغشي عليه، غير أن ما رأيته كان على عكس ذلك على ما يبدو أنه معتاد هذه الظواهر طالما يميل إلي دراسة السحر والروحيات. أما بالنسبة إلى "روني"، "روني جارفيلد" فكان شاحبًا وكأنه رأى شبحًا، ووالدتي ذاتها ارتبكت... كما لم يسبق أن حدث لها.

–لاشك في أنه كان موقفًا مفزعًا، كم أتمنى حضور مثل هذه الجلسات!

–أكثر من مفزع، رهيب! كلنا اعتقدنا أنها مداعبة سخيفة عندما فوجئنا بأن الرائد "بيرنابي" يقرِّر وبإصرار، ومع هذا الطقس الذي كانت تتساقط فيه الثلوج بغزارة، التوجه إلى "إكسامبتون". وحاولنا كلنا إثناءه عن قراره، ولكن دون جدوى. وبعدا نصرافه، انتابنا جميعًا قلق بشأنه. عند مساء أمس أو الأصح صباح أمس– علمنا بمقتل القبطان: جريمة بشعة! سألتها "إميلي":

–وعن نفسك هل تعتقدين أنها روح القبطان "تريفيليان" هي التي حضرت... أو أنها ظاهرة تخاطر؟

–لست أدري. إنما لقد عزمت على عدم استخدام هذه الوسيلة للتسلية مدى الحياة. دخلت الخادمة وقدمت للآنسة "ويليت" ورقة مطوية موضوعة على صينية وانصرفت في الحال. فتحت "فيوليت" الورقة وقرأتها ثم سلمتها إلى "إميلي" وهي تقول:

–ها هي وصفة الجاتوه. لقد وصلتِ عندي في وقتك؛ لأن خبر الاغتيال هذا أربكنا كلنا، لا سيما نحن السيدات، بحيث إن خادماتنا أصبحن خائفات من الإقامة في هذه القرية، خاصة وأنها مكان كقولهن– معزول. ولذلك أمرتهن أمي– في ثورتها– بحزم أمتعتهن. ولقد انصرفت لتناول الإفطار. وسوف نحضر خدمًا

من الرجال عوضًا عنهن. علقت "إميلي" :

– إنه حقًّا غباء... تصرف غبي من أولئك الخادمات.

– وأنت هل خاب ظنك بالنسبة إلى اختيارك لهذا المكان؟

– لا أبدًا؛ لأني أعشق الريف. لكن كانت عينا "فيوليت" المليئتان بالخوف تتجنبان نظرات "إميلي"، وإذ بدا الحرج على "فيوليت" اضطرت "إميلي" إلى الانصراف.

–إني مضطرة الآن يا آنسة "فيوليت" وأشكرك على حسن استقبالك، وتمنياتي لوالدتك بوافر الصحة.

–آه، يا صديقتي، إنها ليست على ما يرام من جانب موضوع الخادمات... وغير ذلك من هموم .

–إني مدركة كلَّ ذلك. تعمدت "إميلي" – بمرونتها المألوفة– أن تترك قفازها على المائدة الصغيرة دون أن تلفت نظر "فيوليت" التي رافقتها حتى الباب. وهكذا افترقت الآنستان. أغلقت "فيوليت" الباب بعد خروج الزائرة، لكن "إميلي" لم تسمع صوت المفتاح وهو يدور في الكالون، لذلك عندما وصلت إلى السور الحديدي، عادت بخطى بطيئة دون أن تصدر صوتًا؛ لأنها موقنة أن هناك شيئًا ما غير طبيعي يدور لدى آل "ويليت". وكانت لا تتوقع أن يكون لـ "فيوليت" دور في الأمر...هذا إلا إذا كانت تقوم بدورها كممثلة بارعة. لكن لابد من أن هناك صلة بين آل "ويليت" والقبطان" "تريفيليان". فتحت "إميلي" باب المدخل دون أن تصدر صوتا وتخطت العتبة. وقفت وسط المدخل الفسيح وكان خاليًا من الناس، مترددة كيف تتصرف. لكن عندها ما يبرر دخولها: قفازها! لقد غفلت عنه في الصالون . أَرْهَفَتْ السمع... سكون تام، عدا في الطابق العلوي سمعت صوت همسات، وقفت على أول درجة من السلم ورفعت رأسها، ثم في حرص بالغ، صعدت السلم درجة تلو الأخرى، لكن في تصرفها هذا مخاطرة وهي لا تستطيع ادعاء أن قفازها في الطابق الأول، لكنها كانت– بأي ثمن– تريد الحصول على بعض الكلمات من هذا الحديث. حدثت "إميلي" نفسها بأن الأبواب في المنازل الحديثة لا تُغلق جيدًا، كما سمعت أسفل السلم همسات، بالتأكيد سيكون في

إمكانها سماع ما يُقال بالداخل... درجة أخرى... وواحدة أخرى... أصوات نساء: صوت "فيوليت" ولابد أن يكون الصوت الآخر صوت أمها. توقفت المحادثة فجأة. وصوت أقدام. فما كان من "إميلي" إلا أن عادت إلى حيث كانت بسرعة. فتحت "فيوليت" باب حجرة والدتها ونزلت السلم. وكم كانت دهشتها عندما وجدت زائرتها في المدخل تتلفت حولها أشبه بكلب ضال. وضّحت:

–قفازي. لقد نسيته هنا وعدت لكي آخذه. أردفت "فيوليت":

–لابد أنه هنا .دخلت الفتاتان معا إلى الصالون. فعلاً القفاز موجود على المائدة الصغيرة، التي بجوار المقعد ذي المساند الذي كانت تجلس عليه "إميلي".

–شكراً، من العجيب أني كثيراً ما أنسى قفازي حيثما ذهبت.

–في هذا الطقس الثلجي القفاز ليس من الأشياء التي تستخدم للترف أو الزينة. ومرة أخرى افترقت الفتاتان عند باب المدخل، لكن في هذه المرة سمعت "إميلي" صوت المفتاح وهو يدور في الكالون. نزلت بعد ذلك إلى الممشى والأفكار تتزاحم في ذهنها ؛لأن في اللحظة التي فُتح فيها باب الطابق العلوي سمعت بوضوح وبصوت توسلي لسيدة قد فاض بها، هذه الكلمات:

–يا إلهي! لم أعد أحتمل هذا الانتظار.. ألا تصل هذه الأمسية أبداً؟

الفصل التاسع عشر
(نظريات واحتمالات)

عادت "إميلي" إلى منزل السيدة "كورتيس" لكنها لم تجد "شارل إندربي" هناك. أوضحت لها صاحبة الدار

أن ابن عمها خرج مع مجموعة من الشبان وأن برقيتين وصلتا باسم الآنسة "تريفوزيس". تناولتهما "إميلي" وفتحتهما. وبعد قراءتهما وضعتهما في جيبها على مرأى من السيدة "كورتيس". وكانت السيدة" كورتيس" ترغب في معرفة ما بهما. سألتها:

–أتعشم ألا تكون أخباراً سيئة؟ أجابتها "إميلي":

– آه لا. أضافت السيدة "كورتيس" ظنًّا منها أنها ستحصل على المزيد:

-إني دائمًا أنزعج عند وصول البرقيات. في هذه اللحظة كانت "إميلي" ترغب في البقاء بمفردها لكي تقف على صحة ما تزاحم في ذهنها من أفكار. صعدت إلى حجرتها وتناولت قلمًا وورقة وبدأت تكتب نظريتها. بعد عشرين دقيقة بالتحديد ، اضطرت إلى التوقف، عندما دخل السيد "إندربي" .

-أخيرًا وصلت. لقد بحث عنكِ الصحفيون طوال الفترات الصباحية. وكانوا يصلون إلى أي مكان تذهبين إليه بعد انصرافك منه. على أي حال لا تهتمي، لقد تمكنت من التصرف في الرد. ثم جلس" شارل" على المقعد؛ لأن "إميلي" كانت قد جلست على السرير. واصل "شارل" :

-الآن أستطيع أن أعلن في غير غرور أو افتخار- أني أصبحت مرموقًا بين الصحفيين الذين يعملون في الصحف الكبرى وجميعهم كانوا متجاوبين معي. وأنتِ هل لاحظت شيئًا ما في الأفق؟

-نعم، هل تصدق أني- مع هذا الطقس- مضطرة إلى التوجه إلى "إكسيتير" وبأسرع ما يمكن؟"

- تفكرين في الرحيل إلى "اكسيتير" ؟

-هناك يجب أن أقابل السيد "داكر"، وهو المحامي الذي يقوم بالدفاع عن "جيمس" . إنه يطلب مقابلتي، وسوف أنتهز هذه الفرصة لزيارة العمة "جنيفير" . وعلى أي حال "إكسيتير" لا تبعد أكثر من نصف ساعة من "إكسامبتون" .

-وهل تتوقعين أن عمة "جيمس" توجهت إلى منزل أخيها، الذي إذا ذهبت عنده يضربها، وبذلك تضطر إلى العودة إلى منزلها فورًا دون أن يشعر أحد بأنها غادرته؟ أعلنت "إميلي" :

-رأيك هذا يشير إلى ما هو غير "محتمل" .لكن عند البحث في القضايا الإجرامية علينا ألا نهمل أبسط الأمور... ليس معنى ذلك أني أنسب إلى العمة "جنيفير" الاشتراك في الجريمة، حاشا للّه. إن ما أهدف إليه هو اتهام "مارتان ديرنج" ... إني أمقت هذا النوع من الناس الذي يستغل كونه نسيب المستقبل لكي يتصرف مثل الأنذال. هذا الشخص كفيل بأن يكون سفاحًا نموذجيًا... فهو يلعب القمار ويخسر مبالغ كبيرة في السباق. ولقد أعلمني السيد "داكر" أنه قدم

إثباتًا لوجود المتهم في مكان آخر وقت وقوع الجريمة: مأدبة عشاء أدبيِّة.

-مأدبة عشاء أدبية... مساء يوم الجمعة... "مارتان ديرينج" "مارتان ديرينج"... آه لقد انتبهت... وكدت أتأكد ذلك. وفي إمكاني تأكُّد ذلك بالإبراق إلى "كاريوترز"، سألته "إميلي":

-عمَّ تتكلم؟

-اسمعيني. لقد وصلت إلى "إكسامبتون" مساء يوم الجمعة وكان أحد أصدقائي الصحفيين- يدعى "كاريوترز" -قد وعدني بلقائي في السادسة والنصف مساء، قبل رحيلي إلى "لندن"؛ لكي يوافيني ببعض المعلومات للنشر. ولما لم يتمكن من الوفاء بوعده كتب إليَّ وبعد أن منحني المعلومات والتعليمات التي كنت في انتظارها، سرد عليَّ في خطابه أنه حضر حفلاً أدبيًّا، في الليلة نفسها- وأنه في البداية كان جالسًا بين مقعدين خاليين: الذي عن يمينه المفروض أنه لسيدة أديبة مشهورة والذي عن يساره لروائي متخصص في القصص الفكاهية. وهو "مارتان ديرينج". ولما لم يحضر كلاهما غيَّر مكانه، وكان بالتالي الذي يشاركه مائدته شاعرًا موهوبًا ولطيفًا. هل فهمت الآن؟ قالت "إميلي":

-إنك ملاك يا "شارل" وهكذا لم يحضر هذا الـ"مارتان" النذل حفل العشاء؟ هل تتذكر الاسم جيدًا؟

أؤكد لكِ. للأسف لقد مزقت الخطاب المرسل من "كاريوترز"، لكن في إمكاني أن أرسل له برقية إذا كنتِ متمسكة بذلك، أؤكد لك أني غير مخطئ.

- نعم، لكنه يدَّعي أنه قضى ليلته مع ناشر، وهذا الناشر سوف يعود إلى "أمريكا". وهذا يبدو لي موضع شك. يبدو لي أنه اختار شاهدًا يتعذر علينا استجوابه.

-إذن تعتقدين أننا بذلك فاشلون؟

-إني أتساءل ذلك. في حالة عدم تمكننا من استجواب الناشر المسافر على متن "موريتانيا" أو "برنجاريا"، ما علينا إلا عرض هذه الأحداث الجديدة على المفتش "ناراكوت"، وعلى الشرطة التحقق من صحة هذه الأقوال. حينئذ صاح "إندربي":

-بشرفي، إنه ريبورتاج رائع. والـ"ديلي واير" قد لا تقدم أقل من... فكان من

"إميلي" أن غيرت مجرى الحديث، قالت:

–ليتنا لا نفقد الوقت ولا نحيا في الخيال يا "شارل"، إن أمامنا الكثير علينا أن ننجزه، سأتوجه في أقرب فرصة إلى "إكسيتير" ولن أعود– وهو بديهي– قبل غد. لكنني أطالبك بمهمة.

– ما هي؟ سردت عليه "إميلي" زيارتها لآل "ويليت" وما شاهدته في هذا المساء. يوجد شيء في الأفق.

–كل ذلك موضع شبهة.

– أليس كذلك؟ وربما تكون مصادفة، لكن لاحظ أنهما عملتا على استبعاد طاقم الخدمة من المنزل. لابد وأن ثمة حدثًا غير متوقع سوف يتم في قصر "سيتافورد" وعليك أن تكون شاهداً له .

– إذن تريدين أن أقضي ليلتي في البرد خلف شجيرة؟!

– الصحفيون يحتملون أكثر من ذلك عندما يكون الموقف في حاجة إلى تضحية.

– ومن قال لكِ هذا؟

لا يهم... إني على علم بذلك، عليك بمراقبة القصر هذه الليلة، مفهوم؟

–اعتمدي عليَّ. وإذا ما تكشفت عوامل جديدة سأكون في المقدمة. بعد ذلك كلمته "إميلي" عن أمر الورقة التي كانت على حقيبة السفر. هنا علق السيد "إندربي" قائلا:

– حقًا. ألا يسكن أحد أبناء "بيرسون" في "أستراليا"... وهو أصغر أبناء أخت "تريفيليان"؟ وقد تكون هذه أيضاً مصادفة؟

– من يدري؟ ومن جانبك، أليس لديك ما هو جديد حتى توافيني به؟

–لا، إنما عندي فكرة.

–هيه؟

–أخشى من أنكِ تسيئين فهمها. أو أنها لا تعجبك.

– كيف ذلك؟

– ألا تتعظمين أو تغضبين؟

–أرجو ألا يكون هكذا. واصل كلامك.

–أنا ليست لي نيَّة الإساءة إلى أي شخص كان، لكن ما أطلبه منك هو أن تصارحيني– إذا كان نعم أم لا– بأن خطيبك نقل لك صورة حقيقية عن الأحدا ث بلا أي تزييف؟

–هل تقصد بذلك أنه هو الجاني؟ حقًّا لك مطلق حرية الاحتمال. ألم أخبرك منذ البداية أنه ليس سوى شك؟ ولكن علينا أن نعمل ولدينا فكرة أن "جيمس" بريء.

–أنا مثلك أعتقد أنه لم يقتل خاله. ما أرغب في معرفته هو إلى أين سنستمر في ثقتنا بموقفه في حين أننا نجده يؤكد توجهه إلى منزل خاله وأنه تكلم معه وغادر المكان والرجل حَيّ.

–وبعد؟

–لقد أتتني فكرة، وهي أنه قد تكون الأحداث قد اتخذت مجرى آخر، أي أن نفترض أن "جيمس" دخل منزل خاله ووجده قتيلاً ثم– من خشيته أن يُتهم– فضل التزام الصمت. كان "شارل" قد قدم هذا الاحتمال بمزيد من الحرص؛ ولقد اطمأن عندما لاحظ أن "إميلي" محتفظة بهدوئها، وهي تقطب حاجبيها من شدة التفكير. أجابت:

–من الممكن، لكنني لم أفكر قط في مثل هذا الاحتمال. وإن كنت واثقة بأن "جيمس" ليس الشخص الذي يتقدم لارتكاب جريمة اغتيال، إلا أني لست واثقة أيضًا بأنه من الممكن أن يلجأ إلى كذبة غبية مثل هذه.

–إن ما يضايقنا الآن هو أنه ليس في إمكانِك الذهاب إليه ومبادلته الحديث على انفراد حتى تحصلي منه على المصارحة؛ لأنهم لا يسمحون بذلك.

–سوف أرسل إليه محاميه السيد "داكر". يبدو لي أنه يُسمح بمقابلة المحامي له بلا شهود. إن "جيمس" شخص عنيد ولن يتراجع عن أقواله. حينئذ أردف السيد "إندربي":

–عن نفسي إني متمسك بفكرتي الجديدة.

–"شارل"... كم أني مسرورة لأنك عرضت عليَّ فكرتك! حتى الآن نحن نبحث

عـمَّن دخل بعـد "جـيـمس" ، في حين أن الفكرة الأولى تقـول قـبل . . . توقـفت "إميلي" عن الكلام غارقة في الأفكار . أمامها الآن نظريتان مضادتان : التي اقترحها عليها العجوز "ريكروفت" والتي يُحتمل فيها مشاجرة "جيمس" مع عمه وهي نقطة الانطلاق ، والفكرة التي تؤكد أنه ليس لـ"جيمس" في الموضوع أي شأن . أولاً لقد فكرت "إميلي" في استجواب الطبيب الشرعي الذي فحص جثمان القبطان "تريفيليان" . إذا كان الاغتيال قد تم في الساعة الرابعة ، فإن أمر عدم وجود "جيمس" وقت ارتكاب الجريمة يكون صدقًا . من جانب آخر على السيد "داكر" المحامي أن يملي على موكله في القضية أن يكون واضحًا ؛ لأن ذلك في صالحه .
أخيرًا قالت "إميلي" وهي تنهض :

-"شارل" . ليتك تستفسر عن المواصلة التي سوف أستخدمها للتوجه إلى "إكسامبتون" . الحداد عنده سيارة . ليتك تتفاهم معه لكي يأتيني بعد الإفطار . هذا سوف يساعدني على لقاء الدكتور قبل أخذي قطار الساعة الثالثة وعشر دقائق للذهاب إلى "إكسيتير" . كم الساعة الآن؟ أجابها "شارل" بعد نظره إلى ساعة يده :

-الثانية عشرة والنصف .

-في وسعنا التوجه إلى الورشة معًا لحجز السيارة ، وقبل مغادرة "سيتافورد" أتمنى أن ألتقي بالسيد "ديك" وهو الشخص الوحيد في القرية الذي لم أتعرف إليه حتى الآن ، وهو من الأشخاص الذين حضروا جلسة "المائدة الدوارة" .

-سنمر عليه في أثناء ذهابنا عند الحداد . وكان منزل السيد "ديك" الأخير من صف المنازل الصغيرة في القرية . قام "شارل" و "إميلي" بفتح الحاجز وتبعا الممشى . حينئذ حدث ما هو شاذ : فُتح الباب والذي بدا على العتبة هو السيد "ناراكوت" . ذهل هو أيضًا وأصابه الحرج . تخلت "إميلي" عن نيتها الأولى وقالت :

-لقد سعدت للقائك هنا يا سيدي المفتش ؛ لأني كنت في حاجة إلى لقائك .
قال وهو ينظر إلى ساعته :

-تشرفنا يا آنسة ، لكن ليكن ذلك على عجل ؛ إذ لابد لي من حجز سيارة للتوجه إلى "إكسامبتون" .

–يا للفرصة غير المتوقعة! بذلك هل يكون في إمكاني الصعود معك في السيارة نفسها يا سيدي المفتش؟ أعلن المفتش امتنانه ولكن من باب اللياقة قالت:

–هل تتكرم يا "شارل" بإحضار حقيبتي؟ انصرف السيد "إندربي" في الحال. قال لها المفتش:

–لقد فوجئت بتواجدك هنا يا آنسة.

–تذكر أني كنت قد قلت لسيادتك "إلى اللقاء".

–لكني لم ألتفت إلى هذه الكلمات.

–وسوف لا تنتهي يا سيدي من لقائي؛ لأن "جيمس" ليس مجرمًا ولم يرتكب هذه الجريمة.

–ممكن.

–وأنا واثقة بأنك من رأيي في أعماقك.

–وما الذي يؤكد لك ذلك؟

–ما الذي دفعك إلى التواجد عند السيد "ديك"؟ عندما بدا الحرج على السيد "ناراكوت" استطردت "إميلي":

– كل ما حصلت عليه يا سيدي المفتش عبارة عن احتمالات وشكوك وبما أنك لست واثقًا بأنك لم تضع يدك على الجاني، مازلت تواصل البحث والتحقيق. ولقد حضرت لكي أوافيك بمعلومات قد تعاونك. سوف أسرد عليك كل شيء ونحن على الطريق إلى "إكسامبتون". وإذا بخطوات تُسمع على الشارع.. "روني جارفيلد" يظهر بمنظر تلميذ هارب من المدرسة وأمسك متلبسًا بالخطأ. قال لها:

–أترغبين يا آنسة أن نقوم بجولة معًا في الفترة التي تنام فيها عمتي؟ أجابته "إميلي":

–أقدم لك ألف اعتذار ... إني في طريقي إلى "إكسامتبون".

–هل ستتركيننا حقًا؟

–آه، لا، سأعود غدًا.

–هذا أفضل. أخرجت "إميلي" ورقة من جيبها وناولت الشاب إياها:

–سلم هذه الورقة إلى عمتك ... إنها مقادير وطريقة عمل الـ "موكا"، وأخبرها

أني حضرت في وقتي؛ لأن الطاهية ستغادر القصر اليوم هي وجميع الخادمات، ولا تنسَ أن تنقل لها هذه المعلومة. وإذا بصدى صوت يردد: "روني"! "روني" ! "روني". قال "روني" وقد استبد به الضيق:

–ها هي عمتي قد استيقظت. لابد أن أكون بالقرب منها.

–نعم، كما أن على خدِّك الأيسر بقعة زيت رسم. واختفى "روني" خلف سياج منزل عمته. وقالت "إميلي" :

–ها هو صديقي أحضر لي حقيبتي. تعالَ يا سيدي المفتش... سأحكي لك كل شيء في السيارة.

الفصل العشرون

(عند العمة "جنيفير")

في تمام الساعة الثانية والنصف، استقبل الدكتور "وارين" "إميلي تريفوزيس"، تلك الفتاة الذكية صاحبة العزيمة القوية. لقد أعجب بها وأجابها على الفور:

–أنا يا آنسة مدرك لوجهة نظرك. على خلاف ما نقرأه في الروايات، من الصعب تحديد ساعة الوفاة بالضبط، لقد فحصت جثة القبطان "تريفيليان" في الساعة الثامنة وفي إمكاني تأكيد أن القبطان قتل قبل ذلك بساعتين على الأقل. لكن تحديد الخطة بالضبط فهذا وضع آخر. قد تقولين لي: لقد تمت الجريمة في الساعة الرابعة"، وأنا أجيبك: ومن الممكن أن يكون هكذا، غير أني لا أقرر ساعة، إنما أقول أن أقصى فترة مرت بعد الاغتيال حتى لحظة فحصي للجثة ما بين أربع ساعات أو أربع ساعات ونصف الساعة.

–شكرًا يا دكتور، هذا ما كنت أريد معرفته، ثم أخذت "إميلي" قطار الساعة الثالثة وعشر دقائق إلى "إكسيتير" وطلبت اصطحابها إلى الفندق حيث يقيم السيد "داكر" الذي كان يعرف "إميلي" منذ طفولتها وهو الذي دبر أمر أموال هذه الفتاة اليتيمة. قال لها:

– يجب عليك يا "إميلي" أن تتذرعي بالصبر، لأن موقف "جيمس" أسوأ مما نتخيل.

–أسوأ؟

–نعم، ليتنا نتخذ طريقًا واحداً. لقد تم اكتشاف أكثر من موقف يدان فيها خطيبك، وبالتالي اتهمته الشرطة بأنه القاتل لخاله، لذلك أرى أنه من واجبي أن أكشف لك عن الحقيقة.

–أرجوك يا أستاذ "داكر"، أخبرني عن هذه الأحداث. نطقت "إميلي" بهذه الكلمات بكل هدوء غير مستسلمة للهزيمة؛ إن الدموع لن تعمل على إنقاذ "جيمس"، لذلك يجب عليها الاحتفاظ برباطة جأشها وتفكيرها السليم. أردف الأستاذ "داكر:

–كان "جيمس" في حاجة شديدة إلى المال، وكان "بيرسون" يقترض من أموال رؤسائه دون علمهم بالتأكيد . هكذا عمل على هدم رأس مال الشركة التي يعمل بها، وعلى تحويل هذا المال إلى حسابه بشراء سندات يتوقع ارتفاع قيمتها ،وإذ أتت هذه الحركة بمنفعة كبيرة، أعاد المال إلى الخزانة دون أن يُشك فيه لحظة في قيامه في إحدى الفترات بنوع من الخيانة. ولما رأى هذا النجاح، تشجَّع وكررَّ العملية منذ أسبوع. للأسف لقد حدث ما هو غير متوقع. عادة يتم فحص دفاتر المنزل في تواريخ محددة. لكن– لسبب ما– تم الفحص قبل الموعد بأيام، وبالتالي تواجد "بيرسون" أمام تهمة "التلبس"المؤسفة. لم يتمكن من الحصول على المبلغ اللازم لسداده. فما كان عليه إلا أن يتوجه إلى "إكسامبتون" طالبًا يد العون من خاله. لكن خاله رفض رفضًا باتًّا. . .فور إحاطة الشرطة بتصرفات "جيمس" هذه رأت فيها مبرراً للاغتيال، هل فهمتِ يا "إميلي"؟ وهكذا تمكن "بيرسون" أو من المحتمل أن يكون "بيرسون" قد توجه إلى السيد "كيركوود" طالبًا مبلغًا من المال لسداد ما عليه وانتزاع عار الخيانة عنه. أردفت "إميلي" :

– يا له من غبي! وأردف الأستاذ "داكر" :

–فعلاً. أمامنا الآن العمل على إثبات أن "جيمس بيرسون" كان يجهل تمامًا بيانات وصية خاله. فكرت "إميلي" لحظة ثم قالت:

–مستحيل؛ لأن الثلاثة: "سيلفيا و"جيمس" و"بريان بيرسون" كثيراً ما كانوا يذكرون– مازحين– موضوع الإرث عن خالهم.

– أيعني ذلك عدم وجود فرصة لتبرئته؟

–لكنك غير مقتنع بأنه الجاني يا أستاذ "داكر"، أليس كذلك؟

–أنا لا أشك فيه. إن "جيمس بيرسون – كما حكمت عليه– شاب صريح جدًا وهو– اسمحي لي أن أكمل رأيي فيه– لا يعرف شيئًا عن الأمانة التجارية، لكني لا أتوقع بتاتًا أنه كفيل بقتل الرجل الشيخ بكيس مليء بالرمل.

–آه، لو كانت الشرطة تبادلنا التفكير نفسه.

–قد يكون في صالحنا. لكن تفكيرًا أو احتمالاً أو حتى يقينا فحسب لواقع لا يلغي الأدلة ولا ينفع في الدفاع.... إن "بيرسون" الآن في مأزق، ولا أخفي عنكِ يا ابنتي أني مرتبك جدًا لأمره، لذلك أنصحك أن تلجئي إلى السيد "لوريمير" المحامي. وهو يُدعى: "رجاء اليائسين". هكذا أضاف الأستاذ ضاحكًا.

–هل رأيتَ "جيمس" يا أستاذ "داكر"؟

–بالتأكيد.

–حسنًا، ليتك تخبرني بصراحة إذا كنت واثقًا بصدق وضعه، ثم عرضت "إميلي" عليه الفكرة التي كان "إندربي" قد أوحى إليها بها. بعد فترة تفكير أجابها المحامي:

–عن نفسي، عندي إحساس بأنه سرد عليَّ قصة زيارته لخاله كما حدثت بالضبط. لكن الاحتمال ضعيف في أنه توجه إلى منزل خاله بعد الاغتيال وأنه دخل من النافذة ورأى الجثة على الأرض.

–على أي حال يا أستاذ "داكر" ليتك في الزيارة المقبلة ترجوه– متوسلاً إليه– أن يدلي بالحقيقة.

–سوف لا أهمل مثل هذا الأمر. ومع ذلك يا "إميلي" لا تكثري من الاحتمالات، لقد شاع خبر وفاة القبطان في "إكسامبتون" كلها حوالي الساعة الثامنة والنصف، و"بيرسون" أخذ أول قطار صباح اليوم التالي... ولو كان غادر "إكسامبتون" في ساعة متأخرة لأبعد عنه الشبهات، ولو كان اكتشف مقتل خاله في الساعة الرابعة والنصف كما تحتملين لغادر "إكسامبتون" فورًا؛ لأنه يوجد قطار في الساعة السادسة وبعده قطار آخر في الثامنة إلا الربع من هذه المحطة نفسها.

قالت "إميلي" :

–لم أفكر في ذلك.

–لقد استجوبته أكثر من مرة عن طريقة دخوله عند خاله وكان يجيبني بأن القبطان كان قد أمره بخلع حذائه قبل تخطي عتبة الباب، لذلك لم تكن بالمدخل آثار أقدام. سألته "إميلي" :

– ألم يذكر أنه سمع صوتا بالمنزل، بذلك يكون دليلاً على وجود شخص آخر.

– لم يذكر لي ذلك لكنني سأعمل على توجيه هذا السؤال عند لقائي به.

– شكرًا يا أستاذ "داكر" . والآن، إذا طلبت من سيادتك تسليمه رسالة، فهل تقبل؟

–على شرط أن الكل يستطيع قراءة هذه الرسالة. جلست "إميلي" إلى المكتب وكتبت ما يلي:

«عزيزي "جيمس"، الأمور سوف تتحسن... تشجع... هأنذا أعمل ليلاً ونهارًا لاكتشاف الحقيقة. لقد تصرفت بلا وعي يا عزيزي».

خطيبتك المخلصة "إميلي"

ثم ناولت الأستاذ "داكر" الورقة فاطّلع على هذه الكلمات القليلة بدون أي تعليق.

–لقد قمت بكتابة هذه الكلمات القليلة لكي يقرأها رؤساء السجن. والآن اسمح لي أن أنصرف بسرعة.

–اسمحي لي أن أقدم لك قدح شاي يا آنسة "إميلي" .

–شكرًا يا أستاذ "داكر"، إن وقتي محدود جدًا؛ لأن عليَّ التوجه إلى عمة "جيمس" . عندما دخلت "إميلي" فيللاً الـ"لوربيه" علمت أن السيدة "جاردنر" غير موجودة لكنها ستعود بعد قليل، حينئذ قالت مبتسمة للخادمة:

– في هذه الحالة، سأنتظرها.

–أترغبين في مقابلة الممرضة؟ وإذْ كانت "إميلي" تنتهز أية فرصة تعارف، وافقت. وصلت الآنسة "دافيس" بعد بضع دقائق مسرورة لأنها أرضت فضولها.

– صباح الخير يا آنسة، أنا "إميلي تريفوزيس" التي ستكون زوجة ابن أخي

السيدة "جاردنر" في المستقبل. لابد أنك تعرفين "جيمس" خطيبي. لقد قبضوا عليه.

–شيء فظيع. لقد قرأنا هذا الخبر في الصحف الصباحية، لكن يبدو أنك محتملة هذه الصدمة بكل شجاعة. وكان في نبرات هذه الممرضة ما يشير إلى عدم استحسان ما بدت عليه "إميلي" من رِباطة جأش. قد تكون الممرضة هي الإنسانة القادرة على مقاومة ما يواجهها من متاعب؛ وكانت تتوقع أن غيرها من الناس يضعفون أمام الصعاب والمؤثرات. استطردت "إميلي" :

–بم تفيد الشكوى؟ أرجو ألا تتضايقي لهذا... الموضوع... أقصد الحياة في أسرة بها سفَّاح! قالت الممرضة:

–هذا أمر بديهي، إنه شيء منفِّر. لكن الواجب قبل كل شيء.

–رائع! كم ستسر العمة "جنيفير" أن تكون زوجة ابن أخيها إنسانة يُعتمد عليها مثلك يا آنسة!

–إنك حقًّا لطيفة يا آنسة. لقد تقابلت مع كثيرات غيرك مثلاً في آخر منزل...

استمعت "إميلي" – في أدب– قصة طويلة ومعقدة، وبعد أن مدحت "إميلي" الممرضة على كتمانها للأسرار وحسن تصرفها حولت الحديث عن آل "جاردنر"، قالت لها:

–أنا لم أتقابل قط مع زوج العمة "جنيفير" يبدو أنه لا يخرج أبداً.

–وا أسفاه لا. المسكين!

–ماذا يعاني بالضبط؟ أسهبت الممرضة في سرد متاعب المريض بما لها من خبرة ودراية عن مرضه. تمتمت "إميلي" :

–بذلك من الممكن أن يتم شفاؤه فجأة؟

–نعم، لكنه سيظل ضعيفاً باقي حياته.

–لا يهم، المهم أن الأمل في الشفاء موجود. ثم أضافت "إميلي" :

–عندما نفكر في أن العمة كانت في السينما وقت اغتيال شقيقها!

–لم يكن في إمكانها معرفة المأساة قبل وقوعها. وفكرت "إميلي" جيداً قبل طرح سؤالها التالي:

– لكن، ألم يَنْتَبِهـا إحساس بأنها ستسمع خبرًا مؤسفًا؟ ألست أنتِ من كانت في المدخل في لحظة دخولها ووجدتِ أنها طبيعية؟

–آه! لا، لست أنا. أنا لم أرها إلا عند فترة تناول العشاء وكانت تبدو طبيعية.

–لاشك في أني مزجت الأحداث. اقترحت الممرضة:

–قد تكون إحدى قريبات خطيبك. عن نفسي لقد شعرت بتأنيب الضمير لأني تركت مريضي بمفرده طوال فترة بعد الظهر، لكن هو الذي كان قد ألحَّ لكي أخرج فجأة. نظرت إلى ساعة يدها وقالت:

– المعذرة يا آنسة... يا إلهي! لقد طلب مني أن أبدل له زجاجة الماء الساخن... يجب أن ألبيِّ طلبه. تواجدت "إميلي" بمفردها... رنت الجرس... بعد لحظة أتت الخادمة الصغيرة فزعة. سألتها "إميلي":

–ما اسمك؟ أجابت:

–"بياتريس".

–يا "بياتريس،" أنا لست قادرة على الانتظار أكثر من ذلك. وكنت أريد سؤال عمتي السيدة "جاردنر"... عن المشتريات التي قامت بها يوم الجمعة... ألا تعرفين إذا كانت أحضرت لفة كبيرة؟

–لا يا آنسة، أنا لم أرها وهي عائدة.

–ألم تخبريني بأنها ستعود في السادسة مساء؟

–بلى، يا آنسة لكن عندما صعدت إلى حجرتها في الساعة السابعة لكي أحضر لها الماء الدافئ، فوجئت بها ممدَّدة على سريرها، وقلت لها وقتئذ: « لقد فزعت بسببك الآن يا سيدتي؛ لأني لم أكن على علم بأنك هنا »، وأجابتني بأنها كانت هنا منذ ساعة تقريبًا، لكني لم ألمح لفة كبيرة. حدثت "إميلي" ذاتها: « ها هما فقرتان من تأليفي :إحساس مسبق ولفة كبيرة ». ابتسمت "إميلي" للخادمة الصغيرة وهي تقول:

– شكرًا لك يا "بياتريس"، سأنتظر قليلاً. خرجت الخادمة و أخرجت"إميلي" من حقيبتها دليل القطارات وتمتمت:« قيام الساعة الثالثة وعشر دقائق. الوصول إلى "إكسامبتون" في الثالثة واثنتين وأربعين دقيقة. الوقت الكافي للوصول عند أخيها

وقتله- يا للبشاعة! ولنضع لذلك من نصف ساعة إلى ثلاثة أرباع الساعة. وللعودة هناك قطار في الساعة الرابعة وخمس وعشرين دقيقة، وآخر في السادسة وعشر دقائق، يصل إلى هنا في السابعة إلا ثلاثا وعشرين دقيقة. والممرضة كذلك كانت خارج المنزل في فترة بعد ظهر يوم الجمعة، وليس من يدري أين كانت... إن من يقتل لا يقتل بلا مبرر. في الحقيقة، أنا لا أعتقد أن الجريمة صدرت من أحد أفراد هذا المنزل... لكن مع ذلك قد يكون محتملا». ثم سمعت الجرس. سمعت صوت كلام في المدخل وإذا بباب الصالون يفتح و"جنيفير جاردنر" تدخل. فقدمت الفتاة نفسها:

– أنا "إميلي تريفوزيس" خطيبة "جيمس بيرسون". حينئذ صاحت السيدة "جاردنر" وهي تصافحها بشدّة.

-أنتِ "إميلي"! يا لها من مفاجأة! شعرت "إميلي" فجأة بالضعف والدونية وكأنها صبية صغيرة وقعت في خطأ. لقد شعرت بأنها أمام سيدة تفوقها في الشخصية.

-هل تناولت الشاي؟

– لا؟ إذن سنتناوله هنا. لحظة من فضلكِ، سأصعد للاطمئنان على "روبير". لاحظت "إميلي" أنها نطقت باسم زوجها بكل رقة، فقالت معلّقة: «إنها تحبه إلى حد الهيام». عندما عادت السيدة كانت قد رفعت قبعتها و"إميلي" أعجبت بتموجات شعرها المسترسل على كتفيها إلى الخلف كاشفًا عن جبين ناصع. بادرتها السيدة بقولها:

-هل ترغبين في أن نتناول موضوع الجريمة البشعة هذه يا "إميلي"؟ وإذا كنت تفضلين أن نذكرها، سوف أكون بذلك مدركة لمشاعرك.

-وبمَ يفيد الحديث عنها؟

-نرجو أن يكشفوا الجاني بأسرع ما يمكن. أستأذنك يا "إميلي"، سأصعد إلى الطابق العلوي لكي أعطي الممرضة الشاي... إني أمقت هذا النوع من ممرضات المستشفيات.

-هل هي إنسانة طيبة؟

-أتوقع ذلك. إن "روبير" يمتدحها دائمًا. إنما أنا، أنا لا أحبها ألبتة. قالت "إميلي" بعد تردد:

-إنها جميلة.

-جميلة؟! مع هاتين اليدين البدينتين الحمراوين! حينئذ لاحظت "إميلي" أنامل السيدة "جاردنر" فوجدتها بيضاء ونحيفة. لاحظت ذلك والسيدة ممسكة بماسك السكر. دخلت "بياتريس" بعد قليل وتناولت قدح الشاي وطبقًا عليه بعض الحلوى وخرجت. أردفت السيدة "جاردنر":

- لقد تسبب هذا الحدث المؤسف في توتر أعصاب "روبير".

-هل كان على صلة قوية بالقبطان "تريفيليان"؟ هزت "جنيفير" رأسها علامة للنفي وقالت:

-كان لا يرغب في مشاهدته. وأعترف لكِ بأن وفاته لم تؤثر فيَّ كثيراً. لقد كان- يا آنسة "إميلي"- شخصًا شريرًا وأنانيًّا وبخيلاً، وسبب الانهيار الذي لحق بـ "روبير" أنه كان قد طلب سلفة منه. ها هو القصاص العادل لم يتمهل. فكرت "إميلي" في نفسها: « يا لها من إنسانة عجيبة! جميلة ورهيبة في الوقت نفسه أشبه ببطلات الروايات اليونانية».

-ترى، هل تأخرت عن الاتصال بالموثِّق؟ لقد طلبت منه أن يطالب بالإسراع في منحنا النصيب من الإرث. والعلاج الذي ذكرته هو ما يمكن تسميته علاج الدجل، لكنه أفاد في الكثير يا "إميلي". آه لو يتمكن "روبير" من المشي! استنار وجه العمة لهذه الفكرة، حينئذٍ شعرت "إميلي" بأن الدنيا تدور بها. شعرت بدوار شديد؛ لأنها لم تتناول طعامًا طوال يومها هذا الذي قضته في التجول. سألتها "جنيفير":

-هل تعانين ألمًا يا ابنتي؟ أجابت "إميلي":

-لا. وكان من الفتاة- إذْ دهشت لما اعتراها من ضعف- أَنْ انخرطت في البكاء. لكن السيدة "جاردنر" لم تعمل على مواساتها. ومن جانبها وجدت "إميلي" في ذلك حسن تصرف من قبل السيدة. انتظرت السيدة" جاردنر" أن تنتهي "إميلي" من البكاء وتمتمت بصوتها العذب والقوي في الوقت نفسه:

–إنك حقًّا مسكينة يا ابنتي. يا لتعاستك يا مسكينة للقبض على "جيمس بيرسون"! ياليتني قادرة على مساعدتك على إخراجه من الحجز، بالإفراج عنه باسم العدالة.

الفصل الحادي والعشرون
(محادثات)

عندما تواجد "شارل إندربي" بمفرده، لم يتوان عن مواصلة التحقيق. ولكي يلم بحياة سكان "سيتافورد" اليومية يكفيه منح السيدة "كورتيس" فرصة للثرثرة. وباستماعه إلى ما تسرده من حكايات وأخبار وشائعات، كان يسعى إلى إدخال الحدث الرئيسي في هذه التفاصيل غير المجدية. وكلما ذكر اسم أحد أفراد القرية، حصل في الحال– من السيدة "كورتيس" على تصرفات الشخص الذي ذكره. هكذا علم أن السيد "ويات" يتشاجر كثيراً مع جيرانه، لكنه يبدي كل اللطف للآنسات الجميلات؛ عرف أيضًا مواعيد تناوله الوجبات والأسلوب العنيف الذي يعامل به خادمه الهندي. حدثته كذلك عن كتب السيد "ريكروفت" وعن حبه المفرط وعن دقته واهتمامه بشئون غيره، كما علم أن هذا العجوز باع مؤخراً الأشياء الأثرية القيمة، وأن السيدة "ويليت" تسعى إلى التقرب منه. ووصفت الآنسة "بيرسهاوس" بإزعاجها الدائم لابن أختها، "روني"، وهو شاب ذو حظ يعيش حياة ماجنة في "لندن". اضطر أيضًا إلى الاستماع حتى النهاية إلى قصة الصديقين وهما القبطان "تريفيليان" والرائد "بيرنابي"؛ كما أحيط علماً بكل ما يُعرف عن آل "ويليت". على ما يبدو أن الآنسة "ويليت" كانت تهتم بـ "روني جارفيلد"، لكنها لم تتعلّق به قط. يحكي كذلك أن لها مغامرات أخرى وأنها شوهدت تتنزه مع أحد الشبان. كانت "كورتيس" تشك في أن السيدة "ويليت" وفدت إلى هذا المكان النائي في "إنجلترا" لإبعاد ابنتها عن شاب يلاحقها وغير مرغوب فيه، لكن من السهل التفريق بين العاشقين والحيلولة دون لقائهما. أما عن السيد "ديك" – الذي نزح قريبا جداً إلى "سيتافورد" – فلا يُعرف عنه شيء سوى أنه يهتم بزراعة حديقته. أخيراً وقد أعلنت الساعة الثالثة والنصف خرج "إندربي"

لكي يتنفس بعد أن امتلأ ذهنه بمعلومات السيدة "كورتيس" . مع ذلك كانت له رغبة ملحة، وهي التعرف إلى ابن أخ الآنسة "بيرسهاوس" ، فكان يتجول في أنحاء القرية حول منزل العجوز المقعدة. عندما خدمه الحظ بلقاء الشاب "جارفيلد" خارجًا من قصر "سيتافورد" وقد بدا حزينًا وشاحبًا بادره "شارل" :

–صباح الخير، أليس هنا قصر القبطان "تريفيليان" ؟ أجابه الشاب "روني" :

– بلى.

– إني أرغب في التقاط بعض الصور للقصر.... للجريدة... لكن الوقت غير مناسب. تقبل " روني" هذه الفكرة دون أن يفكر فيما إذا كانت الشمس ضرورية لالتقاط الصور، وسوف لا تُرى صور للقصر في الصحف غداً. قال:

–إنها مهنة مسلية. ولما كان "شارل" يعمل دائمًا على الظهور بأنه غير راضٍ عن عمله هذا، أجابه:

–بل قل إنها حياة كلب... وأضاف وهو يتطلع إلى قصر "سيتافورد" :

–هذا المبنى يبدو لي كئيبًا.

–كان هذا القصر قبل وصول آل "ويليت" أسوأ حالاً من الآن. كم كنت أعاني ضيقًا في مثل هذه الفترة من السنة في العام الماضي، في هذا البلد!

–فعلا، لا يوجد ما يساعد على التسلية في "سيتافورد" ؛ لأن ليس بها أية وسيلة ترفيه.

–يخيَّل إليَّ أني إذا اضطررت إلى البقاء فيها خمسة عشر يومًا فسوف أختنق. إني أتساءل كيف أن العمة العجوز متمسكة بالبقاء على هذا الحال. هل رأيت القطط التي تقتنيها؟ عندما أردت ملاطفة إحداها، انظر كيف خدشتني. كشف " روني" عن ذراعه لكي يريه إياها.

– ليست لي فرصة لقاء.

– لماذا؟ لو كنت ترغب في إعداد تحقيق صحفي لجريدتك، ففي إمكاني مساعدتك للحصول عليه.

– هل يوجد بالقصر أشياء شائقة يكون القبطان قد تركها فيه؟ أشياء شخصية مثلاً؟

– لا أعتقد؛ لأن عمتي تقول إنه لم يترك إلا ما هو ضروري. لقد رفع كل ما يخص هوايته كشخص رياضي من بنادق وغيرها.

– وكأنه كان يعتزم عدم العودة إلى قصره .

– أتعتقد أنه انتحر؟

– لا؛ لأن الشخص الذي يفلح في الانتحار بأن يصوب ضربة إلى عنقه بكيس من الرمل يُعتبر بطلاً في الانتحار.

– إذن كان يشعر مسبقًا بأنه لن يعود، حينئذٍ استنار وجه "روني" .

– إنه يعلم أن بعض الأعداء يلاحقونه، لذلك غادر منزله وأجّره لآل "ويليت" .

– لكن السيدتين "ويليت" هما اللتان عرضتا عليه استئجار القصر.

– في الحقيقة، أنا لا أرى مبرراً لبقائهما في هذا البلد .وفيوليت" تصرح بأنها لا تشعر بالضيق، بل بالعكس تعلن أن الحياة هنا تعجبها. وها هي اليوم تتمتع بمزاج سيئ... لاشك في أنه بسبب الخدم . إذا كانوا لا يخلصون في عملهم، فليس أمامها إلا طردهم.

– يبدو لي أنه تم ذلك.

– نعم، لكن من بعد، ها هي الأم تقيم بحجرتها والفتاة كانت معي منذ قليل.

سأله "شارل" :

– هل استقبلت رجال الشرطة عند حضورهم؟ حينئذٍ اتسعت حدقتا عيني "روني" وقال:

– الشرطة؟ لا. ولماذا الشرطة؟

– ليس من أجل أمر ما.إني أوجه إليك هذا السؤال، لأني شاهدت صباح اليوم المفتش "ناراكوت" . سقطت العصا من يد "روني" ، فانحنى لأخذها. قال:

–المفتش "ناراكوت" ؟

–نعم.

–إذن فهو مكلف بالبحث في موضوع قضية "تريفيليان" ؟

–بالضبط.

–وماذا يعمل في "سيتافورد" ؟ وأين وجدته؟

–لاشك في أنه يسعى إلى معرفة ماضي القبطان "تريفيليان" من أجل إتمام التحقيق.

هل تعتقد أنه من أجل ذلك فقط؟

–هذا ما أتوقعه.

–ألا يتوقع أن أحد سكان "سيتافورد" هو الذي اغتال القبطان؟

–احتمال ضعيف.

–إذن لماذا يصر على الاستمرار في البحث مستنداً إلى فكرة غير سليمة؟ جميع وكلاء النيابة يتصرفون على هذا النحو . أجابه "شارل" :

–من جانبي أرى العكس. إنهم أشخاص في غاية الذكاء. ومن البديهي أن الصحافة تعمل على مساعدتهم، لكنك إذا تتبعت أطوار إحدى الجرائم بالصحف، فسوف تلاحظ بأية مرونة يعثرون على المجرمين والسفاحين، وأحياناً بلا أي مؤشر يساعدهم على ذلك أو يرشدهم.

–بالتأكيد، إنهم أسرعوا في القبض على الشاب الذي يدعى "بيرسون" . إن موقفه واضح...

–أشبه بماء الصخرة. من حسن حظنا أننا لسنا مكانه: إلى اللقاء، سأعمل على إرسال بعض البرقيات. في هذا البلد تجدهم قد فقدوا عادة استخدام البرقيات؛ لأنك فور تسليمك للبريد رسالة يزيد عدد كلماتها على عشر، ينظر إليك الموظف دهشاً.

انتهى "شارل" من إرسال برقيات واشترى علبة سجائر ثم عاد إلى منزل السيدة "كورتيس" ، وصعد إلى حجرته وتمدّد على سريره ونام في ارتياح، غير متوقع بأنه هو والآنسة "تريفوزيس" موضوع حديث المحيطين بهما. ومن المؤكد أن "سيتافورد" حاليًا تتناول ثلاثة مواضع: الحديث عن اغتيال "تريفيليان" ، وهرب السجين، وابنا العم المقيمان عند السيدة "كورتيس" ، وإذا عدنا إلى قصر "سيتافورد" فسوف نجد "فيوليت" ووالدتها– وقد حرمتا من خدمة الخدم لهما– قد أنهيتا غسل أقداح الشاي. سألتها الأم:

– من حكى لك ذلك؟ أجابتها "فيوليت" وقد بدت شاحبة من التعب:

– السيدة "كورتيس" .

– إن هذه السيدة رهيبة، ولا تكف عن الثرثرة!

– أعلم ذلك، ولقد أخبرتني أن الفتاة تسكن عندها مع ابن عمها. ولقد علمت صباح اليوم أنها– أي الفتاة– تسكن عند السيدة "كورتيس" ، لعدم وجود مكان عند الآنسة "بيرسهاوس" لكن يبدو لي أنه لم تكن لهما صلة تعارف قبل اليوم. قالت السيدة "ويليت" :

–إني أمقت هذه السيدة.

–من؟ السيدة "كورتيس" ؟

–لا، الآنسة "بيرسهاوس" . إنها خطيرة كسائر أولئك الأفراد الذين لا يشغلهم شيء سوى التدخل في شئون الآخرين. لقد أرسلت هذه الفتاة بحجة الحصول على طريقة عمل الـ "موكا" . كان من المفروض أن نمنحها وصفة مسمومة حتى تنتهي وتكف– إلى الأبد– عن التدخل فيما لا يعنيها. أردفت "فيوليت" :

–كان عليَّ أن أستنتج ذلك .

–وكيف كنت تتوقعين أو تدركين مثل هذا الأمر؟ ومع كل لا أهمية للموضوع.

–لأي هدف أتت إلى هنا؟

–ربما دون أي غرض معين، ببساطة لمعرفة ما يدور بالقصر. ترى، هل السيدة "كورتيس" واثقة بأن هذه الفتاة خطيبة "جيمس بيرسون" ؟

–لقد كررت الفتاة هذا الكلام للسيد "ريكروفت" .

–في هذه الحالة، أجد مسعاها مقبولاً. إنها تسعى إلى إنقاذ خطيبها.

–إنك لم تقابليها يا أمي، إلا إذا كنت لا تثقين بها .

–الآن ندمت على عدم نزولي؛ لأني كنت صباح اليوم في حالة عصبية شديدة. لاشك في أن ذلك كان بسبب رد فعل لقائنا بالأمس بالمفتش.

–لقد كنت رائعة يا أمي؛ لكني تصرفت مثل إنسانة غبية، لقد خجلت لأنه غشي عليَّ. لكنكِ قد احتفظت برباطة جأشك للنهاية. أردفت السيدة "ويليت" بنبرة جافة:

–إني معتادة مثل هذه المواقف، آه لو علمت ما عانيته حتى الآن! كل ما أتمناه هو

أن تكون حياتك أفضل من حياتي، أكثر سعادة واستقرارًا، يا عزيزتي. هزت الفتاة رأسها وقالت:

– إني خائفة يا أمي، خائفة!

– من أي شيء؟ لأنه غشي عليك بالأمس؟ لا خطورة في ذلك.

–سوف يعتقد هذا المفتش أن...

– إن ما حدث لكِ كان نتيجة سماعكِ النطق باسم "جيمس بيرسون"؟ نعم... سوف يستنتج ذلك "ناراكوت". وبعد؟ سوف يشك في وجود علاقة بينه وبيننا... وبعد البحث... لن يجد شيئًا.

–هل تؤكدين لي ذلك؟

من البديهي يا "فيوليت". ضعي ثقتك كاملة فيَّ. من يدري؟ ربما تكون إغماءتك هذه في صالحنا. على الأقل ليتنا نرجو ذلك.

وفي منزل الرائد "بيرنابي"، كانت تدور محادثة أخرى أو أصح حديث فردي (مونولوج). كانت السيدة "كورتيس"– وقد تثقلت بلفة كبيرة من الملابس المتسخة كانت قد تناولتها في أثناء مرورها، وذلك منذ نصف ساعة– تتأهب للانصراف. برطم الرائد "بيرنابي"، وواصلت الثرثارة حديثها:

–مخطوبة لشاب وتتنزه مع شاب آخر! واعلموا أن تصرفها ليس عن طيش أو للتسلية فحسب؛ فهي ستعمل على كسب الشاب "جارفيلد" في زمن قصير. "جارفيلد" عندما رآها صباح اليوم كان يبدو خجولاً أشبه بحمل وديع. وتوقفت برهة لكي تسترد أنفاسها. قال لها الرائد:

–لا ينبغي أن أعطلك أكثر من ذلك يا سيدة "كورتيس". أجابت السيدة دون أن تتحرك:

–سأدخل لإعداد الشاي لـ "كورتيس". إني أكره النمامين، "اهتم بما لنفسك"، هذا ما أردده كثيرًا في داخلي؛ بالمناسبة، مارأيك يا سيد إذا كنت أقوم بالنظافة في يوم من الأيام؟ أجابها "برنابي" بنبرة حادة:

–لا. قالت:

–نحن لنا شهر لم نحرك شيئًا من مكانه.

–لا؛ لأني أريد معرفة أين حاجياتي؛ لأنك عندما تقومين بعملية النظافة تعملين على رفع الأشياء من أماكنها، وبالتالي لا أعثر عليها بسهولة. أطلقت السيدة "كورتيس" زفيراً، لأنها تعشق النظافة الشاملة. قالت:

–لابد وأن يكون منزل القبطان "ويات" في حاجة إلى نظافة جيدة في الربيع؛ لأن هذا الذي عنده لا يهتم كثيراً بالنظافة، ولذلك أعمل على إلقاء نظرة عليه من حين إلى آخر. قال الرائد:

–كلميني عن الخدم الهنود.. إنهم يعرفون خدمتهم ولا يثرثرون كثيراً. إذا كان "بيرنابي" قد قصد بكلماته هذه لفت نظر السيدة "كورتيس" فإنها لم تتأثر وعادت إلى موضوع حديثهما الأول. استطردت:

–لقد وصلتها برقيتان في أقل من نصف ساعة، لقد استلمتهما وهي التي قرأتهما في هدوء، ثم أعلنت أنها مضطرة إلى التوجه إلى "إكسيتير" وأنها ستعود غداً. سألها الرائد:

–وهل اصطحبت الشاب معها؟

–لا. لقد مكث هنا. إنه شاب محب ولطيف، إنهما يصلحان لتكوين ثنائي جميل، برطم الرائد "بيرنابي" مرة أخرى. حينئذٍ أعلنت السيدة "كورتيس":

–إذن، أنصرف أنا الآن. لم يعمل الرائد على التنفس بعمق لئلا ترجع السيدة عن قرارها، لكن السيدة "كورتيس" كانت صادقة في كلمتها وانصرفت وأغلقت الباب. أطلق الرائد زفير ارتياح وتناول غليونه وأخذ يتصفح موضوعاً كتبه أحد المتفائلين، كفيل بإيقاظ الشبهة عند الجميع عدا لدى الأرملة أو القبطان المتقاعد. تمتم الرائد:

–هذا العمل جيد بنسبة 12٪، أما في المنزل الصغير المجاور، كان القبطان "ويات" يعرض وجهة نظره على السيد "ريكروفت"، قال له:

–إن أمثالك يجهلون كل شيء عن الوجود؛ لأنك لم تحيَ، إنك لم تتناول قط لحم بقر مصاب بالجنون. لم يعترض السيد "ريكروفت" من باب الحذر، ثم مال القبطان على الجانب وهو على مقعد المعوقين وأضاف:

–أين ذهبت هذه الدابة القذرة؟ إنها فتاة جميلة.

هذه الأفكار المتلاحقة جرحت مشاعر السيد "ريكروفت" الذي ألقى إلى محدثه نظرة دهشة.

–ترى، ما الذي دفعها إلى المجيء إلى هذا البلد؟ "أبدول"!

–نعم يا سيدي.

–أين "بوللي"؟

– في المطبخ يا سيدي.

– حسنًا، لا تعطها طعامًا لتأكل. ومرة أخرى ألقى "ويات" بنفسه على ظهر مقعده وكرر:

– نعم، ما الذي أتت من أجله في هذا البلد؟ وأي حديث يمكنك مبادلتها إياه؟ لقد أتيحت لي صباح اليوم فرصة مبادلتها الحديث، لابد وأنها دهشت لعثورها على رجل مثلي في مثل هذا البلد. ثم برم أحد شاربيه. وضح له "ريكروفت" بقوله:

– إنها مخطوبة لـ "جيمس بيرسون". هذا الشخص المتهم باغتيال "تريفيليان"، فسقط كأس الشراب من يد "ويات" في اللحظة التي كان يرفعها فيها إلى شفتيه. في الحال نادى الخادم لاعنًا إياه؛ لأنه وضع المنضدة الصغيرة بعيدًا عن مقعده. ثم عاد إلى حديثه:

– آه. إنها خطيبة ابن أخت "تريفيليان". إنها أذكى مائة مرة من هذا الشاب. إن مثل هذه الفتاة الجميلة جديرة برجل. أردف السيد" ريكروفت":

– ومع ذلك فإن هذا الشاب "بيرسون" يتمتع بجمال واضح.

– لكنه ليس سوى منظر، ما هو إلا موظف يتردد يوميًا إلى مكتبه، وليست له أية خبرة في الحياة. اعترضه السيد "ريكروفت" بلهجة قاسية:

– لا شك في أن الحكم الذي سوف ينفذ عليه سيكون بالنسبة إليه بمثابة خبرة كافية.

– قد تكون الشرطة أخطأت؟

– لا يمكن أن يتم القبض عليه دون أن يتأكدوا التهمة. قال القبطان في ازدراء:

– أفظاظ.

– لا . . إني صباح اليوم وجدت في المفتش "ناراكوت" رجلاً ذكيًّا وقديرًا.
– وأين قابلته صباح اليوم؟
– عندي هنا. صاح "ويات" .
– لم يأتِ عندي!
–لاشك في أنك لم تكن يومًا صديقًا لـ "تريفيليان" .
–"تريفيليان" كان شخصًا أنانيا وكثيرًا ما واجهته بهذه الحقيقة. . لقد كنت في فترة ما قد مللتُ تردده إلى منزلي، في وقت مناسب وغير مناسب، لكنني لم أتخاذل أمامه قط مثل سكان "سيتافورد" . إن عدم استقبالي لشخص ما خلال أسابيع أو شهور أو حتى سنوات، هذا الأمر يخصني وحدي .
– إن لك أكثر من أسبوع لم تستقبل أي زائر، أليس كذلك؟
– ومتى سيكون ذلك؟ قام هذا الرجل المقعد وضرب على المائدة. حينئذٍ أدرك السيد "ريكروفت" أن محدثه لم يستحسن كلماته الأخيرة؛ لذلك التزم الصمت من باب الحذر، وبالتالي تلاشى غضب القبطان تلقائيًّا.
– إذا كانت الشرطة في حاجة إلى معلومات عن "تريفيليان" فمن المفروض أن تلجأ إليَّ، لأني كفيل بالحكم على أي فرد؛ لأني شخص كابد الحياة بتجواله في بلاد كثيرة، لقد طفت العالم كله. ما الفائدة من العمل بفكرة جماعة الفطائر والسيدات المسنات؟ لكن رأي أو فكرة شخصٍ مثلي أفضل مائة مرة منها. قال "ريكروفت" :
– إنهم كانوا يعتقدون أنهم صائبون.
– وبالتأكيد لقد سألك المفتش عني؟
– صدقني أنا لا أتذكر جيدًا.
– كيف يحدث ذلك؟ هل عدت طفلاً؟
– لا . إنما كنت متوترًا بعض الشيء.
– حقًّا؟ هل أفزعتك الشرطة؟ ليتها تأتي عندي لكي ترى بنفسك كيف سيكون استقبالي لها هل تعرف أني قمت بقتل قط– ذات ليلة– على بعد مائة متر؟

– مستحيل! كانت هذه الطريقة التي يستخدمها القبطان عند إطلاق الرصاص من مسدسه على القطط سواء كانت حقيقية أم خيالية، بمثابة كابوس لجيرانه. فجأة أعلن السيد "ويات":

– أنا متعب. خذ كأسًا أخرى من الشراب قبل الانصراف. نهض السيد "ريكروفت" في الحال؛ لأنه فهم معنى هذه الدعوة. لكن القبطان ألح لكي يتناول الكأس؛ ثم أضاف:

– اشرب. إن الرجل غير القادر على الشرب ليس رجلاً، لكن السيد "ريكروفت" رفض بإصرار؛ لأنه كان قد تناول كأسًا ولا يستطيع تناول المزيد. سأله "ويات":

– أي أنواع الشاي تشتريها؟ لأني لا أعرف شيئًا عن هذا الأمر. ولقد طلبت من الخادم أن يشتري لي شايًا. من يدري؟ قد تقبل هذه الفتاة الجميلة الدخول عندي وتتناول قدح شاي. يجب العمل على تسلية هذه الفتاة؛ لأنها- بالتأكيد تعاني ضيقًا شديدًا بمفردها.

– إنها بصحبة شاب.

– آه. حدثني عن شبان اليوم. فيم يفلحون؟ لم يحاول السيد "ريكروفت" الإجابة عن سؤال شائك مثل هذا، لذلك استأذن. تبعته كلبة القبطان حتى إلى السور، تاركة عنده إحساسًا منفرًا.

في المنزل رقم 3 كانت الآنسة "بيرسهاوس" في هذه الأثناء- تتناقش مع ابن أخيها "رونالد". قالت له:

–إذا كان يروقك، أن تتقرب من فتاة تزدري بك، فأنت حر التصرف. أنا لو كنت في موقفك لا بتعدت عنها؛ لأنك لن تجد فرصتك بالقرب منها. اعترض ابن الأخ:

– آه! وبعد؟

– أمر آخر: لماذا لم تخطرني بوجود مفتش بوليس في "سيتافورد"؟ في هذه الحالة كان في وسعي أن أوافيه بما يفيده في بحثه.

– أنا شخصيًّا لم أعرف بمجيء هذا الشخص إلا بعد رحيله.

– آه! هل أنت كفيل بذلك يا "روني"؟

– المعذرة ياعمة "كارولين" .

– وعندما تقوم بطلاء مقاعد الحديقة لا تلطخ وجهك ؛ لأنك بذلك تبذر في مادة الطلاء ولا تحصل على أي ميزة.

– أنا لم أقم بذلك عمداً يا عمتي. قالت العمة وهي تغلق عينيها :

–كفى مناقشة. إني أشعر بالملل. وعندما شعر "روني" بالضيق أخذ يحرك قدميه. سألته الآنسة "بيرسهاوس" :

–ماذا بالأمر؟

–لا شيء. غاية ما في الأمر...

–ماذا؟

–إني أتساءل عما إذا كان لا يضايقك إذا فكرت في الذهاب غداً إلى "إكسيتير".

–وما الهدف من ذهابك؟

–لقاء زميل.

–كيف هو هذا الزميل؟

–آه، مثل الآخرين.

–عندما تفكر في الكذب تصرف بلباقة...

–لكن...

–لا تبحث عن مبرِّرات.

–إذن، هل أستطيع الذهاب إلى هناك ؟

–لست أدري ماذا تقصد بـ : هل أستطيع الذهاب إلى هناك؟ وكأنك طفل صغير. وهأنت قد تجاوزت العشرين من عمرك.

–هذا بديهي، لكني لا أريد... أغلقت الآنسة "بيرسهاوس" عينيها. ثم قالت :

–ألم أَرْجُكَ قبل الآن أن تكفَّ عن مناقشتي؟ إني في حاجة إلى راحة. إذا كان زميلك هذا يرتدي الجونيلات ويدعى "إميلي تريفوزيس" ستبدو في نظرها شاذًّا وأضحوكة. هذا كله!

–اسمعيني يا عمتي...

–دعني وشأني يا "رونالد"، أنا متعبة جداً.

الفصل الثاني والعشرون
(حفر الليل)

لم يعجب "شارل" قط بفكرة قضاء الليل خارجًا. لم يكن مؤيدًا لفكرة "إميلي" وما تتخيله. وفي اعتقاده أن هذه السهرة في البرد لن تفيد بشيء. لقد نسب الكلمات التي نطقت بها السيدة "ويليت" والتي كان لها تأثير في تفكير "إميلي" وفي العصبية التي اعترتها. تطلع من النافذة ووجد أن البرد قارس جدًّا. ومع ذلك، لم يجرؤ على الخضوع للرغبة التي تدفع به إلى البقاء في حجرته. هذا لأن صوت "إميلي" العذب يرن في أذنيه وهي تردد: « حسنٌ أن نجد من نعتمد عليه ». وهذه الكلمات كانت لتشجيعه. تدثر بكل الملابس الثقيلة التي عنده تحت المعطف الواقي من المطر وهو يفكر فيما قد يكون موقفه إذا ما اكتشفت "إميلي" عند عودتها أنه لم يف بوعده. وأنه بأي ثمن سيتجنب كل ما يغضبها أو يثير الخلاف بينهما. أما بالنسبة إلى احتمال وقوع حدث ما... وأين سوف يقع هذا الحدث فمن المستحيل التواجد في كل مكان في آن واحد. قد يحدث ذلك داخل المنزل و"شارل إندربي" سوف لا يعرف عنه شيئًا. برطم:

–هكذا النساء. من جانبها تستمتع بالتنزه في "إكسيتير" وتتركني هنا لتحمل السخرة المرة، لكن عندما تذكَّر من جديد صوت "إميلي" العذب ندم على تذمره، فكان منه أنه بعد أن انتهى من التزين، غادر المنزل الصغير. وكانت ليلة باردة، أكثر مما كان يتوقع على الأقل. هل تشعر "إميلي" بما سوف يعانيه؟ دخل إلى أرض قصر "سيتافورد" بكل حرص. إن السيدتين "ويليت" ليس لديهما كلب حراسة. إذن ليس ما يُخشى منه من هذا الجانب. لقد أشار الضوء الصادر من منزل البستاني أن أحدًا ما بداخله، لكن القصر ذاته كان غارقًا في الظلام عدا نافذة واحدة مضاءة في الطابق الأول. قال في نفسه:« وما القول في أن السيدتين تعيشان بمفردهما في هذا القصر الفسيح؟ لو كنت في وضعهما لاعتراني خوف شديد ». « وإذا افترضنا أن "إميلي" سمعت هذه الكلمات: ألن يأتي هذا المساء أبدًا؟ متى سيأتي؟ ما معنى هذه الكلمات؟ إني أتساءل كثيرًا عما تحتوي عليه هذه الكلمات. ترى هل

تعتزمان الرحيل؟ في النهاية، مهما حدث، سيظل "شارل" في موقعه». طاف "شارل" حول المنزل وهو لا يخشى من أن يراه أحد؛ لأن الضباب كان كثيفًا. ولقد بدا له كل شيء طبيعيًّا.. لقد علم أن الأبواب مغلقة بالمفتاح. «هل سيحدث شيء؟» هكذا كان "شارل" يحدث نفسه، وكان يشعر بأن الساعات تمر ببطء. ابتلع قليلاً من الشراب الذي كان قد حرص على أخذه معه. عندما نظر إلى ساعة يده، علم أن الوقت هو منتصف الليل إلا عشرين دقيقة. و فطن أن ساعة الفجر قد اقتربت. فجأة سُمع صوت غريب جعله ينصت جيداً. إنه صوت مزلاج صادر عن المنزل.

قد اقترب "شارل" من المنزل بخطى بطيئة حريصًا على ألا يصدر صوتًا، نعم إنه لم يخطئ: الباب الجانبي يُفتح بحرص. وشبح سيد ظهر على العتبة ووقف يتفحص الظلام في قلق، حدث "شارل" ذاته قائلاً:« السيدة "ويليت" أم الآنسة "ويليت"؟» بعد دقيقة واحدة، تقدمت السيدة خطوة واحدة، وأعادت غلق الباب وابتعدت عن المنزل والطريق الذي سلكته يقودها إلى خلف القصر ويخترق ساحة بها شجيرات، ويتجه بعد ذلك إلى الأرض البور. مرت السيدة بالقرب من الشجيرة التي كان "شارل" يختبئ خلفها... إن الصحفي "إندربي" تعرَّف عليها. إنها "فيوليت ويليت" ترتدي معطفًا وعلى رأسها قبعة. تتبَّع "شارل" خطواتها بكل حذرحريصًا على ألا تراه ولا أن تسمع صوت قدميه، كما أنه كان يخشى من إزعاج الفتاة. تقدمته بكثير. وفي إحدى اللحظات ظنَّ أنها غابت عن نظره؛ لكن عندما وصل حتى نهاية الدرب المتعرج، رآها ثانية وهي منحنية على السياج الذي يغلق أرض القصر من هذا الجانب. كان يبدو أن "فيوليت" في انتظار أحد ما. اقترب "شارل".. الوقت يمر. أضاءت الفتاة بطارية جيب وسلطت ضوءها على ساعتها ثم استندت مرة أخرى على الحاجز. فجأة سمع صفير خفيف اقشعرت له الفتاة. مالت أكثر إلى الأمام ثم صدر عن شفتيها هي أيضًا الإنذار نفسه. ظهر وجه بعد ذلك فجأة في الظلام. حينئذ كتمت "فيوليت" صوتًا كان يخرج من شفتيها. تراجعت خطوتين وفتحت السور الحديدي ولحق بها رجل. كانت تكلمه بصوت خافت ومضطرب. ولما كان "شارل" عاجزًا عن سماع ما تقوله، تقدم في

تهور؛ وإذا بغصن شجرة يابس ينكسر تحت قدمه جعل الرجل يلتفت. قال:

–مَنْ هناك؟! ولمح "شارل" هاربًا، قال:

–من أنت؟ قال هذا وأسرع لملاحقه "شارل". التفت إليه ولكمه فسقط الرجلان على الأرض. لم تدم المعركة فترة طويلة .وتمكن بعدها خصم "شارل" من رفعه من على الأرض والقبض عليه أسيراً ؛لأنه كان قوي البنية.

–أخبريني يا "فيوليت"، انظري، من هذا الدخيل؟ تقدمت الفتاة بضع خطوات مرتجفة وصوبت مصباحها على "شارل "إندربي" قالت:

–قد يكون الصحفي الذي يسكن في القرية. صاح الرجل:

–صحفي؟! إني أمقت هذا النوع. لماذا أتيت إلى أرض خاصة في الليل؟ وتمكن "شارل" على ضوء مصباح "فيوليت"– من رؤية خصمه. في بدء الأمر ظنه "شارل" السجين الهارب، لكنه بعد فحصه لهذا الشاب الذي في الرابعة والعشرين من عمره، الفارع والواثق بنفسه لا يشبه بتاتًا هذه الفئة. قال الوافد:

– ما اسمك؟

– "شارل إندربي" وأنت؟

–يالك من غبي! في الحال أتت إلى ذهن "شارل" فكرة. وكثيراً ما أُنقذ من مثل هذه المواقف بما له من إلهام. في مثل هذا الموقف من الأفضل أن يستسلم لها. قال بنبرة هادئة:

–أعتقد أني أعرفك.

–هيه؟! هكذا أجاب الآخر دهشًا.

–ألست الآن أمام السيد "بريان بيرسون" المقيم في" أستراليا"؟ سادت فترة صمت إثر هذه الكلمات، شعر "شارل" بأن الأدوار انقلبت أي أن مسارها أصبح عكسيًّا. أخيرًا نطق محدثه:

–كيف عرفت ذلك؟ إنها حقيقة وأنا فعلاً "بريان بيرسون" أردف "شارل":

–في هذه الحالة، أتمانع في أن ندخل جميعنا للتسامر معًا؟

الفصل الثالث والعشرون
("هازيلمور")

جلس الرائد "بيرنابي" يراجع حساباته، فهو يُسجل- بكل دقة في كتاب كبير ما تم شراؤه وبيعه من أسهم ومقابل كل منها قيمة الربح أو الخسارة- عادةً خسارة؛ وكسائر الضباط المتقاعدين كان الرائد يميل إلى الأسهم ذات الربح بنسبة مئوية عالية عوضًا عن أن يقنع بنسبة مئوية منخفضه وأكيدة. تمتم:

-كان في اعتقادي أن أسهم البترول مربحة وسوف أحصل منها على ثروة كبيرة. وا أسفاه، إنها ليست أفضل أبدًا من مناجم الألماس. إن عملية أراضٍ في "كندا" قد تكون أفضل حاليًّا. توقف فجأة عندما ظهرت رأس "رونالد جارفيلد" في النافذة المفتوحة. بادره "رونالد" بقوله:

-صباح الخير، هل أزعجتك؟ أجابه الرائد:

-إذا كنت ترغب في الدخول، فاذهب إلى الباب الأمامي ولا تفسد الزهور. أعتقد أنك حاليًّا تدوسها بقدميك. تراجع "رونالد" واتجه نحو الباب. صاح الرائد:

-امسح نعليك في الممسحة. وكان من طبعه أنه يتضايق من الشبان، والوحيد الذي يشعر نحوه بشيء من الألفة هو الصحفي "شارل إندربي"، وكان الرائد يحدث ذاته قائلاً: « إنه شاب لطيف، لقد أعجب بموضوعي عن حرب الـ "بوير"، إنما بالنسبة إلى مشاعر الرائد نحو "روني" فكانت تختلف تمامًا، فكل حركات "روني وكلماته كانت لا تعجبه، ومع ذلك للضيافة حقوقها. لم يغفل الرائد عن العادة المألوفة وسأله:

-أترغب في تناول كأس؟ أجابه" روني" وقد بدا عليه الحرج والضيق:

-لا شكرًا؛ لأني أرغب في الذهاب إلى "إكسامبتون" اليوم. و... كنت متوقعًا أننا سنذهب إلى هناك معًا ونفقات الانتقال مناصفة بالتأكيد. ما رأيك؟

-لا أرى مانعًا. لكن الأفضل لك أن تذهب سيرًا على قدميك. إننا في أيامنا كنا لا نقوم بأية تدريبات بدنية. إنها ليست سوى مسيرة عشرة كيلومترات للذهاب وعشرة كيلومترات للعودة، وفي ذلك فائدة لصحتك. وعن نفسي، إذا شعرت بعدم الحاجة إلى السيارة لنقل بعض حاجيات "تريفيليان"، لقطعت الطريق سيرًا

على قدميَّ.

–لقد علمني "إلمير" أنك سترحل في الساعة الحادية عشرة هل مازلت عند رأيك؟

–نعم.

–حسنًا. سأكون هناك في الساعة الحادية عشرة. لم تكن الدقائق بالنسبة إلى "روني" في الحسبان، وهو لا يهتم بالمواعيد، لذلك عندما وصل متأخرًا بربع ساعة وجد "الرائد" ثائرًا ضده وغير مستعد لقبول اعتذاره «كم أنهم مثيرون أولئك المسنين! هكذا فكر "روني" في داخله. إنهم يعملون على تعكير صفو حياتك؛ وهم دائمًا يكررون الكلام نفسه عن الدقة في المواعيد والنظام»، قضى الشاب بضع دقائق في التسلية في فكرة إتمام زيجة بين الرائد "بيرنابي" وعمته. تُرى من سيكون المستفيد أكثر؟ عمته بداهة. تخيَّلها وهي تصفق بيديها وتنادي بأعلى صوتها لكي يسمعها الرائد ويأتي بالقرب منها. ثم أبعد هذه الأفكار عن ذهنه وبدأ الحديث مع الرائد.

–لقد أصبحت "سيتافورد" مكانًا للترفيه، ما رأيك؟ الآنسة "تريفوزيس" و"إندربي" والشخص الوافد من "أستراليا"... بالمناسبة، متى وصل هذا الأخير؟ لقد شاهدته صباح اليوم ولا أحد يعلم من أين هو آت. إن عمتي في حيرة لهذا الأمر. قال الرائد:

– إنه مقيم عند آل "ويليت".

– نعم، لكن من أين أتى؟ كيف نزل؟ يبدو لي أن آل "ويليت" لا يمتلكون طائرة خاصة. هكذا يبدو لي، أليس كذلك؟ إن هذا الشاب من آل "بيرسون" يبدو لي لغزًا كما أني شككت كلما تطلعت إلى نظراته– في أنه هو الذي اغتال القبطان "تريفيليان". هنا التزم الرائد الصمت. واصل الشاب حديثه:

–والآن أخبرك كيف استنتجت ذلك، إن الأفراد الذين ينزحون إلى المقاطعات، غالبًا ما يكونون عنفاء، وآباؤهم لا يحبونهم ألبتة ويشجعونهم على الرحيل. وبعد عدة سنوات يعود الشخص مفتقرًا إلى المال تقريبًا عند اقتراب أعياد الميلاد ويقوم بزيارة خاله. الخال رجل ثري، الخال يرفض منح هذا السائل ولو اليسير من المال، فيضربه.

ما رأيك في هذا الاحتمال؟ هيه؟ أجابه الرائد ناصحًا إياه:

-نعم، وعليك أن تضعه تحت الرقابة- رقابة الشرطة.

-أرى أنه من الأفضل أن تنقل ذلك إلى المفتش "ناراكوت" إنه يعتبرك صديقًا له. إنه لم يعد بعد إلى "سيتافورد"، أليس كذلك؟

-لم أسمع شيئًا عن ذلك.

-أليس عليك أن تلتقي به اليوم؟ وكان "روني" قد آثر الصمت بعد ذلك، عندما لاحظ إجابات الرائد المختصرة، واستسلم للتأمل. توقفت السيارة بعد وصولها "إكسامبتون" أمام فندق "تروا كورون". اتفق "روني" مع الرائد على اللقاء في المكان نفسه في الساعة الرابعة والنصف، ثم اتجه نحو بعض دكاكين المدينة. أما عن الرائد فقد توجه مباشرة عند السيد "كيركوود"، وبعد محادثةقصيرة مع الموثق، طلب مفاتيح "فيللا" :"هازيلمور" ولما كان على موعد مع "إيفانز"وقت الظهر، وجده في انتظاره أمام عتبة الباب. أدخل الرائد المفتاح في كالون باب المنزل الخالي. ها هو يعود إليه للمرة الأولى منذ تلك الليلة المأسوية، وعلى الرغم من عزمه على التذرع بالشجاعة، اقشعر بدنه عندما اخترق الصالون ومن بعده الخادم الأمين المخلص. وهكذا قام الرجلان بالعمل في صمت وفي تفاهم، الواحد يدلي بنصيحة ما والآخر يعمل على تنفيذها. عندما قام "إيفانز" برفع بيجامات وجوارب من الصوان ووضعها على السرير قال له الرائد:

-مهمة غير ممتعة ولكنها ضرورية. وأيد "إيفانز" كلماته:

فعلاً ياسيدي. وفي الساعة الواحدة، توجها إلى "تروا كورون" لتناول الغداء. وعندما عادا إلى الفيللا أمسك الرائد فجأة بذراع "إيفانز".

-صه. ألا تسمع أصوات خطوات أعلى... في الحجرة؟

-فعلاً يا سيدي. تسمرا على الأرض من الفزع، لكن الرائد تمالك نفسه أولاً. فما كان منه إلا أن نزل في ثورته إلى أسفل السلم وصاح بأعلى صوته:

-مَنْ هناك؟انزل.وكم كانت دهشته وفي الوقت ذاته ارتياحه- لأنه يجب الاعتراف بذلك- ظهر "روني جارفيلد" أعلى درجات السلم، في حالة حرج شديد كمن أُمسك في خطأ. صاح:

-كنت أبحث عنك.

-كيف ذلك؟ تبحث عني!

-نعم؛ لأني كنت أود إخطارك بأني سوف لا أسافر في الساعة الرابعة والنصف. يجب أن أذهب إلى "أكسيتير". لا تنتظرني؛ لأني سوف أستأجر سيارة. سأله الرائد:

-كيف تسللت إلى هذا المنزل؟

-أجابه "روني":

-الباب كان مفتوحًا. وهو أمر طبيعي- اعتقدت أني سأجدكما بالداخل، التفت الرائد نحو "إيفانز" وسأله:

-هل كنت قد أغلقت الباب بالمفتاح؟

-لا يا سيدي؛ لأن المفتاح لم يكن معي. تمتم الرائد:

-وهل عليّ أن أكون غبيًّا؟ أردف "روني":

-وأعتقد أن وجودي لا يضايقك، عندما لم أجد أحدًا في الأسفل، صعدت لعلّي أجدكما.

-لا. غاية ما في الأمر، لقد أفزعتني قليلاً. وأردف "روني":

-والآن يجب أن أنصرف. إلى اللقاء. وعندما وصل "روني" أسفل السلم سأل بفضول صبي:

-قل لي، أخبرني، أين... أين حدث...؟ أشار له الرائد بأصبعه إلى باب الصالون.

-آه، وهل في إمكاني أن ألقي عليه نظرة؟ أجابه الرائد:

-إذاشئت، فتح "روني" باب الصالون واختفى لبضع دقائق. صعد الرائد في الطابق الأول، لكن "إيفانز" ظَلّ في المدخل للرقابة. كان يراقب "روني" بعينيه الغائرتين. قال "روني":

- كنت أعتقد أنه من المستحيل إزالة بقع الدماء، يبدو أنها تعود إلى الظهور ثانية. آه لقد نسيت، لقد قُتل العجوز بكيس مليء بالرمل... أو بإحدى هذه الوسائد الخضراء، أليس كذلك؟ وتناول واحدة منها كانت موضوعة أسفل باب آخر

وعمل على تقييم وزنها على كفه.

–يا لها من آلة غريبة. ثم لوَّح بها في الهواء عدة مرات. في هذه الأثناء كان "إيفانز" صامتًا. حينئذ أدرك "روني" أنه لا يستحسن كل ما أتى به من حركات. أخيرًا قال:

– أتركك الآن. ثم مشيرًا برأسه إلى الطابق العلوي، قال:

– كنت قد غفلت عن صداقتهما القديمة. المعذرة. وبعد ذلك اخترق المدخل وخرج. وكان "إيفانز" – بعد أن سمع صوت الحاجز يغلق– قد صعد بالقرب من الرائد "بيرنابي" وبدون أي تعليق– واصل عمله وجثا على الأرض لإفراغ خزانة الأحذية. وفي الساعة الثالثة والنصف انتهت مهمتهما الصعبة. أخذ "إيفانز" حقيبة مليئة بالملابس والملابس الداخلية والمفروشات وحقيبة أخرى، خصصت لدار الأيتام، أما أوراق المتوفى فقد تم حفظها في حقيبة أخرى، ولقد تلقى "إيفانز" الأمر بالتوجه إلى دار المحفوظات المحلية لوضع كل مكاسبه الرياضية وأدواته التي لم يجد الرائد "بيرنابي" مكانًا عنده لحفظها. وبعد الانتهاء من هذه المهام، تنحنح "إيفانز" عدة مرات وقال:

–المعذرة يا سيدي أتمنى العمل عند سيد يعيش بمفرده كما كان القبطان.

–حسنًا، في إمكانك ومن الممكن الالتجاء إليَّ من أجل الإجراءات يا "إيفانز".

–قد أكون أسأت التعبير يا سيدي. لقد فكرنا أنا و"ريبكّا" أنه ربما تسمح سيادتك وتلحقنا بخدمتك على سبيل التجربة أولاً.

–آه! إنك تعلم أني لا ألحق أحدًا بخدمتي؛ لأن السيدة "كورتيس" تأتي عندي صباح كل يوم لترتيب المنزل ونظافته والقيام بإعداد بعض أنواع الطعام. كما أني لا أستطيع تشغيل خدم آخرين؛ لأن دخلي لا يسمح بذلك.

–ليست مسألة نقود يا سيدي. أضاف "إيفانز":

– افهمني... إن محبتي للقبطان كانت قوية... وكم يسعدني أن ألتحق بخدمتك. سعل الرائد وحول عينيه، وقال:

–إنك حقًّا رجل مخلص... سوف أفكر في اقتراحك هذا. وهكذا انصرف الرائد واختفى عن الأنظار تمتم "إيفانز":

–وكأنهما هو والقبطان شقيقان وفجأة ارتسمت الحيرة على ملامحه:
–تُرى إلى أين ذهبا؟ سأسأل "ريبكّا" عن رأيها في هذا الأمر.

الفصل الرابع والعشرون
(المفتش "ناراكوت" يناقش)

أردف "ناراكوت ":
–إني لست مرتاحًا لهذا التغيير في الأوضاع، لهذا المسار الجديد. حينئذ ألقى إليه قائد البوليس المحلي نظرة استفسار.
–ياه، الشاب المقبوض عليه بريء؟!
–أصبحت أشك في إدانته. في بدء الأمر كانت كل الأدلة ضده، أما حاليًّا...
–يبدو لي أن الإثباتا ت التي تشير إلى إدانته ما زالت قائمة.
– نعم، ها هي أحداث أخرى قد ظهرت لنا... على سبيل المثال، هذا الـ "بيرسون" أي "بريان" الذي كنت أظنه في "أستراليا" مقيم هنا في "إنجلترا" منذ شهرين. لقد سافر على الباخرة نفسها التي أقلت السيدتين "ويليت"، ولا شك في أنه كسب قلب الآنسة "فيوليت" خلال هذه الرحلة. الآن نتساءل: لماذا أخفى وصوله عن أفراد أسرته؟ لأن أخاه وأخته يجهلان عودته تمامًا.لقد غادر فندق" أورمسوي" في" لندن" يوم الخميس الماضي، ومنذ ذلك اليوم وحتى يوم الثلاثاء عندما فاجأه "إندربي" في أثناء زيارته لـ "فيوليت ويليت" في الليل، ماذا فعل؟ ها هو رافض مصارحتنا بذلك وبإصرار.
–هل وافيتموه بعواقب تصرفه هذا؟
–نعم وهو يسخر منا. ويدعي أن لا شأن له باغتيال خاله: الموضوع يخصنا نحن. أما كيف يقضي وقته وما الذي يفعله فهذا يخصه وحده.
–أمر شاذ وعجيب.
–بالتأكيد، من الممكن أن يكون هذا الـ " بريان بيرسون" هو الذي اغتال القبطان "تريفيليان". إنها وجهة نظر ضعيفة بأن يقوم "جيمس بيرسون" بقتل القبطان" بكيس مليء بالرمل... في حين أن "بريان بيرسون" شاب مفتول العضلات. أن

يلكم شيخًا بقبضة يده الحديدية، تُعتبر لعبة بالنسبة إليه... لا، بل ولا تنسَ أن له الوضع نفسه في الميراث مثل "جيمس بيرسون" . لقد حضر عندي صباح اليوم ومعه "إندربي" كان يتحدث بثقة شخص مستقدم فوق الشبهات، لكني لا أنخدع لهذه المظاهر.

-وضِّحْ من فضلك.

-لماذا لم يوافِنا أو يكشف لنا عن وجوده قبل اليوم؟ إن خبر وفاة خاله نُشر في صحف يوم الأحد وتم القبض على أخيه يوم الاثنين في حديقة "ويليت" ولم يقدم نفسه مع ذلك.

-ماذا كان يفعل هنا؟ أريد أن أتحدث عن "إندربي" .

-إنك تعلم يقينًا أن الصحفيين يتواجدون في كل مكان لاسيما عند وقوع مثل هذه الأحداث المثيرة.

-نعم، وكثيرًا ما يسببون لنا إزعاجًا، لكنهم يقدمون لنا خدمات أحيانًا.

-إن "إندربي" يتبع آراء الفتاة:

-أي فتاة؟

-الآنسة "إميلي تريفوزيس" .

-وكيف علمت هذه الفتاة ما يدور عند آل "ويليت" ؟

-لقد علمت هذه الفتاة اللمَّاحة العديد من الأمور من خلال زيارتها للقصر.

-كيف برَّر المدعو "بريان" لقاءه بالآنسة "ويليت" في هذه الساعة المتأخرة من الليل؟

-لقد وفد إلى "سيتافورد" للقاء محبوبته، والآنسة "ويليت" أتت للقائه والناس نيام حتى تتجنب معرفة أمها للأمر. وأضاف "ناراكوت" :

- أعتقد أنه لو لم يكتشفه "إندربي" لعاد "بريان بيرسون" إلى "أستراليا" دون أن ندري بإقامته هنا ،ارتسمت حينئذ ابتسامة خفيفة على شفتي الكونستابل ثم تمتم:

-لذلك فهو يلعن الصحفيين. واستطرد المفتش:

-أمر آخر، تذكر أن هناك ثلاثة أفراد من آل "بيرسون" : "سيلفيا بيرسون" " التي

تزوجت الروائي "مارتان ديرينج" الذي أعلن تواجده- عندما أخذت أقواله- على مأدبة أدبية، لكن على ما يبدو أنها ليست حقيقة.

-من أين لك هذه المعلومات ؟

-من "إندربي" دائمًا. حينئذ صاح الكونستابل:

-لابد لي أن أتعرف إلى هذا الشخص. فعلاً الـ "ديلي واير" تضم شبابًا ذوي مستقبل لامع ضمن طاقمها.

-مع ذلك، هذه المعلومات لا تمنحنا سوى فائدة نسبيّة. لقد اغتيل القبطان قبل الساعة السادسة مساء، ولا يهمنا كثيرًا أين قضى هذا الروائي سهرته... إنما ما يضايقني هو أنه كذب... لماذا؟

-في الواقع... هناك مبرر.

-بالإضافة إلى أنك كيف تثق بباقي أقواله؟ ربما أني أنظر إلى بعيد، لكن ليس ما يمنع من أن يكون "ديرينج" قد أخذ قطار الساعة الثانية عشرة وعشر دقائق من محطة "بادينجتون"، وهذا القطار يصل إلى "إكسامبتون" بعد الساعة الخامسة بقليل، الوقت الكافي لقتل القبطان، ثم أخذ قطار الساعة السادسة، ويعود إلى منزله قبل منتصف الليل. على أي حال يجب دراسة هذا الاحتمال وفحص حالة هذا الشخص المالية؛ لأنه سوف يستفيد من إرث زوجته...لا فائدة من لقائه مرة أخرى للتأكد: الأفضل هو تأكُّد عدم تواجده في مكان الجريمة وقت حدوثها. أردف الكونستابل:

-بالنسبة إليَّ فإن، الـ "بيرسون" الذي قبضنا عليه هو الجاني.

-من البديهي؛ لأن كل الظروف ضده وسوف تدينه لجنة التحكيم، غير أني أشاركك الرأي في أن هذا الرجل لا يبدو عليه مظاهر شخص سفَّاح. أردف الكونستابل:

-وخطيبته تكافح لكي تخلصه من الحجز.

-نعم، الآنسة "تريفوزيس" فتاة متميزة كفيلة بعمل المستحيل لإنقاذه. ولقد تعلقت بالصحفي "إندربي" وهي تقوده حسب رغبتها أينما شاءت. "جيمس بيرسون" شاب محظوظ، إنه جميل الطلعة، لكنه مفتقر إلى الصفات الحسنة ولا

أجد به أيَّة ميزة.

-إذا كانت فتاة شجاعة، فسوف يعجبها كما هو عليه. أردف المفتش "ناراكوت":

-لكلٍّ ميوله، والأذواق والألوان تختلف. إذن هل كنت تتوقع أني سأعمل على إرجاء إثبات عدم وجود "ديرينج" في مكان الجريمة وقت حدوثها؟

-نعم، ليتك تسرع بالاهتمام به. لكن، يبدو لي أن هناك شخصًا آخر يستفيد من الميراث عن "تريفيليان"؟

-نعم، أخته. من هذا الجانب كل شيء يبدو على ما يرام. لقد حصلت على معلومات كافية: السيدة "جاردنر" كانت عندها في السادسة مساء، يجب الآن أن نتوجه لمقابلة "ديرينج".

- بعد حوالي خمس ساعات كان المفتش" ناراكوت" في صالون الفيللا "لي ند". في هذه المرة كان السيد "ديرينج" في منزله، لكنه كما أخبرته الخادمة الصغيرة... كان منهمكًا في الكتابة ولا يريد أن يقابل أحدًا. أخرج المفتش بطاقته الرسمية وطلب من الخادمة أن تحملها إلى سيدها. في الانتظار، أخذ يتجول في الحجرة وقد بدا مشغولاً. ومن حين إلى آخر، كان يتناول بين أصابعه أحد التماثيل الصغيرة الموضوعة على منضدة صغيرة ثم يعيده إلى مكانه بعد فحصه. لمح علبة سجائر من "أستراليا"- قد تكون هدية من "بريان بيرسون". وقرأ عنوان أحد الكتب" برايد آند بريجوديس". عندما فتحه رأى على صفحة المذكرات، ما هو مسطر بحبر آخر- كاد يزول بفعل الزمن- اسم "مارثا ريكروفت". وكان اسم "ريكروفت" مألوفًا لديه، لكنه كان في تلك اللحظة غير قادر على التركيز. وإذا بباب الصالون يُفتح والسيد "مارتان ديرينج" يدخل. كان السيد "ديرينج" متوسط القامة، عريض المنكبين، له عينان عسليتان وشفتان غليظتان بلون أحمر قان. كان هذا الروائي يعتبر رجلاً جميلاً ذي عينين ذاتي نظرة...لم يتأثر المفتش "ناراكوت" لهذا المظهر الخارجي. بادره بقوله:

-صباح الخير يا سيد "ديرينج". المعذرة على إزعاجك مرة أخرى.

-لا أهمية لذلك، لكن ليس في إمكاني سوى أن أكررِ لك ما سبق أن أخبرتك

به .

–لقد كنا مقتنعين حتى الآن أن نسيبك "بريان بيرسون" كان مقيمًا في "أستراليا"، وها نحن قد علمنا أنه في "إنجلترا" منذ أكثر من شهرين. وكان في وسعك أن تخطرني بذلك، بل كان واجبًا عليك. هنا صاح "ديرينج" دهشًا:

–"بريان" في "إنجلترا"! كنت أجهل ذلك تمامًا وكذلك زوجتي.

– ألم يكن لك معه لقاء بطريقة أو بأخرى؟

–لا، كما أن "سيلفيا" أرسلت إليه خطابين في هذه الفترة.

–في هذه الحالة، أقدم لك اعتذاري "يا سيدي"؛ لأني كنت موقنًا أنه التقى بأسرته. كما أني كنت متحاملاً عليك لإخفائك عني هذا الخبر.

–هأنت أول من يوافيني بهذه المعلومة. هل تقبل سيجارة يا سيدي المفتش؟ بالمناسبة، على ما يبدو أنك قبضت على السجين الهارب.

– نعم قبضنا عليه مساء الثلاثاء .كان قد ضل الطريق بسبب الضباب، وأخذ يدور حول نفسه حوالي ثلاثين كيلومترًا ،وأخيرًا وجد على بعد مائة متر عن "برينستاون".

–يا له من أمر شاذ السير في جو به ضباب! من حسن حظه أنه لم يهرب يوم الجمعة؛ إذ كان ذلك يثبت إدانته باغتيال "تريفيليان".

–إنه شخص خطير، قاطع طرق قضى حياة مزدوجة رهيبة. فهو في أغلب الأحيان يبدو رجلاً ثريًا وبارزًا ومحترمًا وفي لحظات أخرى يعتريه رغبة في الاعتداء الإجرامي، وحينئذٍ يهرب ومع أسفل فئة من اللصوص.

–قليل جدًا من نزلاء سجن "برينستاون" تمكنوا من الهرب من هذا السجن؟

–الهرب من هذا السجن يكاد أن يكون مستحيلاً في الواقع. لكن هذه الحالة الأخيرة كانت فعلاً ضربة معلم. نهض "ديرينج" وهو ينظر إلى ساعة يده وقال:

–إن لم يكن عندك أسئلة أخرى جديرة بالاستفسار يا سيدي المفتش، . . .

–المعذرة يا سيد "ديرينج"، ليتك تفيدني عن السبب الذي دفعك إلى أن تؤكد لي أنك حضرت مأدبة أدبية في فندق "سيسيل" مساء يوم الجمعة.

– . . .لا أذكر السبب جيدًا يا سيدي.

-بلى، بلى، إنك لم تفهمني جيداً. إنك لم تكن هناك يا سيد "ديرينج" ولم تحضر حفل العشاء. تردَّد "ديرينج". وأخذ يحول نظره من على وجه المفتش إلى السقف، ثم إلى الباب ثم خفضه على حذائه. انتظر المفتش في هدوء. أخيراً أردف الروائي:

-إذا سلَّمنا أني لم أحضر هذه المأدبة. ففيم يسيء إليك ذلك؟ إن تصرفاتي بعد مرور خمس ساعات على اغتيال خالي، لا يهمّ أحدا وليس من اختصاصه.

-في هذه اللحظة يا سيد "ديرينج"، علي أن أتحقق من موقفك، وهأنا اكتشفت أن جزءا منه خطأ، وينبغي أن أتحقق من الباقي. لقد قلت إنك تناولت غداءك وقضيت فترة ما بعد الظهر مع أحد الأصدقاء؟

-نعم، وهو الناشر الأمريكي.

-واسمه؟

- "روسنكرون! إدجار روسنكرون".

-وعنوانه؟

لقد غادر "إنجلترا" يوم السبت الماضي.

-إلى "نيويورك"؟

نعم.

-إذن إنه مبحر حاليًّا، على متن أية باخرة؟

-لا أذكر جيداً.

-في إمكانك على الأقل أن تخبرني إذا كانت سفينة من "كونارد لاين" أم "هوايت ستار".

-لا. في الحقيقة. أنا لا أتذكر بالمرة.

-في هذه الحالة سوف نضطر إلى إرسال برقية إليه في دار النشر الخاصة به "نيويورك". أخيراً نطق الروائي:

-على "جارجانتا"

-شكرًا يا سيد "ديرينج"، كنت واثقًا بأنك ستتذكر، وهل أنت واثق بأنك تناولت الغداء مع" روسنكرون" وأنك قضيت فترة بعد الظهر معه؟ وفي أي ساعة

تركته؟

–حوالي الساعة الخامسة.

–وبعد؟

–أرفض موافاتك بذلك. أعتقد أن هذا كافٍ جداً. أومأ المفتش برأسه بإشارة للموافقة. إذا كان "روسنكرون" يؤكد موقفً "ديرينج" فسوف يكون الروائي بعيداً عن الشبهة. ومهما كانت تصرفاته خلال هذه السهرة فلا علامة لها باغتيال "تريفيليان". سأله "ديرينج" في حرج:

–والآن كيف ستتصرف؟

–إرسال برقية إلى السيد "روسنكرون" على متن السفينة "جارجانتا".

–وبذلك تتسبب لي في دعاية. انتظر. في الحال جلس إلى مكتبه وكتب بعض الكلمات على ورقة، ثم ناوله إياها. قرأ "ناراكوت" ما على الورقة: «روسنكرون س.س. جارجانتا». برجاء إثبات الآتي: لقد تناولت غدائي يوم الجمعة الرابع عشر ومكثت معك حتى الخامسة مساء.

"مارتان ديرينج"

– سواء أكان الرد في الحال أم على أي قسم شرطة لا يهم، لكن على ألا يكون في "سكوتلاند يارد"، إنك لا تعرف الأمريكيين. إذا شعر هذا الناشر بأني موضع شبهة مهما كانت غير أكيدة، ففي الحال يلغي التعاقد المبرم بيننا، لذلك أرجوك أن تتخذ هذه الرسالة وضعًا وشكلاً خاصًا.

– سوف أحترم رغبتك يا سيد "ديرينج". أنا لا أسعى إلا لمعرفة الحقيقة، لذلك سأطلب أن يكون الرد على عنواني الخاص في "إكسيتير".

–شكرًا يا سيدي المفتش وستتأكد بنفسك من صدق أقوالي إذا كنت قد كذبت عليك بشأن العشاء؛ هذا لأني كنت قد أعلمت زوجتي بأني سأحضر هذه المأدبة، وكان قد تراءى لي أن من الأفضل أن أمكث هنا لتفادي المناقشة.

–إذا أكد السيد "روسنكرون" صدق أقوالك يا سيد "ديرينج"، إذن لا تخشَ شيئًا وليست عليك إدانة. وهكذا غادر "ناراكوت" المنزل وتوجه إلى المحطة. وعند صعوده إلى القطار الذي أقله إلى "ديفون"، أتت إلى ذهنه ذكرى "ريكروفت":

« "رويكروفت"... آه. لقد تذكرت. إنه اسم الرجل المسن الذي يسكن أحد المنازل الصغيرة في "سيتافورد" يا للمصادفة!

الفصل الخامس والعشرون
(في مقهى "ديللير")

جلس كل من" إميلي تريفوزيس" و" شارل إندربي" إلى مائدة صغيرة في قاعة مطعم مقهى" ديللير"، عندما أعلنت الساعة الثالثة والنصف والسكون التام يشمل المكان. لم يكن في هذا المكان- عداهما- سوى بعض الأفراد القليلين يتناولون الشاي في فترة بعد الظهر الهادئة. بادر" شارل " " إميلي" بسؤاله لها:

– ما رأيك في" بريان بيرسون"؟

– إنه يربكني. كان "بريان بيرسون" قد تناول معهما وجبة الغداء بعد استجواب الشرطة له. وكان يبدي اهتمامه بـ" إميلي"، بل وكان يسعى إلى التقرب منها . من جهتها، كانت هذه الفتاة اللمّاحة تجد أن موقفه هذا غير طبيعي. وكانت" إميلي" تسعى إلى الإيضاح لـ "إندربي" أن" بريان" ارتضى التوجه إلى قسم شرطة "إكسيتير" بدلاً من أن يتصدى لـ" شارل إندربي" عند تدخله في شئونه الخاصة. قال لها " شارل":

– لقد فهمت قصدك، وهو أنه إن يكن هناك غبار على "بريان بيرسون"، لظهر بمظهر يختلف عن ذلك تماماً، ربما كان يتصرف بشيء من الوقاحة.

– إنها فكرتي بالضبط.

– وهل تعتقدين أنه هو قاتل العجوز؟

– لا مستحيل في ذلك. إني أرى فيه صبيًّا كفيلاً بتحطيم كل ما يعترض طريقه من حواجز وإزالة العقبات.

– وبعيداً عن مشاعرك الشخصية- بحسب رأيك، هل "بريان" موضع اتهام بنسبة تفوق "جيمس"؟

– بالتأكيد؛ لأنه قد لا يتردد في التنفيذ... لأنه لا يفقد عقله.

– والآن هل تعتبرينه يا" إميلي" وبصدق- كفيلاً بالاغتيال؟

– أنا... أنا لا أؤكد شيئًا؛ على أي حال، كل الشروط متوفرة فيه.

– ماذا تقصدين بتوفر الشروط فيه؟ أردفت "إميلي":

–أولاً، المحرك: نصيبه في الإرث، ثانيًا: إنه رافض بإصرار الإدلاء عن المكان الذي كان فيه يوم الجمعة بعد الظهر. وإذا كان في إمكانه الاعتراف بذلك، فلماذا يتردَّد؟ بذلك نحن لا نخطئ عندما نعتقد أنه كان يحوم يوم الجمعة حول فيللا "هازيلمور".

–حتى الآن لم يره أحد في "إكسامبتون".... وهو في الوقت نفسه غير مختفٍ تمامًا. حكَّت "إميلي" رأسها في هزء.

–إنه لم يقم في "إكسامبتون"؛ لأنه إذا كان هو الذي اغتال القبطان لوثقت أو اعتقدت أنه كان قد تدبر الأمر من قبل، إنه ليس مثل "جيمس" البريء المسكين... ولو فكرنا قليلاً لوجدنا أن هناك "ليدفورد" و"شاجفورد" أو حتى "إكسيتير". وكان في استطاعته التوجه من "ليدفورد" إلى "إكسامبتون" سيرًا على قدميه؛ إذ كان هذا الطريق صالحًا للسير على الرغم من سقوط الثلوج.

–لذلك يجب التحري في هذه الأنحاء المحيطة.

–الشرطة كفيلة بالقيام بهذه المهمة أفضل منا. عامة، رجال الشرطة يتمتعون بسلطة نحو المجتمع. لكن ما لا يستطيعون القيام به هو الإصغاء إلى ثرثرة السيدة "كورتيس"، أو مراقبة تصرفات وحركات آل "ويليت"... الأمر الذي يثبت فائدة تدخلنا في الموضوع. قال "شارل":

–أرجو ذلك.

–بالعودة إلى "بريان". عندي احتمال مهم آخر.

–لقد شغلت فكري منذ البداية قصة المائدة الدوارة هذه، لذلك أحاول أن أفحصها من جميع النواحي... وأمامي الآن ثلاثة حلول: أولاً: ظاهرة تفوق الطبيعة. قد تكون قائمة، ولكني أستبعدها. ثانيًا: للإعلان عن وفاة "تريفيليان" – تم كحدث مؤكد ولا أجد لذلك مبررًا، كما أني لست قادرة على معرفة السبب، حتى أني أرفض هذا الاحتمال. وثالثًا: أن يكون أحد الحاضرين قد كشف عن نفسه لاإراديًّا. إذا تكشف لنا صحة الاحتمال الأخير يكون بذلك أن أحد

الأشخاص الستة الحاضرين للجلسة على علم بتدبير أمر اغتيال القبطان "تريفيلیان" في فترة ما بعد ظهر هذا اليوم. ولا يمكننا اتهام أحد منهم؛ لأنهم فوق الشبهة بارتكاب جريمة اغتيال، إنما قد فسوف يكون هذا الشخص محركًا للجريمة وعلى صلة بالجاني. وحتى الآن لم أكتشف أي ارتباط بين الرائد "بيرنابي" والسيد "ريكروفت" و "روني جارفيلد" وأسرة "تريفيليان"،لكن لقد بدا لي أن "فيوليت ويليت" و"بريان بيرسون" على علاقة دائمة، ولقد اضطربت الفتاة بعد الجريمة.

– إذن تتوقعين أنها كانت على علم بما يتم بشأن هذه الجريمة؟

– هي... أو أمُّها أو كلتاهما معًا. ثم مكثت كلتاهما صامتتين ومستغرقتين في أفكارهما. فجأة قالت "إميلي"

لـ "شارل":

– هل صادفك هذا الإحساس العجيب عندما تشعر بأن هناك من يراقبك من الخلف؟ في هذه اللحظة وكأن عينين كانتا تحرقان لي عنقي. هل هو احتمال أو وهم؟ أبعد "شارل" حينئذٍ مقعده من مكانه وتلفت من حوله بطريقة طبيعية.

– إلى المائدة المجاورة للنافذة، تجلس سيدة جميلة سمراء لا تبعد نظرها عنك.

– هل هي شابة؟

– لا، ليست شابة. انظر...

– ماذا؟

– ها هو "روني جارفيلد" يدخل ويصافح هذه السيدة ويجلس إلى مائدتها. يبدو لي أنها تحدثه عنا. فتحت "إميلي" حقيبة يدها، ووضعت قليلاً من البودرة على أنفها مستخدمة مرآتها الصغيرة في الوضع الذي تريده، الوضع المناسب، ثم قالت بصوت منخفض:

– إنها العمة "جنيفير". ها هما ينهضان.

– إنهما يتبادلان مكانيهما. هل تريدين التحدث معها؟ أجابت "إميلي":

– لا، من الأفضل أن أتظاهر بأني لم أرها. وعلّق "شارل" على ذلك بقوله:

– ومع ذلك، لماذا لا تدعو "روني" "جنيفير" لتناول الشاي؟

–عن نفسي، لا أعرف السبب لذلك ولست قادرة على استنتاجه.

–لا فائدة من العودة إلى الموضوع أو التراجع. لكن اسمحي لي ... إننا منذ قليل ذكرنا أن بين الأفراد– عدا "فيوليت ويليت" ووالدتها– من كانوا يشتركون في تحريك المائدة، ليس من له علاقة بالأسرة، وبعد خمس دقائق من رأينا؟ "روني جارفيلد" يتناول الشاي مع أخت "القبطان".

–إذن في ذلك إثبات بأننا نجهل الكثير.

–وأنه علينا أن نعمل على إعادة كل شيء. أردف "شارل" وهو يتنهد:

–وا أسفاه... نعم.

–ماذا تفهم من هذا الوضع؟

–حاليًّا، لا شيء، ثم أمسك بيدها، وهي من جانبها لم تسحبها منه.

–سنتناول هذا الموضوع فيما بعد.

–هيه؟

–ليتك يا عزيزتي "إميلي" تطلبين مني كل ماتريدين وأنا على استعداد للتنفيذ من أجل إرضائكِ.

–حقًّا؟ إنك حقًّا لطيف يا عزيزي "شارل".

الفصل السادس والعشرون
("روبيرت جاردنر")

تركت "إميلي" العمة "جينفير" في مقهى "ديللير" بصحبة "روني جارفيلد" وتوجهت إلى الـ "لوريه". بعد عشرين دقيقة، كانت ترن باب مدخل الفيللا. وأقبلت "بياتريس" وفتحت لها، وقالت لها "إميلي" وعلى شفتيها ابتسامتها المشرقة:

مرة أخرى، هأنذا قد حضرت. السيدة "جاردنر" ليست هنا، أعلم ذلك، لكن ألا يمكنني لقاء السيد "جاردنر"؟ أجابت الخادمة الصغيرة وقد ارتابت في هذا الموقف وقالت:

– لست أدري، أتريدين أن أسأله؟

– نعم، من فضلك يا "بياتريس". صعدت "بياتريس" السلم، وما هي إلا دقائق

وإذا بها تعود وتدعو "إميلي" أن تتبعها. كان "روبير جاردنر" في انتظارها، كان ممدداً على أريكة بالقرب من النافذة في حجرة كبيرة في الطابق الأول. ولقد بدا لـ "إميلي" بما له من بدانة وعينين زرقاوين وشعر أشقر أنه أشبه بـ" ترمستان"،في مشهد بالأوبرا، قال لها:

–صباح الخير، إذن أنت من ستكون زوجة السفّاح؟

– فعلا ياعم" روبير"، ليتني أسمح لنفسي أن أدعوك هكذا.

–أنا لا أمانع في حالة موافقة "جنيفير"، ترى أي تأثير عندك بأن يكون الخطيب في الحبس؟ اغتاظت "إميلي" أمام شراسة هذا الرجل الذي يجد مسرة في تحريك جرحها. لكن مع عزيمة وإرادة، أجابته والابتسامة على شفتيها:

–إنها مغامرة مثيرة ومحركة للعواطف.

–بالتأكيد، "جيمس"لا يشاركك الرأي.

–ياه، عجباً! قد يفيده ذلك في التغلب على العيش. أردف "جاردنر" في دهاء:

–-موافق، سيتعلم أن الحياة ليست عجيبة. إنه لم يشترك في الحرب العظمى لصغر سنه. وكان يقضي حياة هانئة مستقرة، لكنه يعرف متاعبَ من نوع آخر. ثم أضاف وهو يتفرّس في "إميلي" وقد بدا عليه الريب:

–لكن لماذا طلبت مقابلتي شخصيًّا؟

–للتعارف. قبل الزواج ينبغي أن أتعرف إلى جميع أفراد الأسرة الجديدة وهو أمر مألوف.

–وهذا لتقييمهم قبل فوات الأوان على الأقل؟ إذن أنت تفكرين جديًّا في الزواج من "جيمس"؟

–ولم لا؟

– على الرغم مما يؤكد إدانته؟

–بالتأكيد.

–صدقيني كنت متوقعًا أني سأراكِ وقد حطمتكِ المأساة، وكأن الموقف بالنسبة إليكِ مجال للتسلية.

– فَعلاً، إن البحث عن الجاني يقدم سلسلة من الأمور غير المتوقعة التي لا

يتصورها العقل.

– كيف؟

– أقول إن البحث عن الجاني مليء بالأمور الخفية .أطال" روبير جاردنر" النظر إليها، ثم ألقى برأسه على الوسائد وأردف بصوت كئيب:

– إني متعب ولست قادراً على الكلام. " دافيس" ، أين أنت يا" دافيس" ، أنا متعب. أتت الممرضة" دافيس" من الحجرة المجاورة. قالت:

– السيد" جاردنر" يشعر بالتعب بسرعة، ليتك تتركينه بمفرده يا آنسة. نهضت" إميلي" وقالت:

–إلى اللقاء يا عم "روبير" . سأعود مرة أخرى.

–ماذا تقولين؟

–إلى اللقاء. وعندما أوشكت على الخروج من المدخل، عادت وهي تقول لـ"بياتريس" :

–آه، لقد نسيت قفازي.

–سأحضره لكِ يا آنسة.

–لا سأحضره بنفسي. قالت "إميلي" هذا وصعدت السلم بسرعة ودخلت الحجرة التي كانت جالسة فيها دون أن تقرع الباب.

–آه. المعذرة. لقد نسيت قفازي هنا. وتناولت قفازها علنًا وهي تبتسم للمرضة وللسيد "روبير" الجالس على الأريكة ويده ممسكة بيدها. وخرجت من الحجرة ونزلت السلم ثانية وتواجدت بالشارع. فكرت "إميلي" في داخلها : « ها هي خطتي تنجح مرتين. مسكينة يا عمتي "جنيفير" ، تُرى هل تشك فيما يدور بين زوجها وبين الممرضة؟ أعتقد أنه لا ». ولحقت "إميلي" بـ "شارل" في موعد اللقاء؛ لأنها أسرعت الخطى. كان الشاب في انتظارها جالسًا في سيارة "إلمير" ، سألها:

–هيه، هل خدمكَ الحظ؟

–أعتقد أنه نعم، لكني لا أؤكد شيئًا. ثم استطردت عندما لاحظت نظرات "شارل" الاستجوابية:

–لن أصارحك بما شاهدت؛ لأنه قد يكون بعيداً عن موضوع اغتيال

"تريفيليان" . . . وفي هذه الحالة يعتبر إفشاء أسرار. أطلق "إندربي" زفيراً وقال:

-إنكِ تعاملينني بقسوة.

-آسفة، لكن من الواجب عليّ أن التزم الصمت. أجابها "شارل" بنبرة جافة:

-كما يحلو لكِ. وهكذا صمت كلاهما؛ هو لأنه تأثر وهي لكي تجد فرصة أفضل للتفكير. وعندما اقتربا من "إكسامبتون" وجهت إلى "شارل" هذا السؤال غير المتوقع:

- "شارل" .... هل تلعب الـ "بريدج"؟

-نعم، لماذا؟

-بذلك أنت تعلم القاعدة: إذا كنت تدافع فأنت تحصى الفائزين وإذا كنت تهاجم فعليك بإحصاء الخاسرين وبالنسبة إلينا في هذه العملية، فنحن نهاجم... ومن الممكن أن تكون خطتنا غير سليمة.

-كيف يحدث ذلك؟

-لقد قمنا بإحصاء الفائزين حتى الآن: أقصد الأفراد المشتبه فيهم بقتل القبطان "تريفيليان" . . . وهو السبب الذي يؤكد لي أننا ضللنا الطريق.

-أنا لم أبتعد عن الطريق الصحيح، قط.

- عن نفسي أعترف بذلك. لقد أصبحت عاجزة عن تحديد أي وضع. والآن علينا أن نتخذ الأمر من الوجه العكسي أي الخسائر، أي من هم من المحتمل أن يلحق بهم الاتهام بالاغتيال.

-أولاً آل "ويليت" "وبيرنابي" و"ريكروفت" و"روني" . . . ولا نغفل عن السيد "ديك" .

-حسناً، كل أولئك كانوا مجتمعين في قصر "سيتافورد" وقت وقوع جريمة الاغتيال. ولاشك في أنهم تقابلوا جميعهم ولا يمكنهم أن يكذبوا. والآن فلنستبعدهم كلهم معاً. هنا أردف "إندربي" :

-وبذلك يجب استبعاد أهل القرية عن الشبهة. وحتى "إلمير" ذاته (هنا خفض صوته لكي لا يسمعه السائق)؛ لأن الطريق غير ممهد بالنسبة إلى قائدي السيارات. استطردت "إميلي" بصوت خافت أيضاً:

–من الممكن أن يتوجه إلى هناك سيراً على قدميه، فإذا كان الرائد "بيرنابي" قد تمكن من القيام بقطع هذه المسافة في تلك الليلة، ففي إمكان "إلمير" أن يبدأ مسيرته بعد الغداء ويصل إلى "إكسامبتون" في الخامسة ويغتال القبطان ويعود سيراً على قدميه.

–يبدو لي أن العودة سيراً على قدميه قد تكون مستحيلة؛ لأن سقوط الثلج كان قد تكاثر بدءاً من السادسة والنصف. هل تشكين في "إلمير"؟

–لا ندري، قد يكون مصاباً بجنون الجريمة.

–صه لئلا يسمعك ويتضايق. على أي حال سنعمل على استبعاده من قائمة أولئك الذين لم يغتالوا القبطان "تريفيليان".

–وكيف ينفذ التوجه إلى "إكسامبتون" والعودة منها سيراً على قدميه دون أن يراه أحد من أهل "سيتافورد" ويدهش لتصرفه هذا؟ وافقت "إميلي" على هذه الفكرة وقالت:

– بالتأكيد كل شيء واضح هنا.

–من أجل ذلك ولهذه المبررات، أعتبر أهل قرية "سيتافورد" بعيدين عن الموضوع. ومن لم يتواجد عند آل "ويليت" مثل الآنسة "بيرسهاوس" والقبطان "ويات"؛ لأنهما مُقعدان ولا أتخيل أنهما يجازفان بالخروج و... في ليلة ثلجية! أما بالنسبة إلى العزيز السيد "كورتيس" وزوجته المحترمة، إذا ما رغبا في ارتكاب مثل هذه الجريمة، لتوجها إلى "إكسامبتون" في هدوء لقضاء إجازة نهاية الأسبوع. ضحكت "إميلي" وهي تقول:

–ولا يمكن أيضاً التغيب عن "سيتافورد" لقضاء عطلة نهاية الأسبوع دون أن تعرف القرية كلها ذلك.

–بالتأكيد، إذا حدث أن سافرت السيدة "كورتيس" فسوف يكتشف زوجها غيابها لما سيكون فيه المنزل فجأة من سكون.

–أنا معك، إنه "أبدول" في رواية بوليسية قد يُعتبر الجاني. قد يكون "تريفيليان" في أثناء أداء خدمته في البحرية قد ألقى بأخيه في البحر من على متن سفينة و "أبدول" – انتقاماً منه – يقتله: أي يغتال "تريفيليان"!!

– وأيضًا هذه الفكرة لا أرفضها، ولا أستبعد أن هذا الهندي الذي يبدو رجلاً طيبًا كفيل بالقيام بالاغتيال. قالت "إميلي" :

–وبعد؟

–زوجة الحداد، هذه السيدة التي تنتظر طفلها الثامن، توجهت سيراً على قدميها وقتلت الرجل بضربة قوية بالكيس المليء بالرمل.

–والغرض من ذلك؟

–لأنه لو كان الحداد هو والد الأطفال السبعة السابقين فإن القبطان "تريفيليان" هو والد المولود المنتظر (الثامن).

–أرجوك يا "شارل" لا داعي لهذا المزاح. الأفضل أنك تنسب الجريمة إلى الزوج. فكر جيداً في أنهما ذراعا الحدّاد المفتولان الكفيلان بتصويب ضربة قاضية، ومن ناحية أخرى، بما أن زوجته أم لسبعة أطفال فسوف لا تشعر بغيابه من كثرة مسئولياتها. هنا لاحظ "شارل :

–إننا حاليًّا ندخل في الاحتمال.

–فعلاً، إن البحث في مجال الخاسرين غير ناجح بالمرة.

–ليتنا نتكلم عنك.

–عني؟

–نعم أين كنت في هذه الساعة المشؤومة؟

–أمر عجيب لم أفكر فيه قط! كنت في "لندن"–يا للفضول! لكن من الصعب أن أقدم البرهان على ذلك. كنت بمفردي في حجرتي.

–إذن! متهمة. انهضي، إن الدافع إلى الجريمة هو أن خطيبك يصل نصيبه في الميراث إلى عشرين ألف جنيه، ماذا أكثر من ذلك ؟

–أهنئك على هذا الاكتشاف يا "شارل" . في الواقع لا يوجد من يشك فيَّ، وعن نفسي لم أفكر في ذلك حتى الآن.

الفصل السابع والعشرين
(دور "ناراكوت" في العملية)

وبعد يومين، غادرت "إميلي" "سيتافورد" لكي تتوجه إلى مكتب المفتش "ناراكوت" . كان رجل البوليس هذا يقدر ما لـ "إميلي" من مواهب في الصمود وعدم الاستسلام للهزيمة. كان "ناراكوت" يرى في "إميلي" إنسانة خبيرة بمن هو أفضل من "جيمس بيرسون" حتى لو كان هذا الخطيب بريئا وأعلنت براءته رسميًا.

– يذكرون دائمًا في الروايات عن رجال الشرطة أنهم يرغبون دائمًا في العثورعلى مجرم، لكن الحقيقة تختلف عن ذلك يا آنسة "تريفوزيس" . إننا فقط نريد القبض على المجرم الحقيقي.

–وهل أنت يا سيدي المفتش مقتنع بإدانة "جيمس"؟

–لست قادرًا على البت في الإجابة عن سؤالك، لكني أؤكد لك أننا نسعى جديًا ونبذل أقصى جهودنا، ليس فقط لإثبات إدانته أم لا، إنما لإثبات إدانة أفراد آخرين في موضع شبهة.

–تقصد شقيقه "بريان"؟

–هذا الشخص لا يعجبني كثيرًا... لقد رفض الإجابة عن أسئلتي... لكني أعتقد أني استنتجت سر صمته. قال هذا وابتسامة عريضة ترتسم على شفتيه ثم أضاف "ناراكوت":

– وسوف أنتهي من البت في أمره خلال نصف ساعة. ليس أكثر. لدينا أيضًا زوج ابنة الأخت وهو السيد "ديرينج" .

–هل رأيته؟ عندما لاحظ "ناراكوت" ما بدا من قلق على ملامح الآنسة "تريفوزيس"، تخلى جزئيا عن سرِّية المهنة وحكى لها عن لقائه بالسيد "ديرينج"، ومن ملف موضوع عن يساره، تناول صورة مرسلة إلى الناشر الأمريكي السيد "روسنكرون" – عن عدم تواجده وقت الجريمة في المكان. وها هي الرسالة التي أرسلتها. قرأت "إميلي" على الورقة الثانية الآتي:

"ناراكوات 2"، "دريسدال رود، إكسيتير":

– أؤيد عدم القبض على السيد "ديرينج" . لقد كان في صحبتي طوال فترة ما بعد ظهر يوم الجمعة».

"روسنكرون"

حينئذ صاحت "إميلي" :

–يا للضيق! وأردف المفتش "ناراكوت" وقد بدا عليه القلق هو أيضاً:

–مؤسف! لكن سرعان ما عادت إليه ابتسامته واستطرد:

–اعلمي يا آنسة أني غير واثق بذلك؛ لأني على الرغم من الحصول على ما يثبت أقوال "ديرينج" : إلا أني وجدت أنه من الأفضل أن أتصرف حسب رأيي. فكان أني أرسلت رسالة ثانية. ومد يده إلى "إميلي" بورقتين. مكتوب على إحداهما:

« معلومات تخص اغتيال القبطان "تريفيليان" . ليتك توافيني بما يثبت عدم تواجد "مارتان ديرينج" بعد ظهر يوم الجمعة».

المفتش "ناراكوت" . "إكسيتير"

وهكذا جاء الرد مشيراً إلي شيء من الاضطراب والازدراء:

«لم يكن في حسباني قط أن الأمر يختص بموضوع جنائي لم يكن "ديرينج" عندي يوم الجمعة. لقد وافقت على تأييد إثبات وجوده عندي ، كما أنه يتصرف كصديق لصديقه لخمد شكوك زوجته التي تتجسس عليه طلباً في الطلاق».

صاحت "إميلي" :

–آه. كم أنك ممتاز وحاذق يا سيدي المفتش! هكذا وافق على أنه أجاد التخطيط في اللحظة الحاسمة وواصلت "إميلي" تعليقها على الموقف بقولها:

–هكذا يتعاون الأزواج الأصدقاء فيما بينهم. مسكينة يا "سيلفيا" وأيضاً حمداً لله أنه يوجد رجال يُعتمد عليهم. قالت هذا وهي تلقي إلى المفتش نظرة إعجاب.

–إن ما صارحتك به يا آنسة "تريفوزيس" يعتبر من الأسرار التي كان عليَّ أن أحتفظ بها. لقد قمت بما كان لا ينبغي أن أقوم به. لقد تجاوزت واجبي في الكتمان.

–لن أنسى جميلك هذا يا سيدي.

–حذارِ أن تنقلي كلمة واحدة من كل ذلك إلى أي شخص كان.

–وألا ينبغي أن أذكر ذلك إلى "شارل"... أي إلى السيد "إندربي"؟

–إننا لا نغيِّر طبيعة الصحفي. كيف نمنعه من نشر ما سمعه؟

–وهو كذلك. لن أوافيه بشيء من ذلك. لكن كان شعاع مكر باديًا في عيني "إميلي". فجأة وجهت "إميلي" إلى "ناراكوت" سؤالاً غير متوقع:

–من هو السيد "ديك"؟

–السيد "ديك"؟

–نعم، ليتك تتذكر أني قابلتك في لحظة خروجك من منزله في "سيتافورد".

–آه، نعم نعم، تمامًا. أصارحكِ يا آنسة أني كنت أرغب في سماع صورة خالية من أي غرض عن جلسة المائدة الدوَّارة. إن الرائد "بيرنابي" لم ينقلها جيداً.

–لو كنت مكانك لتوجهت إلى السيد "ريكروفت"، لماذا عند "ديك"؟ بعد لحظة صمت أجابها:

–ليس سوى ميل.

–إني أتساءل عما إذا ما كانت الشرطة على علم بماضي السيد "ديك"، لم يجبها المفتش وخفض عينيه.

–السيد "ديك"، هذا الرجل الذي لا غبار عليه، هل قضى حياة مثالية؟ ربما كان رجال الشرطة يعرفون المزيد عن أسلافه، حاول المفتش إخفاء ابتسامة كادت تظهر على شفتيه قال لها:

–هل تحبين الألغاز يا آنسة؟ استطردت "إميلي":

–عندما يعملون على عدم موافاتك بحقيقة الأمور، حينئذٍ لابد وأن تستنتج.

–وإذا كان أحدهم– كما تقولين– يقضي حياة مستقيمة ولا يقبل سماع أن ماضيه قد تكشف للناس، فإن رجال الشرطة يحتفظون حينئذ بالسرّ.

–أفهم ذلك ومع كلٍّ... لقد ذهبت عنده... أليس كذلك؟ وهذا يوحي بأنك تشك فيه. وما أرغب في معرفته هو من يكون هذا السيد "ديك". ظل المفتش محتفظًا بسكينته. ولما أدركت "إميلي" أنه لا فائدة من إلحاحها، استأذنت وانصرفت. عندما تواجد "ناراكوت" بمفرده والابتسامة لا تفارقه، مكث لحظة بلا حركة. ثم رن الجرس وإذا بأحد مرؤوسيه يأتيه. سأله "ناراكوت":

–هيه؟

–المعلومة صحيحة يا سيدي، وعلى ما يبدو أنه بشأن فندق "تو بريدجز" وليس أوبرج "ديشيه" في "برينستاون". تناول المفتش الورقة التي قدمها له هذا المرؤوس.

–هذا ما يؤكد شكوكي. هل ذكرتم ما كان يقوم به هذا الشخص يوم الجمعة وأين كان؟

–لقد وصل بالتأكيد إلى "إكسامبتون" في آخر قطار، لكنني لا أعرف ساعة رحيله من "لندن"، وها نحن نواصل البحث عن هذه النقطة. أيد "ناراكوت" كلامه بإشارة من رأسه.

–ها هي الورقة المرسلة من "سوميرسيت هاوس" يا سيدي. فرد "ناراكوت" الورقة؛ إنها مستخرجة من سجلات عقود الزواج عن عام 1894،وهو الخاص بزواج "ويليام مارتان ديرينج" من "مارثا إليزابيث ريكروفت" شرعًا.

–آه... ليس من أخبار أخرى؟

–بلى ياسيدي. لقد غادر "بريان بيرسون" "أستراليا" على الـ "فيدياس" على شركة "بلو فانِل" أو توقفت هذه السفينة عند" كيب تاون" بجنوب" إفريقيا"، لكن لم يكن على ظهر هذه السفينة أي أم مع ابنتها خلال هذه الرحلة. لكن السيدة "إيفانز" كانت موجودة مع الآنسة "إيفانز"، والسيدة "جونسون" مع الآنسة "جونسون" من "أستراليا"... وبيان هاتين الأخريين مطابق لبيان السيدتين "ويليت". نطق المفتش:

–آه!.. "جونسون".. "جونسون"، لاشك في أن اسمهما الحقيقي هو "ويليت"، هذا كله؟ نعم، كان هذا كله لهذه المرة. علق" ناراكوت" :

–ها هو أمامنا عمل لأيام....

الفصل الثامن والعشرون
(بخصوص الحذاء الطويل الرقبة)

وجه السيد "كيركوود" هذا السؤال إلى "إميلي تريفوزيس":

–ماذا تتوقعين اكتشافه في فيللا "هازيلمور"؟ كل الأشياء الشخصية الخاصة

بالقبطان رفعت من المنزل. ولقد فتشت الشرطة جميع أركان المنزل. إني مقدر رغبتك في الحصول على براءة السيد "بيرسون" وإطلاق سراحه.

-أنا لا أسعى إلى العثور على ما هو خفي مادامت الشرطة قد قامت بدورها من هذا الجانب. إني عاجزة عن التعبير عن رغبتي... أنا أريد الوقوف على طبيعة المنزل الذي تمت فيه الجريمة. أرجوك أعطني المفتاح. أي ضرر في ذلك؟

-أبداً.

-إذن تكرم بتسليمه إليّ. ابتسم كيركوود وناولها المفتاح وهو يبتسم. بل ولقد عرض عليها مرافقته لها، لكن "إميلي" تجنبت هذه الكارثة ببعض عبارات تتسم باللباقة والحزم معاً، وكانت "إميلي" قبل رحيلها إلى "إكسيتير" - قد استلمت من السيدة "بيللينج" خطاباً هذا نصه:

عزيزتي الآنسة تريفوزيس

«لقد لمست أنك في حاجة إلى الوقوف على أدق الأحداث والتفاصيل الخاصة باغتيال القبطان "تريفيليان". إن ما سوف أوافيك به هو بلاشك غير مجد،لكني أرى أنه من واجبي أن أحيطك به علماً بأسرع ما يمكن، وكلي أمل أن يصلك خطابي مساء اليوم مع آخر قطار أو صباح غد عند التوزيع الأول.

لقد منحني والدي تفصيلاً قد يبدو عديم الأهمية وقد يبدو لنا شاذاً. إن الشرطة تؤكد، وكلنا نؤيد هذا الرأي إنه لم يختف شيء ما من منزل "تريفيليان"، على الأقل أن يكون هذا الشيء ذا قيمة. والآن أخبرك بأنها ليست حقيقة... لقد اختفى زوج حذاء من الجلد السميك الذي يُدلّك بالزيت كان القبطان يحتذي به عندما يخرج في يوم ثلجي، من الذي أخذه؟ ليس هناك من يدري، أكرر لك أنه أمر تافه، لكني رأيت أن موافاتك به قد يكون نافعاً، راجية أن يصلك خطابي وأنت في صحة جيدة. وليتك لا تنشغلين كثيراً بأمر خطيبك وأن تكوني متفائلة».

المخلصة السيدة "ج. بيللينج"

قرأت "إميلي" الخطاب وأعادت قراءته وأرته لـ "شارل"، فقال:

-حذاء كبير. هذا لا يشير إلى شيء.

–وأنا غير متفقة معك في الرأي. لماذا يختفي هذا الحذاء؟

–قد يكون هذا الخبر من اختراع "إيفانز" . أو الحركة نفسها.

–ولأي غرض؟ إن من يسعى إلى اختراع سبب، عليه أن يجد فكرة أكثر ذكاء من اختفاء حذاء، وهنا اقترح "شارل" :

–الحذاء يجعلنا نفكر في الأثر.

–نعم، لكن الثلج يمحو آثار الأقدام. آه لو لم تكن هذه الثلوج...

–في هذه الحالة كان من المحتمل أن يكون القبطان قد أعطى هذا الحذاء إلى أحد المتشردين وهذا الأخير اغتاله بعد ذلك.

–لا، لم يكن ذلك من طبعه، إنه كان لا يفرط في شلن، وهنا نقول إنه لا يعطي الحذاء الضخم الذي يستخدمه في السير على الثلوج لأي أحد.

–إذن سأصمت. أردفت "إميلي" :

–عن نفسي بطريقه أو بأخرى، أريد أن أكون خالية من ذنب التقصير في البحث عن الجاني.

وبناء على ذلك. رحلت إلى "إكسامبتون" و– فوراً– اتجهت إلى أوبرج "تروا كورون" حيث استقبلتها السيدة "بيللينج" بالترحاب.

–هيه؟ مازال خطيبك في السجن؟ أمر مخز، إني واثقة بأنه ليس الجاني وسوف أدلي بذلك عالياً. هل استلمت خطابي؟ هل تريدين لقاء "إيفانز" ؟ إنه يسكن في "85 فور ستريت" . ليتني أتمكن من مرافقتك، لكني لا أستطيع ترك "الأوبرج" . ستعثرين عليه بسهولة. توجهت "إميلي" ، غير مترددة، إلى "إيفانز" . لم يكن الخادم السابق لـ"تريفيليان" موجوداً. لكن السيدة "إيفانز" أحسنت استقبالها ودعتها للدخول. جلست "إميلي" وطلبت من السيدة "إيفانز" أن تجلس بجوارها. وفي الحال تناولت الحديث الذي يشغل بالها. قالت لها:

–لقد حضرت عندكما بشأن ما أخبر به زوجك السيدة "بيللينج" عن ضياع زوج أحذية من المنزل وهو للقبطان "تريفيليان" .

–قصة عجيبة. أليس كذلك؟

–أليس من الممكن أن يكون زوجك مخطئاً في قوله؟

–لا، لأن القبطان كان يحتذي به طوال فصل الشتاء تقريبًا وكان هذا الحذاء واسعًا، الأمر الذي كان يجعله يلبس زوجين من الجوارب الصوفية. اقترحت "إميلي":

–من يدري، ربما يكون عند الإسكافي للإصلاح؟

–المفروض أن يكون "إيفانز" أول من يعرف ذلك.

–فعلا.

–أشك في أن يكون لهذا الحذاء علاقة بحادث الاغتيال، هل عندكما أخبار جديدة؟

–نعم، خبر أو اثنان قد يكونان بلا أهمية. قالت السيدة "إيفانز":

–عندما رأيت المفتش، مفتش قسم "إكسيتير" هنا اعتقدت أنه حضر من أجل البحث عن تفاصيل الجريمة.

–المفتش "ناراكوت"؟

–نعم يا آنسة.

–هل حضر في القطار نفسه الذي أقلنّي؟

–لا. لقد حضر في سيارة. ولقد توجه أولاً إلى "تروا كورون" واستجوب "توم" عن أمتعة الشاب.

–أي شاب؟

–الذي يرافق الآنسة، اتسعت حدقتا عيني "إميلي" وواصلت السيدة "إيفانز":

–ذهبت إلى "الأوبرج" بعد لحظة، و"توم" وافاني بالأمر، لقد تذكر أن أمتعة الصحفي تحمل بيانين: الواحد إلى "إكسيتير" والآخر إلى "إكسامبتون"، عند سماع "إميلي" هذه الأخبار، انفرجت أساريرها بابتسامة عريضة. تخيلت "شارل إندربي" وهو يرتكب جريمة لموافاة جريدته بموضوع مثير، كما أنها أعجبت بما للمفتش "ناراكوت" من يقظة ضمير في أداء واجبه بالتحقيق في أدق التفاصيل. لاشك في أنه غادر "إكسيتير" فور لقائهما والسيارة السريعة كفيلة بتجاوز سرعة القطار. هذا بالإضافة إلى أن "إميلي" كانت قد تناولت الغداء في "إكسيتير".

– وإلى أين توجه "ناراكوت" بعد ذلك؟

– إلى "سيتافورد" يا آنسة. ولقد سمعه "توم" وهو يعطي العنوان إلى سائق السيارة. سألتها "إميلي" :

– إلى قصر "سيتافورد"؟ وكانت تعلم أن "بيرنابي" مقيم عند آل "ويليت".

– لا يا آنسة، عند السيد "ديك" مرة أخرى! دائمًا هذا الـ "ديك"... بالتأكيد ستعمل على لقاء هذا الشخص فور عودتها إلى "سيتافورد". وبعد أن شكرت السيدة "إيفانز" توجهت لزيارة السيد "كيركوود وأخذت منه المفتاح... مفتاح "هازيلمور". وقفت "إميلي" في مدخل الفيللا المأسوية، فريسة للتأثر، وقلبها يخفق بشدة. صعدت السلم بخفة ودخلت أول حجرة في الطابق الأول. من البديهي أنها حجرة نوم القبطان "تريفيليان"، وكما سبق أن أخبرها السيد "كيركوود" لاحظت أن كل الأشياء الخاصة بالقبطان كانت قد رُفعت. وجدت جميع المفروشات مطوية ومصفوفة فوق بعضها، والدولاب والكومودينو فارغين، وأيضًا خزانة الأحذية. أطلقت "إميلي" زفيرًا ونزلت ثانية ودخلت إلى الصالون حيث اغتيل القبطان، في حين كان الثلج يدخل من النافذة المفتوحة. تخيلت "إميلي" مشهد الجريمة. من الذي قتل القبطان؟ ولماذا؟

وهل الجريمة تمت في تمام الخامسة وخمس وعشرين دقيقة كما يعتقدون؟ وهل "جيمس" صادق في أقواله...؟ ترى هل "جيمس" قرع باب المدخل عدة مرات، ولما لم يسمعه أحد اتجه إلى نافذة الصالون ومنها ألقى نظرة على الصالون، ثم فرّ هاربًا وقد فزع من منظر جثة خاله؟ آه لو كنت واثقة بذلك! وعن السيد "داكر"، هل مازال "جيمس" متمسكًا بأقواله؟ وحسب رأي "ريكروفت"، تُرى هل كان في المنزل شخص آخر سمع المشادَّه بين "جيمس" وخاله واستغل هذا الموقف لقتل القبطان، وبذلك يُلحق الجريمة بـ "جيمس"؟وما شأن موضوع الحذاء هنا؟ هل كان يوجد شخص مختبئ في حجرة نوم القبطان؟ تفقدت "إميلي" المكان مارَّةً بحجرة الطعام؛ حيث شاهدت حقيبتين مجهزتين استعدادًا للنقل. أما الكؤوس التي كان القبطان قد فاز بها عن بطولاته فهي حاليًّا عند الرائد "بيرنابي"، غير أن الروايات الثلاث التي كان القبطان قد ربحها في مسابقة الجريدة فمازالت موضوعة على أحد المقاعد. ولما لم تجد ماهو خارق، صعدت السلم ثانية، ومرة أخرى دخلت حجرة

نوم الراحل.

« لماذا اختفى هذا الحذاء » عجزت "إميلي" عن التخلص من هذه الفكرة المسيطرة على ذهنها. إذن ألا تجد ما يعاونها على حل هذا اللغز؟ رفعت "إميلي" الأدراج ودققت في البحث... بحثت في كل مكان حتى تحت البسط. وقع نظرها فجأة على تفصيل غير متوقع في هذه الحجرة: كمية هباب عند فوهة مدخنة المدفأة. وقفت ساهمة في بدء الأمر، ثم شمَّرت عن ساعدها ومدت يدها... بعد قليل جذبت لفة داخل ورق جريدة، وعندما كشفت عما بداخلها ، كم كانت دهشتها عندما رأت أنه الحذاء المفقود! صاحت:

-ها هو الحذاء! وبتفحصها هذا الحذاء تساءلت مرة أخرى!

« لكن لماذا؟ بداهة هناك من أخذه ودسَّه على هذا النحو، لماذا؟ » وأخيراً صاحت "إميلي":

- آه!! أكاد أن أجن! وضعت "إميلي" الحذاء وسط الحجرة وجلست على مقعد لكي تفكر في هدوء. استعادت الجريمة من جوانبها وكل الأفراد الذين قد تكون لهم علاقة بالجريمة عن بعد أو عن قرب. اعترتها فكرة بعد قليل... فكرة أوحى إليها بها هذا الحذاء الموضوع أمامها. تناولت الفتاة الحذاء ونزلت السلم على عجل ودفعت بباب حجرة الطعام واتجهت نحو الدولاب الموضوع فيه كل الأدوات الرياضية الخاصة بالفقيد من بنادق وأدوات الصيد وغيرها، وانحنت "إميلي" والحذاء مازال بيدها، وبعد دقيقتين رفعت وجهها وقد علت الحمرة وجهها وهي تكاد ألا تصدق، هل هذا ممكن؟ هكذا فكرت "إميلي" وهي تقع منهارة على المقعد ذي المساند. لقد علمت حاليًا من هو القاتل، من الذي اغتال القبطان "تريفيليان"، لكني أجهل السبب. حدثت ذاتها بصوت عالٍ:

-هيًا بسرعة. خرجت من الفيللا وفي أقل من دقيقتين أوقفت سيارة أجرة، لكي تتجه إلى "سيتافورد". أعطت السائق عنوان السيد "ديك"، وعندما وصلت إلى القرية أعطت السائق حسابه وانطلقت السيارة. تتبعت "إميلي" الممشى ووصلت إلى باب المدخل وقرعت... فُتح الباب بعد لحظة وظهر لها رجل قوي البنية يبدو عليه الهدوء. ها هي للمرة الأولى في مواجهة السيد "ديك".

–السيد "ديك"؟

–إنه أنا.

–أنا "إميلي تريفوزيس". هل تسمح لي بالدخول؟ بعد لحظة تردد تراجع لها لكي تدخل. ودخلت "إميلي" إلى الصالون. أغلق "ديك" الباب ثانية ولحق بها. سألته "إميلي":

–إني أرغب في مقابلة السيد "ناراكوت" هل هو هنا؟ تردَّد السيد "ديك" برهة، ثم قال أخيراً:

–نعم "ناراكوت" هنا. وما هو السبب في رغبتك للقائه؟ فتحت "إميلي" اللفة التي بين ذراعيها ووضعت الحذاء على المائدة المواجهة له وقالت:

–أريد أن أقابله بشأن هذا الحذاء.

الفصل التاسع والعشرون
(الجلسة الثانية للمائدة الدوَّارة)

–صباح الخير يا سيِّد "ريكروفت"! هكذا صاح "روني جارفيلد" للعالم العجوز الذي– بعد أن تجاوز مكتب البريد– كان يصعد في بطء الدرب المتعرج. توقف السيد "ريكروفت" في الطريق لانتظار الشاب "جارفيلد"، سأله "روني":

–هل كنت تقوم ببعض المشتريات يا سيد "ريكروفت"؟

–لا، إنما عندما وجدت أن الطقس صحو جداً، فكرت في السير إلى ما بعد الورشة. حينئذٍ رفع "روني" عينيه نحو السماء الزرقاء.

–إنه تغيير كبير في حالة الطقس بالنسبة إلى الأسبوع الماضي. بالمناسبة، هل أنت ذاهب عند السيدتين "ويليت"؟

–نعم، وأنت كذلك؟

–نعم؛ لأن عمتي تدينهما على إقامة حفل شاي بعد تشييع القبطان بأيام قليلة، لكنها تدمدم بسبب الإمبراطور "بيرو" وتنعيه.

–الإمبراطور "بيرو"؟ هكذا كرر "ريكروفت".

–نعم، إنه أحد القطط التي تقتنيها. وعوض الإمبراطور، ها هي إمبراطورة والعمة

"كارولين"، ولما لم تجد من تتحامل عليه ها هي تعمل على التشاجر مع السيدتين "ويليت" أو تخاصمهما. من حقها أن تدعو من تشاء عندها لتناول الشاي؛ لأنه ليست من صلة قرابة تربطها بالفقيد القبطان "تريفيليان".

–إنها حقيقة. هكذا أيد السيد "ريكروفت" كلماته والتفت إلى طائر يحلق بالقرب منه لمعرفة من أي نوع هو، تمتم:

–يا لسوء الحظ! إن نظارتي ليست معي.

–لكن أخبرني يا سيد "ريكروفت"، ألاتشك في أن الآنسة "ويليت" لها سابق معرفة بالقبطان "تريفيليان" على خلاف ما تعترف به؟

–لماذا هذا السؤال؟

–لأنها تغيرت كثيراً منذ وفاة "تريفيليان" ولقد بدا عليها أنها تقدمت في العمر حوالي عشرين سنة. ألم تلحظ ذلك؟

–فعلاً.

–بحسب اعتقادي أنها تأثرت كثيراً جداً بشكل ملموس بعد سماع خبر الاغتيال. قد يكون أمراً عجيباً إذا اكتشفنا أن السيدة "ويليت" كانت يوماً ما زوجة "تريفيليان" وأنه كان قد تخلّى عنها في مرحلة الشباب ولم يعرفها بعد ذلك.

–إنها نظرية غير محتملة يا سيد "جارفيلد".

–نعم، وكأنه سيناريو فيلم. ومع ذلك كم من مصادفات شبيهة! لقد قرأت الكثير مثلها في صحيفة الـ "ديلي واير" والناس لا يصدقون هذه الأخبار الشاذة إلا عندما تقوم الصحافة بنشرها. سأله السيد "ريكروفت" بنبرة ساخرة:

–ومن أجل ذلك نراهما صادقتين في مشاعرهما؟

–يبدو لي أنك متحامل على "إندربي" يا سيد "ريكروفت"؟

–لأني أمقت الأفراد غير المهذبين الذين يتدخلون في شئون الغير وفيما لا يخصهم. وكانت مهنة الشاب المسكين تلزمه بالتدخل في شئون الغير، ويبدو أيضًا أنه كسب العجوز "بيرنابي". أما بالنسبة إليَّ "فالرائد لا يحتمل وجودي. سكت السيد "ريكروفت". مرة أخرى تطلع "روني" إلى السماء. وقال:

–آه، اليوم الجمعة، لقد مضى أسبوع بالضبط. كنا في مثل هذه الساعة عند السيدتين "ويليت"، لكن الطقس كان في حالة مختلفة تماماً.

–أسبوع ! وكأنه دهر. كان الخادم الهندي واقفًا مستنداً إلى السور وقد بدت عليه الكآبة. بادره السيد "ريكروفت":

–صباح الخير يا "أبدول". كيف حال سيدك؟

–في حالة سيئة اليوم يا سيدي. إنه لا يقابل أحداً ولن يقابل أحداً. وعندما تجاوزا منزل المسكين المعوَّق، قال "روني" لـ "ريكروفت":

–هذا الشخص كفيل بقتل "ويات" دون أن يشك فيه أحد في الدنيا. ها هو يهز رأسه طوال أسابيع أمام الباب مردداً أن سيده يرفض مقابلة أي شخص، احتمل "ريكروفت" هذه الإمكانية هذا الاحتمال ثم أضاف:

–بالإضافة إلى أن عليه التخلص من الجثة.

–ليكن. الجثة هي العقبة. عندما وصلاً إلى منزل "بيرنابي"، لمحاه منحنيًا على عشب رديء قال له السيد "ريكروفت":

–صباح الخير أيها الرائد، هل ستأتي أنت أيضًا إلى قصر "سيتافورد"؟ حكَّ "بيرنابي" أنفه.

–لا أستطيع الذهاب هذا المساء. لقد وصلتني دعوة. ليتهما تتفهمان سبب امتناعي. أومأ السيد "ريكروفت" برأسه علامة الموافقة وأضاف:

– مع ذلك كنت أود أن تكون معنا. لي غرض في ذلك.

– غرض؟ وما هو؟

تردد السيد "ريكروفت". كان واضحًا جداً أن وجود "روني" يسبب له ضيقًا. لكن الشاب كان لا يشعر بذلك وكان يستمع بكل اهتمام أخيراً قال السيد "ريكروفت":

–أريد التحقق من إحدى التجارب. سأله "بيرنابي":

– أي تجربة؟

–أفضِّل عدم القول الآن. لكن إذا حضرت وشاهدت فسوف أطلب منك تأييد فكرتي. تغلَّب الفضول عند "بيرنابي" وقال:

–وأنا معكما. اعتمد عليَّ.. سآخذ قبعتي. ثم بعد دقيقة، لحق بهما وعبر الثلاثة سور قصر "سيتافورد"، أردف "بيرنابي"لغرض الثرثرة:

–يبدو أنك في انتظار بعض الصحابة. سأله "ريكروفت" دهشًا:

–من أخبرك بذلك؟

– إنها السيدة "كورتيس". إنها سيدة شجاعة، ولكنها ثرثارة. أجاب السيد "ريكروفت":

–إنها حقيقة. في الواقع إني في انتظار ابنة شقيقتي السيدة "ديرينج" وزوجها. وفي هذه اللحظة وصلوا إلى باب المنزل... وعندما رَنَّ أحدهم جرس الباب، أقبل "بريان بيرسون" لكي يفتح لهم. وفي أثناء أن كانوا يخلعون معاطفهم في المدخل، لفت هذا الشخص البدين نظر السيد "ريكروفت"، حدث ذاته قائلاً: « شاب جميل، إن زوايتي الفك عنده تشيران إلى أنه شخص قوي الإرادة ولا ينبغي محاولة إثارته. لاشك في أنه شخص خطير. شعر الرائد "بيرنابي" في لحظة دخوله إلى الصالون بإحساس غريب بعيد عن الواقع مخالف للحقيقة. ونهضت السيدة "ويليت" لاستقباله:

–أهلاً بك، إنه كرم من قبلك بتشريفنا .كان تقريبًا اللقاء نفسه الذي استقبلته به في المرة السابقة ،كانت كذلك النار المتقدة نفسها في المدفأة، بل ولقد تخيل "بيرنابي" أنهما ترتديان الملابس نفسها التي كانتا ترتديانها في المرة السابقة.شعر بالعودة إلى ما حدث قبل ذلك بثمانية أيام... وكأن "تريفيليان" على قيد الحياة. كل شيء من حوله كما هو لا تغيير فيه. ومع ذلك لم تكن السيدة "ويليت" هي سيدة المجتمع المتعالية، إنما هي إنسانة مسكينة وعصبية، فهي تعمل على إرضاء مدعويها. فكر "بيرنابي" :« أنا لا أرى مبررًا لتأثرها لوفاة "جو" إلى هذا الحد». وللمرة الثانية كان يصف تصرف السيدتين "ويليت" بالوقاحة. فجأة شعر بأن الكلام موجَّه إليه عندما قالت السيدة "ويليت":

–هذا هو اجتماعنا الأخير. سألها "روني":

–كيف يكون ذلك؟ أبدت السيدة "ويليت" ابتسامة، وهي تقول:

–نعم؛ لأننا نفضل قضاء باقي فصل الشتاء في "سيتافورد"، هناك المنظر الريفي

المنعش، لكن أمامنا مشكلة الخدم وهي- التي أعترف بذلك- عجزت عن حلها. أردف الرائد "بيرنابي":

-كنت أعتقد أنك دبرت أمر سائق وخادم. حكّت السيدة "ويليت" المسكينة رأسها وقالت:

-لا، لقد اضطررت إلى التخلي عن هذه الفكرة. حينئذٍ صاح السيد "ريكروفت":

-مستحيل. سوف نفتقدك كلنا كثيرًا يا سيدتي؛ لأنك إذا تخليتِ عنا فسوف نعود إلى حياتنا الرتيبة الخالية من الترفيه، ومتى سترحلين؟

-يوم الاثنين، ربما غدًا. إن الإقامة في هذا القصر بدون خدم تبدو مستحيلة، إنها معقدة جدًّا. سألها السيد "ريكروفت":

-ستسكنين في "لندن"؟

-بلاشك. سوف نقيم هناك بعض الوقت قبل التوجه إلى الـ "ريفييرا". أضاف السيد "ريكروفت" وهو ينحني أمامها:

-رحيلك سوف يحزننا جميعًا. قالت:

- أشكر شعوركم هذا يا سيد "ريكروفت". بعد ذلك قدمت السيدة "ويليت" الشاي. كان كل من "روني" و"بريان" يقدمان أقداح الشاي وأطباق الجاتوه، لكن شيئًا من الضيق يخيم على المدعوين. فجأة سأل "بيرنابي" "بريان بيرسون":

-وأنت أيضًا سترحل؟

-إلى "لندن" فقط، لكنني لن أذهب إلى الخارج إلا بعد إتمام هذه المهمة.

-هذه المهمة؟

-أقصد قبل الاطمئنان على براءة، أخي. نطق الشاب الكلمات بشيء من التحدي أخرس جميع الألسن. أخيرًا أنقذ الرائد "بيرنابي" الموقف:

-أنا عن نفسي لم أشك لحظة في براءته، والتفتت "فيوليت" إلى الرائد وهي تصيح:

-لم يشك في براءته أحد منا. قطع رنين جرس باب المدخل الحديث فقالت السيدة "ويليت":

–افتحوا الباب، إنه السيد "ديك". اقترب "بيرسون" من النافذة وقال:

– لن ننتهي، إنه هذا الصحفي الكريه. تنهدت السيدة "ويليت" وأردفت:

–ليس أمامنا إلا أن نستقبله. خرج "بريان" وعاد بعد قليل ومعه "شارل إندربي"؟ دخل الصحفي إلى الصالون وقد بدا مرحًا كعادته: لم يخطر على باله أن زيارته غير مرغوب فيها.

–صباح الخير يا سيدتي. كيف حالك؟ لقد حضرت للاستفسار عن أحوالك. لقد تساءلت عن شعب "سيتافورد" أين ذهب، وهأنا علمت الآن أين هم.

–أترغب في تناول قدح من الشاي؟

–بكل سرور يا سيدتي، شكرًا. عجبًا! "إميلي" تريفوزيس" غير موجودة! لاشك في أنها عند عمتك يا سيد "جارفيلد".

–لست أدري. ظننتها في "إكسامبتون"

–لقد عادت من هناك. كيف علمت ذلك؟ العصفور الصغير أخبرني بذلك: السيدة "كورتيس"؛ هذا لكي أكون واضحًا.لقد رأت السيارة وهي تمر أمام الباب وهي تصعد إلى الدرب ثم تنزل ثانية. "إميلي" ليست موجودة في رقم 5 ولا في قصر "سيتافورد". إن لم تكن عند الآنسة "بيرسهاوس" فلا شك في أنها بالتأكيد تتناول الشاي على انفراد مع آسر القلوب القبطان "ويات"، واقترح "ريكروفت":

–أو أنها صعدت أعلى صخرة للتأمل في غروب الشمس. قال "بيرنابي":

–لا أتوقع ذلك؛ لأني كنت أعمل منذ قليل في حديقتي منذ أكثر من ساعة ولم ألمح مرور أحد. ختم "شارل" ضاحكًا:

–لاخطورة في المسكن. ولا يمكن أن تكون قد اختطفت أو اغتيلت.

–بصفتك صحفيًّا، لابد أنك تحزن عليها.

–آه لن أتخلى عن "إميلي" هذه الفتاة الموهوبة الذكية، وأضاف السيد "ريكروفت":

–واللذيذة أيضًا. إننا أنا وهي... إيه... زميلا عمل. أردفت ربة المنزل:

–هل انتهيتم جميعا؟ الآن هل ترغبون في لعب "البربدج" للتسلية؟

–لحظة من فضلك، تنحنح السيد "ريكروفت"، التفت الجميع إليه، حينئذٍ قال:

– كما تعلمين يا سيدة "ويليت" إني مولع بالظواهر الروحية، لقد اجتمعنا هنا منذ أسبوع واشتركنا في جلسة المائدة الدوارة (تحضير الأرواح) التي أعلنت لنا خبراً مأسوياً .حينئذٍ أطلقت "فيوليت" صرخة خفيفة، فالتفت إليها الرجل العجوز، وقال لها:

– المعذرة يا آنستي. إني أعلم أنك اضطربت كثيراً لهذه الجريمة. وها هي الشرطة مازالت تبحث عن المجرم منذ ذلك اليوم. بل إنها قبضت على شخص. غير أن كثيرين من الحاضرين معترضون على إدانة "جيمس بيرسون" .أتقبلين أن نعيد التجربة مرة أخرى، لكن بطريقة مختلفة عن التي أجريت يوم الجمعة الماضي؟صاحت "فيوليت" :

– آه، لا. وقال "روني" :

– شكراً. هذا قليل جداً بالنسبة إليَّ، ثم التفت السيد "ريكروفت " إلى ربة المنزل، غير مبالٍ بكلمات الشاب. قال لها:

– ما رأيك يا سيدتي؟ ترددت السيدة "ويليت"، ثم أردفت:

– في الحقيقة يا سيد "ريكروفت"، إني غير مرحبة بهذه الفكرة؛ لأن جلسة الأسبوع الماضي تركت عندي ذكرى صعبة لست قادرة على نسيانها. هنا سأل "إندربي" السيد "ريكروفت:

–أخبرني إلى أي شيء تهدف بالضبط؟ أتعتقد أن الأرواح سوف توافيك باسم السفاح؟ أعتقد أنه مطلب مبالغ فيه بالنسبة إليهم.

– ألم يخبرونا في الأسبوع الماضي بحدث مهم عندما أعلنوا لنا مقتل القبطان؟

– في الواقع... ومع ذلك قد يكون لهذه اللعبة الصغيرة عواقب غير متوقعة.

– وما هي؟

– إذا ما أتى إلى مسامعنا اسم على لسان المائدة، أليس من الممكن أن نتهم أحد الحاضرين بـ...

– ... غش، هذا ما تقصده أليس كذلك؟ اعترض السيد "ريكروفت" : ليس من يجرؤ على الالتجاء إلى مثل هذا الأسلوب. قال "روني" :

– عن نفسي لن أقوم بذلك، افترضوا أن الشكوك دارت حولي، بالتأكيد سوف أشعر بالحرج. مرة أخرى لم يبالِ الرجل المسن بـ "روني" وأردف:

–إني إذا كنت أتكلم يا سيدة "ويليت"، فأنا أتكلم بجدية. أرجوك اسمحي لي يالقيام بجلسة جديدة. انثنت له السيدة.

–أعترف لك، بأني لست مرحِّبة... والتفتت من حولها كمن تطلب تأييد الآخرين لقولها؛ ثم توجهت إلى "بيرنابي" وقالت:

–يا سيد "بيرنابي"، بما أنك صديق حميم للقبطان "تريفيليان" ما رأيك في اقتراح السيد "ريكروفت"؟ ثم التقت نظرات الرجلين، حينئذٍ أدرك الرائد أن اللحظة أتت للموافقة على وجهة نظر "ريكروفت":

–لم لا؟ وبذلك رجحت كفة الميزان إثر هاتين الكلمتين .ولج "روني" في الحجرة المجاورة وأحضر المائدة ذات القوائم الثلاث. ووضعها وسط الحجرة، وهكذا اصطفت المقاعد حول هذه المائدة الصغيرة وسط صمت شامل وأردف السيد "ريكروفت":

–حسناً. أعتقد أن كل شيء تمام والعدد كامل، يبدو لي ذلك، قالت الآنسة "ويليت":

–ليس بالضبط، ينقصنا السيد "ديك". حسناً، فلنعتبره قد حل محلَّه السيد "بيرسون". قالت "فيوليت" متوسلة إلى "بريان":

–أرجوك يا "بريان" لا تتدخل في ذلك.

–لا تنزعجي. إنكِ واثقة بأني لا أثق ألبتة بهذه الخرافات. وجاء رد الفعل عند السيد "ريكروفت" بإبدائه ملاحظته بلهجة شديدة:

– ها هي روح رديئة تعطل عمل المائدة. أتى بعد ذلك "بريان بيرسون" وجلس في صمت بجوار "فيوليت". بدأ السيد "ريكروفت" الكلام فقال:

–يا سيد "إندربي"... غير أن "شارل" قاطعة بقوله:

–المعذرة، اعتبروني خارج الموضوع. لأنكم لن تثقوا بأقوال صحفي. أفضل تسجيل مذكرات... إذا ما تمت إحدى الظواهر، ثم بعد أن جلسوا جميعا حول المائدة، أطفأ "شارل" الأنوار وجلس بجوار المدفأة وقال:

–لحظة... سأنظر إلى الساعة. وقارب ساعة يده من ضوء الموقد الذي بالمدفأة.

– إليكم ما هو عجيب!

– ماذا؟

– الساعة الخامسة وخمس وعشرون دقيقة بالضبط! حينئذٍ أطلقت "فيوليت" صرخة، وبصوت عالٍ قال السيد "ريكروفت" :

–سكوت! ومرت عشر دقائق في جو يختلف عما كان عليه يوم الجمعة الماضي. لا ضحكات مكتومة ولا مزاح ولكن صمت رهيب كان يخيم على المجلس، بعد قليل قُطع هذا الصمت بصوت طقطقة المائدة وارتفع صوت "ريكروفت" قائلاً:

–أيتها الروح هل أنت حاضرة؟ ولم تكن طقطقة فقط في هذه المرة، إنما ضربة قوية واضحة. لم تتمكن كل من السيدة "ويليت"وابنتها من التعجب، طمأنهما السيد "بريان بيرسون" وقال :

– اهدآ، إن القرع على الباب. وخرج من الحجرة . وسكت الجميع. و– فجأة– فُتح الباب وأضيئت الأنوار. كان الوافد الواقف أمام الباب هو المفتش "ناراكوت" ومن خلفه الآنسة "إميلي تريفوزيس"، والسيد "ديك". تقدم "نارا كوات" خطوة إلى الأمام وقال:

–السيد "جون بيرنابي" مقبوض عليه بتهمة اغتيال "جوزيف تريفيليان"، وهأنا أخطرك بأن كل ما ستدلي به منذ الآن من أقوال سوف يُسجل في ملفك.

الفصل الثلاثون
("إميلي" توضِّح الموقف)

كان بعد ذلك أن اصطحب المفتش "ناراكوت" سجينه، والحاضرون لهذا المشهد تملكتهم الدهشة والحيرة، لذلك التفوا حول "إميلي" وكان أول من تمكن من النطق هو "شارل إندربي" . قال:

– أستحلفك بالله يا "إميلي"، أن تتكلمي. أريد الإبراق.

– إنه الرائد "بيرنابي" الذي اغتال القبطان "تريفيليان" .

– كلنا علمنا ذلك طالما قبض عليه المفتش "ناراكوت"، فلم يحدث أن

ناراكوت" أصيب فجأة "بالجنون". لكن كيف يحدث أن "بيرنابي" يقتل "تريفيليان"؟ وهل يكون ذلك من الناحية الإنسانية ممكنًا؟ إذا كان "تريفيليان" قد اغتيل في الساعة الخامسة وخمس وعشرين دقيقة...

– قط. الجريمة تمت حوالي الساعة السادسة إلا الربع.

– لن تستنتجوا أبداً... لقد استخدم... لقد استخدم قبقاب التزحلق.

– قبقاب التزحلق؟! هكذا كرر كل منهم.

– حدث ذلك بالضبط. لقد اخترع قصة المائدة الدوَّارة... وعندما رأى أن الثلوج تتساقط بغزارة، تراءى له أن آثار خطواته سوف تُمحى وأنه بذلك لا يخشى شيئًا. ثم وسط دهشة وحيرة وأسف المجموعة إزاء هذا الخبر المؤسف، تظاهر هو ذاته بالقلق المتناهي وقرر الرحيل إلى "إكسامبتون".

بدأ بالمرور على منزله ووضع قبقاب التزحلق على الجليد على حذائه وبدأ مسيرته. ولما كان "بيرنابي" يجيد هذه الرياضة لم يستغرق أكثر من عشر دقائق لنزول المنحدر من "سيتافورد" إلى "إكسامبتون". "عندما وصل أمام نافذة الصالون، قرع على أحد الألواح الزجاجية، وفتح له القبطان "تريفيليان". واستغل الفرصة التي التفت فيها صاحبه. استولى على الكيس المليء بالرمل وصوب إلى عنقه ضربة قاتلة. آه، إني أقشعر عندما أفكر في هذا الفعل.

بعد ذلك– دون أن يتعجل– نظف قبقابه وأعاده إلى خزانة الأشياء الأخرى الرياضية والخاصة بالقبطان الموجودة في حجرة الطعام. ثم ضرب النافذة حتى يوحي إلى الناظر إليها أنه تم كسر هذه النافذة للدخول إلى الصالون، أي أنها كانت محاولة تسلل للسرقة.

حوالي الثامنة مساء خرج من الفيللا وعاد إلى "سيتافورد" من طريق أطول لاهثًا ومنهكًا لكي يوحي بأنه قطع هذا الطريق الطويل سيرًا على قدميه ذهابًا وإيابًا، وبما أنه لن يفكر أحد في حيلة القبقاب، نام ملء جفنيه. والطبيب سوف يقرر أن القبطان قد اغتيل منذ ساعتين على الأقل. بذلك كان الرائد "بيرنابي" قد ضَمنَ إثبات عدم تواجده وقت الجريمة. هنا أبدى السيد "ريكروفت" ملاحظته:

–لكن "بيرنابي" كان صديقًا حميمًا وقديما للقبطان "تريفيليان". شيء لا

يُصدق! أضافت "إميلي" :

-وهذا ما زاد من آلامي؛ إذ إنني بعد أن تعبت من كثرة التفكير- وكان عبثًا- توجهت إلى المفتش "ناراكوت" وإلى السيد "ديك" . حينئذٍ توقفت برهة وألقت إلى السيد "ديك" نظرة استجواب ثم قالت :

-أفي وسعي حاليًا أن أخبرهم من تكون؟ ابتسم "ديك" وقال :

-كما تشائين يا آنستي .

-لا . إنك لا ترغب في أن أتكلم . حينئذٍ لجأت إلى أفكارك ووجدنا معًا كلمة اللغز . ألم تخبرني يا "شارل" أن "تريفيليان" كان يرسل حلوله إلى جريدتكم مستخدمًا اسم "إيفانز" وأشخاص آخرين؟ كان قصر "سيتافورد" يبدو "فوق المستوى .

وهذا ما تم بشأن الجائزة المالية وقدرها خمسة آلاف جنيه . وكان الحل الفائز- في الحقيقة- لـ "تريفيليان" . كان قد أرسلها باسم "بيرنابي" ، رقم1، منازل"سيتافورد" . إلى أين وصلت؟ آه، نعم، لقد استلم الرائد خطابه صباح يوم الجمعة . ولما كان قد فقد مبالغ ضخمة في بعض المشاريع كان في أمس الحاجة إلى الـخمسة آلاف جنيه، ولاشك في أن فكرة الاغتيال طرأت على ذهنه فجأة . . . ربما في اللحظة التي لاحظ فيها احتمال سقوط مكثف للثلوج . وإذا كان "تريفيليان" قد مات . . . فمن الممكن أن يحتفظ بهذا المبلغ وليس من يشك في ذلك . تمتم "ريكروفت" :

-أمر مدهش . . . لم يخطر على بال أحد . أخبريني يا آنسة ما الذي وضعك على الطريق المؤدي لاكتشاف هذه الأحداث؟ حينئذٍ تكلمت "إميلي" عن خطاب السيدة "بيللينج،" كما وضحت كيف أنها اكتشفت الحذاء في المدفأة، قالت :

-من شدة ملاحظتي، رأيت أن هذا الحذاء خاص بالقبقاب المستخدم للتزحلق . ومنذ تلك اللحظة نمت الفكرة في ذهني . نزلت فورًا وبسرعة إلى حجرة الطعام واكتشفت وجود زوج القبقاب الخاص بالتزحلق في الخزانة الخاصة بالأحذية : أحدهما أطول من الآخر . بذلك استنتجت أن القبقاب ليس لصاحب الحذاء . هنا قال السيد "ريكروفت" :

-المفروض أنه كان عليه أن يخفيه في مكان آخر . اعترضت "إميلي" :

–لا. لأن هذا الدولاب يعتبر المخبأ الوحيد. ومن هذه الناحية، لن تلتفت الشرطة إلى معرفة إذا كان القبطان يمتلك زوجًا أم زوجين من قبقاب التزحلق.

–لكن لماذا عمل على إخفاء حذاء "تريفيليان"؟

–لاشك في أنه خشي من أن وجود حذاء خاص بقباب التزحلق يلفت نظر رجال الشرطة– كما أوحت إليّ أنا ذاتي– بفكرة التزحلق. وهو بذلك ارتكب خطأ جسيمًا؛ لأن "إيفانز" اكتشف اختفاءه (أي إختفاء الحذاء) وأحاطني علمًا بذلك.

سأل "بريان بيرسون":

–ربما كان يقصد إلحاق جريمته بـ "جيمس"؟ قالت "إميلي":

–آه، لا. إنه تفكيره الغبي الذي يلازمه. كم أنه مسكين!

–لا ترثي لحاله بعد الآن يا "إميلي" بالنسبة إليه، سوف تتدبر الأمور حاليًّا. هل انتهيت يا "إميلي"؟ إني متعجل للذهاب إلى مكتب البريد لإرسال برقية إلى الجريدة برجاء أن تلتمسوا لي العذر جميعًا. وحيَّاهم وانصرف على عجل. قالت "إميلي":

–إنه حقًّا شخص مرن جدًّا. وقال السيد "ريكروفت":

–ليس لكِ أن تحسديه. وأيد "روني" كلامه قائلاً:

–بالتأكيد. ألقت "إميلي" بنفسها على المقعد ذي المساند وهي تقول:

–يا إلهي. حينئذٍ أوصاها "روني" قائلاً:

–عليك بمشروب دافئ لكي تستردي قواكِ. هزت "إميلي" رأسها علامة للرفض. قال لها السيد "ريكروفت":

–كأس من الشراب، واقترحت "فيوليت":

–أو قدح من الشاي. أجابت "إميلي":

–قليل من البودرة يفيدني. لقد نسيت بدارتي في السيارة، وهأنا أشعر باحمرار وجهي. قادتها "فيوليت" إلى حجرتها وقدمت لها ما تريده. قالت "إميلي" وهي تربت بشدة كتفها:

–آه! هأنا أشعر بتحسن. قليل من أحمر الشفاه أيضًا وبذلك أصبح في مظهر لائق. قالت لها "فيوليت":

–لقد ظهرت بمظهر الشجاعة النادرة.

–آه. لا. لو علمت كم كان يحدث لي أحياناً إحساس بالخوف والإحساس بأني أوشك أن أنهار.

–لقد اجتزت مثل هذه التجارب في الأيام الأخيرة. كم كنت أخشى من أجل "بريان". لم يكن موضع اتهام في اغتيال القبطان "تريفيليان"، لكن إذا كان قد اضطر إلى الإفصاح عن مكان تواجده وقت وقوع الجريمة، لاكتشفت الشرطة وقتئذٍ أنه هو الذي رتب اللازم من أجل هرب والدي من السجن.

–ما الذي تقولينه الآن؟!

–والدي هو هذا السجين الهارب من سجن "برينستاون". من أجل ذلك وفدنا أنا ووالدتي إلى هنا، مسكين يا أبي! كان دائماً شاذًّا في أطواره و– أحياناً– كان لا يدري ما هو فاعله ولقد تعرَّفنا إلى "بريان" على ظهر السفينة و... أنا وهو...

–فهمت.

–سردت عليه تفاصيل الموضوع و– معاً– خطَّطنا لتسهيل عملية الهرب لوالدي. ولحسن الحظ لم نكن مفتقرين إلى المال لتنفيذ الخطة التي اقترحها "بريان"، وبعد هروب والدي من السجن، كان عليه أن يختبئ في مغارة "بيكسي"، وبعد ذلك يقوم هو و"بريان" بخدمتنا بدلاً من الخادمتين، و"بريان" هو الذي عيَّن لها هذا القصر وأوصانا أن نعطي قيمة إيجارية كبيرة لإغراء القبطان "تريفيليان"، وبالتالي الدفع به إلى الموافقة (وكان القبطان محبًّا للمال كما نعلم).

–وللأسف، لم ينجح والدك.

–وها هي والدتي مرتبكة. أما من جهه "بريان" فلقد ظهر بمظهر التضحية النادرة. فعلاً من النادر أن نجد شابًّا يقبل الزواج من ابنة رجل "نزيل السجون". في الحقيقة إن والدي ليس مسؤولا بالمعنى الصحيح عمًّا يأتي به من أفعال. لقد تلقى– منذ خمسة عشر عاماً– ضربة قوية بالقدم على رأسه، ومنذ ذلك الحين أصبح شاذًّا في تصرفاته، و"بريان" يعتقد أنه قد يستطيع أن يصلح نفسه، ما علينا، ليتنا نكف عن الحديث عما يخصني.

– أليس في وسعنا القيام بأي شيء لتحريره؟ هزت "فيوليت" رأسها في أسى.

– لقد أعياه برد الليل القارس.... وها هو مصاب بالتهاب رئوي. وإن كان ما سأنطق به يشير إلى شيء من قسوة القلب إلا أني أعتبر وفاته رحمة له ولنا أيضاً.

–مسكينة يا "فيوليت".

–أنا لست موضع رثاء مادام "بريان" يحبني. وأنتِ... ثم توقفت عن الكلام وهي تشعر بالضيق. أردفت "إميلي" بعد لحظة تفكير:

–حقًّا.

الفصل الحادي والثلاثون
(الرجل السعيد)

بعد عشر دقائق كانت "إميلي" تنزل إلى الدرب بخطى واسعة. وإذا بالقبطان "ويات" – وكان منحنيًا على سياج حديقته– يناديها:

–أخبريني يا آنسة "تريفوزيس"، هل كل هذه الأقوال حقيقية؟

–نعم، نعم. هكذا أجابته دون أن تتوقف.

–يا آنسة، لِمَ تسرعين هكذا؟ ادخلي لتناول الشاي... آه لهذه السرعة التي من عيوب المدينة! قالت "إميلي" وهي تواصل مسيرتها:

–آه! أعلم ذلك. واندفعت إلى داخل منزل الآنسة "بيرسهاوس" مثل القذيفة، قائلة لها:

–لقد حضرت لكي أحكي لكِ كل شيء. وشرعت في سرد الأحداث بالتفصيل. في أثناء ذلك كانت العجوز المقعدة تطلق صيحات التعجب كلَّما سمعت ما هو ذا أهمية مرددة:

–يا إلهي! ربي! مستحيل! وبعد أن انتهت "إميلي" انتصبت العجوز مستندة إلى كوعها ولوحت بأصبعها قائلة:

–سبق أن قلت لكِ ذلك، إن "بيرنابي" رجل حقود والغيرة تملأ قلبه. أصدقاء؟ هأنا أسألك قليلاً! صداقة عجيبة! منذ عشرين عامًا و"تريفيليان" يسعى إلى الوصول إلى مستوى "بيرنابي" في المجال الرياضي: تزحلق على الجليد أو صيد أو خلافه، وكذلك عند التسلية بالكلمات المتقاطعة... ومن جانبه لم يكن "بيرنابي"

يحتمله... "تريفيليان" كان ثريًا وهو فقير، آه، إنه من الصعب الاستمرار في حب من يفوقه في كل شيء.

-إنك على حق. هل تعلمين أن ابن شقيقك يعرف العمة "جنيفير"؟ كانا يتناولان الشاي معًا يوم الجمعة الماضي عند "ديللير". وضحت الآنسة "بيرسهاوس":

-إنها إشبينة وبذلك كان في "إكسيتير" للقاء زميله؟ لاشك في أنه سلّفه مبلغًا من المال. إني أعرف "روني" جيدًا... سأحدثه عن ذلك.

-لكني أحذرك يا آنسة من أن تعنّفيه. والآن أنصرف لأني مثقلة بالأعباء.

-أعتقد أنك أتممت مهمتك.

-لا، إنها لمْ تتم على أكمل وجه. سأتوجه إلى "لندن" إلى شركة التأمينات التي كان يعمل فيها "جيمس" في محاولة لإقناع رؤسائه بألا يلاحقوه من أجل هذه السلفة.

-هيه! هكذا نطقت الآنسة "بيرسهاوس":

-ومن الآن فصاعداً سوف يهدأ "جيمس"؛ لأنه لابد وأن يكون له في هذا الحدث درس لن ينساه مستقبلاً.

-أرجو ذلك. هل تعتقدين أنك قد تنجحين في إقناع الرؤساء؟ أجابتها "إميلي" في حماس:

-نعم.

-وبعد ذلك؟

- أكون بذلك قمت بكل ما في استطاعتي نحو "جيمس".

-نعم، لكن ماذا أيضًا؟

- ماذا تقصدين؟

- حسنًا، مادام أنه لابد من وضع النقط على الحروف: أيهما من الاثنين؟

- آه!

- هذا ما أريد معرفته، مَن من الاثنين سيكون الفائز السعيد؟ حينئذٍ قبّلت "إميلي" العجوز وانطلقت في الضحك ثم ابتعلت لعابها وقالت لها:

– إنك تعرفينه جيداً. وكان بعد ذلك أن "إميلي" في اللحظة التي كانت تخرج فيها من حديقة الآنسة "بيرسهاوس" – رأت "شارل" يصعد الدرب جريًا. عندما اقترب منها، توقف وأمسك بيديها .

– "إميلي" عزيزتي.

– "شارل" ، وصاح "شارل إندربي" :

– تعاليْ لكي أقبِّلك. وقبلها في الحال. هأنا أيتها العزيزة "إميلي" قد ضمنت مستقبلي وأصبحت رجلاً واصلاً. وأنتِ؟

– وأنا... ماذا؟

– حسنًا. ها هو الوضع. من البديهي أنه إن لم يكن "جيمس بيرسون" قد تحرر من السجن، لما تكلمت، لكنه الآن أصبح حرًّا وسوف يحتمل قدره.

– عمَّ تتكلم؟

– إنك تعلمين جيداً أني أحبك كثيرًا يا "إميلي" وأنك أيضًا تحبينني. وبالنسبة إليك لم يكن "بيرسون" سوى غلطة، أقصد أننا أنا وأنت جُعلنا لبعض. قالت له "إميلي" :

– إذا كنت تقصد طلب الزواج، فلا داعي للإلحاح.

– اسمعي....

– لا.

– لكن... يا "إميلي"...

–إذا كان لابد من المصارحة، فأنا أحب "جيمس". نظر إليها "شارل" في ذهول وقال:

–مستحيل!

– بلى، لقد أحببته وسوف أحبه دائمًا .

– لكنك... لكنك منحتني الأمل دائمًا.

–كثيراً ما رددت أمامك كم أنه ممتع أن يكون للمرء صديق يعتمد عليه.

–لقد اعتقدت... أن...

–ليست غلطتي إذا كنت أسأت الفهم.

–إنك يا "إميلي" حقًّا سيدة خالية من كل شكوك.

–أعلم ذلك يا سيد "شارل"، والأفضل لك يا "شارل" أن تفكر في الشخص العظيم الذي هو أنت حاليًّا. إنك شخص قوي يا "شارل" ولست في حاجة إلى سيدة؛ لأنها قد تحطمك؛ لأنك لست في حاجة إلى مؤازرة...

– اسكتي يا "إميلي"، لقد حطمتِ قلبي. عندما دخلتِ مع "ناراكوت" في صالون آل "ويليت" كنتِ رائعة، أشبه بملاك ظافر، منتقم للبراءة والأبرياء. سمع بعد ذلك صوت خطوات وإذا بالسيد "ديك" يظهر. أردفت "إميلي":

–آه، ها هو السيد "ديك". أود أن أقدم لك يا "شارل" السيد "ديك" المفتش الأسبق لقسم "سكوتلانديارد".

–السيد المفتش "ديك" الشهير؟

–هو ذاته. لقد وفد إلي هنا– بعد إحالته للمعاش– لكي يقيم معنا. وهو بتواضعه يعمل على إنكار ذاته وشهرته، لقد فهمت حاليًّا لماذا كان السيد المفتش "ناراكوت" يبتسم عندما سألت بإلحاح عن الجرائم التي قد ارتكبها السيد "ديك". حينئذٍ انطلق المفتش الأسبق في الضحك. لكن بالنسبة إلى "إندربي" فقد كان يعاني في تلك اللحظات صراعًا داخليًّا بين العاشق والصحفي. وأخيرًا تغلب الصحفي على العاشق.

–الآن يا سيد "ديك" وقد لاحظت كم أني تشرفت بمعرفتك، هل أطمع في الحصول على مقال صغير من سيادتك عن قضية "تريفيليان"؟ أما "إميلي" فقد تركت الرجلين وأسرعت إلى منزل السيدة "كورتيس". وفي حمية اتجهت إلى حجرتها وحزمت أمتعتها. وكانت السيدة "كورتيس" قد تبعتها إلى هناك سألتها:

–ألا تتكلمين يا آنستي؟

–بلى، لابد... خطيبي.

–أخبريني، أيهما خطيبك؟ جلست "إميلي" وأخذت تلقي بأمتعتها في الحقيبة. أجابت:

–الذي يعاني في السجن بالتأكيد وليس سواه أبدًا.

–آه يا آنستي خذي الحذر لئلا تخطئي، هل الآخر يعادل ذلك؟

–آه، لا. إنه لا يساويه بالتأكيد. وبالنسبة إلى الصحفي فسوف يواصل طريقه لاشك في ذلك، ثم ألقت نظرة من النافذة ورأت "شارل" مواصلاً الحديث مع ضابط الشرطة الأسبق "ديك". وواصلت "إميلي" كلامها:

–لاشك في أن هذا الصحفي أمامه مستقبل لامع... لكنني لست أدري ماذا سيكون مصير الآخر إذا تخليت عنه؛ لأنه بدوني ماذا سيكون؟ لأني أنا من عملت على تحريره، أطلقت السيدة "كورتيس" زفيراً وقالت:

–فعلاً. ثم نزلت عند زوجها الشرعي الذي كان شارداً. وأعلنت السيدة "كورتيس" مرة أخرى:

–تماماً مثل العمة الكبرى "سارا بيليندا"، التي أحبت "جورج بلانكيت" إلى حد الجنون وتزوجته على الرغم من أنه كان غارقاً في الديون ولا يمتلك سوى مزرعة "تروا فاش" أي البقرات الثلاث. ووجدت الوسيلة خلال عامين– لسداد الديون والقيام بنفقات المنزل. أردف السيد "كورتيس" وهو يهز غليونه:

– آه.

–لقد كان شاباً جميلاً هذا الـ "جورج بلانكيت".

–آه!

–لكنه بعد الزواج لم يتطلع قط إلى سيدة أخرى غير زوجته.

–آه!

–هذا؛ لأنها كانت لا تدع له الفرصة لذلك.

–آه!

تمت بعون الله

ظهر الكتاب

شهدت "سيتافورد"، تلك القرية النائية في "إنجلترا" أحداثا عدَّة، بدت عادية في البداية ثم اتخذت مساراً عجيباً.

.... القبطان "تريفيليان" – وهو ضابط بحري– آثر حياة الريف بعد بلوغه سن التقاعد؛ بنى له قصراً وزوَّده بكل وسائل الرفاهية. وحتى لا يبقى وحيداً، شيد ستة منازل صغيرة أخرى بالقرب منه.... سيدة من جنوب "إفريقيا" تطلب استئجار القصر وتعرض عليه مقابل ذلك مبلغا مغرياً من المال؛ لكي تقيم فيه مع ابنتها في فصل الشتاء وهو موسم الثلوج في "إنجلترا"!!! ... السيدة تقيم الحفلات... وفي إحدى ليالي السمر التي دعت إليها بعض الأفراد، حدث ما هو مثير: المائدة الدوارة والكشف عن أمور خفيَّة عن طريق تحضير الأرواح. وأبرزها إعلان وفاة القبطان "تريفيليان". الشرطة والصحافة اهْتمتَّا بالأمر .... الحدث الثاني الذي شهدته القرية هو هرب سجين من أقوى سجون "إنجلترا". وكان نادراً ما يحدث أن يهرب منه أحد المعتقلين.... أما الحدث الثالث فهو الكشف عن لغز الساعة الخامسة وخمس وعشرين دقيقة (اسم الرواية) وهو التوقيت الذي أُعلن فيه اغتيال القبطان "تريفيليان"، كما تم التنبؤ به على المائدة الدَّوارة. ومع توالي الأحداث، تكشَّفَ كذلك سر السجين الهارب.

هذه هي أسماء وأرقام الروايات التي يمكنكم طلبها.
سارعوا في إرسال طلباتكم!

1	ابنة الفراعنة	23	جريمة على الشاطئ
2	جريمة الفندق	24	الجرائم الثلاث
3	أخطاء القضاء	25	جريمة في بيت الطالبات
4	أدلة الجريمة	26	جريمة في الجو
5	الإرث الدامي	27	جريمة في الصحراء
6	أصابع الاتهام	28	جريمة في قطار الشرق
7	امرأة خطرة	29	جريمة قتل
8	بصمات الأصابع	30	الجريمة الكاملة
9	بواعث الجريمة	31	جريمة الكوخ
10	بيت الأهوال	32	الجريمة المستحيلة
11	التضحية الكبرى	33	الجريمة المعقّدة
12	الثلوج الدامية	34	جريمة ملاك
13	الجثة التي اختفت	35	جزيرة الموت
14	الجثة الثانية	36	جنون الانتقام
15	جثة في المكتبة	37	الحادث
16	الجريمة الأخيرة	38	الحب الذي قتل
17	جريمة أم	39	الحب والجريمة
18	جريمة البرج	40	ذات القناع الأسود
19	جريمة بلا شهود	41	ذات الوجهين
20	الجريمة تدق الباب	42	رجل بلا وجه
21	جريمة حب	43	غانية باريس
22	جريمة عائلية	44	رصاصة في الرأس

45 رعب في المدينة
46 الزائر الغامض
47 ساعة الصفر
48 سر امرأة
49 سر الجريمة
50 سر القصر الكبير
51 سر المنبّهات السبعة
52 سيدة القصر
53 شاهدة إثبات
54 الشاهد الصامت
55 الشاهدة الوحيدة
56 الشبح القاتل
57 شرخ في المرآة
58 الشيطان امرأة
59 الضحية
60 الطائر الجريح
61 الطائرة المفقودة
62 الطيور السوداء
63 عدو بلا وجه
64 العميل السرّي
65 العنكبوت
66 الفخ
67 القاتل الرابع
68 القاتل الغامض
69 القاتل والمقتول
70 قاتل المليونير
71 القصاص
72 القصر الرهيب
73 القضية الكبرى
74 الكأس الأخيرة
75 كلب الموت
76 ليل ليس له آخر
77 مأساة ذات ثلاثة فصول
78 الماضي الرهيب
79 المتهم البريء
80 المتهمة البريئة
81 المصيدة
82 مغامرات بوارو
83 مفتاح الجريمة
84 الموت المقنع
85 موعد في بغداد
86 موعد مع الموت
87 نادي الجريمة
88 الوصية المفقودة
89 وجه في المرآة
90 الياقوتة الحمراء
91 اللغز المثير
92 غريم بوارو
93 وجه من الماضي
94 خاتمة المأساة
95 الحصان الشاحب